الفَرِيْدُ
فِي خُطَبِ التَّوْحِيْدِ

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه







مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولِهِ .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ كِتَابَ التَّوْحِيْدِ لِلإِمَامِ المُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ- مِنْ أَنْفَعِ الكُتُبِ ، وَأَعْظَمِهَا بَرَكَةً ، وَأَكْثَرَهَا خِدْمَةً ، تَعَاقَبَ عَلَيْهِ العُلَمَاءُ بِالشَّرْحِ وَالتَّعْلِيْقِ ، وَالحَوَاشِي ، وَالتَّدْرِيْسِ مِنْ عَصْرِ المُؤَلِّفِ -رَحِمَهُ اللهُ- حَتَّىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا وَمَا يَزَالُ .

وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ انْشِغَالَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ مُجَالَسَةِ العُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ وَمُزَاحَمَتِهِمْ بِالرُّكَبِ ، وَقَلَّ أَنْ يَخْلُوَ مَجَالِسُهُمْ مِنْ شَرْحٍ لِهَذَا الكِتَابِ لِنَفْعِهِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَعَقَدْتُ النِّيَّةَ عَلَىٰ شَرْحِهِ بِأُسْلُوبٍ خِطَابِيٍّ وَعَلَىٰ شَكْلِ خُطَبٍ تُلْقَىٰ، وَسَمَّيْتُهُ «**الفَرِيْدُ فِي خُطَبِ التَّوْحِيْدِ**» ، لِيُلْقَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ أَيَّامَ الجُمَعِ ؛ لِأَنَّهُ فِي هَذَا اليَوْمِ لاَ يَشْغَلُهُمْ عَنْ الحُضُورِ شَاغِلٌ وَلاَ يَصْرِفُهُمْ عَنْ الإِنْصَاتِ صَارِفٌ .

فَدُوْنَكَ - أَخِي - « صَيْدَكَ لاَ تُحْرَمْهُ » [١].

وَأُصِيْكَ أَلَّا تَخْطُبَ مِنْهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، بَلْ كُلَّمَا انْتَهَيْتَ بَدَأْتَ مِنْ جَدِيْدٍ، قَالَ العَلَّامَةُ تَقِيُّ الدِّيْنِ الهِلَالِيّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « ... كِتَابُ التَّوْحِيْدِ لاَ يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَقْرَأَهُ -دَائِمًا -كُلَّمَا خَتَمْتَهُ بَدَأْتَ مِنْ جَدِيْدٍ كَمَا أَفْعَلُ أَنَا ؛ لِأَنَّ النَّاسَ دَائِمًا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ لِيَسْتَيْقِنَ المُوَحِّد ، وَيَزْدَادَ رُسُوخًا ، وَيَرْجِعُ المُشْرِكُ عَنْ شِرْكِهِ »[٢] .

وَأَسْأَلُ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الكِتَابِ كَمَا نَفَعَ بِالمَتْنِ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدَيَّ يَوْمَ الدِّيْنِ ، إِنَّهُ سَمِيْعٌ مُجِيْبٌ ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وَكَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللهِ فَيْصَل بْنُ عَبْدُه قَائِد الحَاشِدِيّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ

---

(١) «مُجْمَعُ الأَمْثَالِ» (١/ ٤٢٧) ، وَالمَعْنَىٰ : أَيْ : إِذَا أَمْكَنَكَ الصَّيْدُ فَلَا تَغْفَلْ عَنْهُ».

(٢) «مَجْمُوعَةُ رَسَائِلِهِ» (١/ ٣٠٦) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

التَّوْحِيْدُ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**التَّوْحِيدِ**» ، وَالتَّوْحِيدُ أَيُّهَا النَّاسُ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِالعِبَادَةِ .

وَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

الأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-بِالخَلْقِ والمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ** ﴾[الأَعْرَاف:٥٤].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ** ﴾ [الرَّعْدُ:١٦].

وَهَذَا القِسْمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ أُمِرَ بِهِ المُشْرِكُونَ وَلَمْ يُعَارِضُوا فِيهِ،فَهُمْ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾** ﴾[المُؤْمِنُونَ:٨٤-٨٩].

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْحِيدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِتَوْحِيدِ العِبَادَةِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ والمُرْسَلُونَ .

القِسْمُ الثَّانِي: تَوْحِيْدُ الأُلُوهِيَّةِ ؛ وَهُوَ تَوْحِيْدُ الأُلُوهِيَّةِ [أَيْ العُبُودِيَّةِ]، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ – بِجَمِيْعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ (كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالذَّبْحِ والنَّذْرِ)،وَالبَاطِنَةِ مِثْلِ (الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالدُّعَاءِ والحُبِّ).

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّارِيَاتُ:٥٦] .

وَقَالَ اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأَنْعَامُ: ١٦٢–١٦٣] .

القِسْمُ الثَّالِثُ: تَوْحِيْدُ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ ؛ وَهُوَ الإِيْمَانُ بِمَا وَصَفَ اللهُ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ غَيْرِ تَحْرِيْفٍ وَلَا تَعْطِيْلٍ، وَلَا تَكْيِيْفٍ، وَلَا تَمْثِيْلٍ ،قَالَ اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشُّوْرَىٰ : ١١] .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ جَاءَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ بِأَنْوَاعِ التَّوْحِيْدِ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي قَوْلِ رَبِّنَا – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مَرْيَمُ:٥٦] .

أَيُّهَا النَّاسُ تَأَمَّلُوا إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذَّارِيَاتُ:٥٦] .

وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَعِلْمُ الحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ خَلْقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ هِيَ إِفْرَادُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِالعِبَادَةِ وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَكْثُرَ بِهِمْ مِنْ قِلَّةٍ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَهُمْ لِلعِبَادَةِ، وَتَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهِمْ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- صَادِقٌ بِوَعْدِهِ، قَادِرٌ عَلَىٰ تَحْقِيْقِهِ، لِأَنَّهُ قَوِيٌّ مَتِيْنٌ.

ثُمَّ تَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النَّحلُ:٣٦].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يُخْبِرُنَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُ أَرْسَلَ فِي كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ رَسُولاً يُبَلِّغُهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِتَوْحِيْدِهِ وَالكُفْرِ بِمَا سِوَاهُ كَالطَّاغُوتِ.

وَالطَّاغُوتُ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللهُ-: هُوَ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ كَمَا رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ [١].

وَقَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: ﴿**الطَّاغُوتَ**﴾ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ، أَمَّا مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُوَ لَا يَرْضَىٰ بِذَلِكَ، كَالرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، فَلَيْسُوا بِطَاغُوتٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْمُرُوا بِذَلِكَ» [٢].

وَمُنَاسَبَةُ الآيَةِ لِلتَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهِيَ أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ -سُبْحَانَهُ

(١) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٣/ ٩٧٦).
(٢) المَجْمُوعُ المُفِيْدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ.

وَتَعَالَىٰ - لاَ تَصْلُحُ إِلَّا إِذَا كُفِرَ بِمَا سِوَاهُ .

كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البَقَرَة:٢٥٦].

وَهَذَا مَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، لأَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ هُوَ : الكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيْمَانُ بِاللهِ مِثْلَ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ » .

وَلاَحِظُوا -أَيُّهَا النَّاسُ -إِلَىٰ قَوْلِ رَبِّنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ﴾ مَا قَالَ : « اتْرُكُوا عِبَادَةَ الطَّاغُوتِ » لأَنَّ ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ﴾ أَبْلَغَ مِنْ التَّرْكِ؛ فَالاجْتِنَابِ مَعْنَاهُ تَرْكُ الشَّيْءِ وَتَرْكُ الوَسَائِلِ والطُّرُقِ الَّتِي تُوْصِلُ إِلَيْهِ[1].

وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ:٢٣-٢٤].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ يُخْبِرُنَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُ قَضَىٰ أَيْ شَرَعَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَشْرَعْ عِبَادَةَ غَيْرِهِ أَبَدًا لَمْ

(١) «إِعَانَةُ الْمُسْتَفِيْدِ» (١/ ٢٨) .

يَشْرَعْ عِبَادَةَ الأَصْنَام ، وَلَمْ يَشْرَعْ عِبَادَةَ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ ، وَلَمْ يَشْرَعْ عِبَادَةَ الأَضْرِحَةِ وَالقُبُورِ ، وَلَمْ يَشْرَعْ عِبَادَةَ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ أَبَدًا ، هَذَا شَرَعَهُ الشَّيْطَانُ .

أَمَّا شَرْعُ اللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ .

وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ هَذَا نَفْيٌ ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ هَذَا إِثْبَاتٌ ، فَهُوَ مَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَمَامًا .

وَالشَّاهِدُ مِنَ الآيَةِ ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أَنَّهَا تُفَسِّرُ التَّوْحِيْدَ ، وَهُوَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عِبَادَةُ اللهِ ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ، هَذَا هُوَ التَّوْحِيْدُ ، أَمَّا عِبَادَةُ اللهِ بِدُون تَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ فَهَذَا لاَ يُسَمَّىٰ تَوْحِيْدًا، فَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ اللهَ ، وَلَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَصَارُوا مُشْرِكِيْنَ ، فَلَيْسَ المُهِمُّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الإِنْسَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَقَطْ ، بَلْ لاَ بُدَّ أَنَّ يَعْبُدَ اللهَ وَيَتْرُكَ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ وَإِلَّا لاَ يَكُونُ عَابِدًا للهِ ، وَلاَ مُوَحِّدًا ، فَالَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَحِجُّ، وَلَكِنَّهُ لاَ يَتْرُكُ عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ لَيْسَ بِمُسْلِم ، وَلاَ تَنْفَعُهُ صَلاَتُهُ ، وَلاَ صِيَامُهُ وَلاَ حِجُّهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْتَثِلْ قَوْلَ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] .

---

(١) «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ٢٩) .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَالنَّفْيُ المَحْضُ لَيْسَ تَوْحِيْدًا ، وَكَذَلِكَ الإِثْبَاتُ بِدُونِ النَّفْيِ ، فَلاَ يَكُونُ التَّوْحِيْدُ إِلَّا مُتَضَمِّنًا لِلنَّفْيِ وَ الإِثْبَاتِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيْقَةُ التَّوْحِيْدُ » [١] .

وَلَمَّا أَمَرَ بِحَقِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَيُّهَا النَّاسُ أَمَرَ بِحَقِّ الوَالِدَيْنِ ﴿ **وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ فَيأْتِي حَقُّ الوَالِدَيْنِ بَعْدَ حَقِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مُبَاشَرَةً ؛ لِأَنَّ الوَالِدَيْنِ هُمَا أَعْظَمُ مُحْسِنٍ عَلَيْكَ بَعْدَ اللهِ -سُبْحَانَهُ- وَمَعْنَىٰ ﴿ إِحْسَٰنًا ﴾ أَيْ : أَحْسِنْ إِلَيْهِمَا كَمَا أَحْسَنَا إِلَيْكَ [٢] .

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ أَيْ : لاَ يُسْمِعْهُمَا قَوْلاً سَيِّئًا حَتَّىٰ وَلاَ التَّأَفُّفَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ مَرَاتِبِ القَوْلِ السَّيِّءِ ﴿ **وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ أَيْ : لاَ يَصْدُرْ مِنْكَ إِلَيْهِمَا فِعْلٌ قَبِيْحٌ .... .

وَلَمَّا نَهَاهُ اللهُ عَنْ الفِعْلِ القَبِيْحِ وَالقَوْلِ القَبِيْحِ أَمَرَهُ بِالفِعْلِ الحَسَنِ، وَالقَوْلِ الحَسَنِ ، فَقَالَ : ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ أَيْ : لَيِّنًا طَيِّبًا بِأَدَبٍ وَتَوْقِيْرٍ .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ - : ﴿ **وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ** ﴾ أَيْ :

---

(١) «بَدَائِعُ الفَوَائِدِ» (١/ ١٣٤) .
(٢) «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ٣٢) .

تَوَاضَعْ لَهُمَا ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا ﴾ أَيْ : فِي كِبَرِهِمَا وَعِنْدَ وَفَاتِهِمَا ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإِسْرَاءُ:٢٤] [١] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٦/٤٥) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
التَّوْحِيْدُ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**التَّوْحِيْدِ**».

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النِّسَاءُ:٣٦].

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْن -رَحِمَهُ اللهُ-: «هَذِهِ الآيَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ التَّوْحِيْدِ؛ فَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ ﴾ فِي مُقَابِلِ «لَا إِلَهَ»؛ لِأَنَّهَا نَفْيٌ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ فِي مُقَابِلِ «إِلَّا اللهُ»؛ لِأَنَّهَا إِثْبَاتٌ.

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ؛ فَتَعُمُّ كُلَّ شَيْءٍ: لَا نَبِيٍّ، وَلَا مَلَكًا، وَلَا وَلِيًّا، بَلْ وَلَا أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا؛ فَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا شَرِيْكًا مَعَ اللهِ، وَالإِنْسَانُ إِذَا كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا كَانَ عَابِدًا لَهَا؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ،**

تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْصَةِ »[١]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-[٢].

ثُمَّ تَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأَنْعَام: ١٥١-١٥٣].

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ[٣]، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » (١/ ٣٥) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٨٨٧) .
(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٧٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ (١٠٠٦٠).

عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأَنْعَام: ١٥١-١٥٣].

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي شَرْحِه : « ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ... ﴾ أَيْ قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: تَعَالَوا -أَيُّهَا النَّاسُ- أُخْبِرْكُمْ وَأَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَأَتْلُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَيَقِيْنٍ، لاَ عَنْ شَكٍّ وَظَنٍّ، وَأَوَّلُ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ الشِّرْكُ وَ«لَا» صِلَةٌ فَحَرَّمَ الشِّرْكَ كَمَا حَرَّمَ المُحَرَّمَاتِ، وَأَعْظَمُ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ هُوَ الشِّرْكُ.

«وَالشِّرْكُ» صَرْفُ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ .

وَاشْتَمَلَتْ الآيَاتُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَى عَشَرَةِ أُمُورٍ :

الأَوَّلُ : الشِّرْكُ.

الثَّانِي : الإِحْسَانُ إِلَىٰ الوَالِدَيْنِ، وَذِكْرُهُمَا بَعْدَ ذِكْرِ حَقِّ اللهِ يَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ حَقِّهِمَا، وَالإِسَاءَةُ إِلَيْهِمَا مِنْ أَجْرَمِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي وَقَرَنَهُمَا اللهُ بِحَقِّهِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ .

الثَّالِثُ : عَدَمُ قَتْلِ الأَوْلَادِ .

الرَّابِعُ : عَدَمُ قُرْبِ الفَوَاحِشِ مِنَ الغَيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ ، وَالزِّنَا وَالسَّرَقَةِ وَغَيْرِهِمَا.

الخَامِسُ : عَدَمُ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ .

السَّادِسُ: عَدَمُ أَكْلِ مَالِ اليَتِيْمِ، وَاليَتِيْمُ هُوَ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ الاحْتِلَامِ.

السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الكَيْلُ والوَزْنُ بِالقِسْطِ .

التَّاسِعُ : الوَفَاءُ بِعَهْدِ اللهِ .

العَاشِرُ : العَدْلُ .

وَعَهْدُ اللهِ : مَا أَوْصَىٰ بِهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، وَعَدَم مَعْصِيَتِهِ وَإِفْرَادُهُ بِالعِبَادَةِ .

وَالفَوَاحِشُ: هِيَ المَعَاصِي وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ العَقْلَ السَّلِيْمَ يُنْكِرُهَا، وَالفِطْرَةَ السَّلِيْمَةَ تُنْكِرُهَا .

وَالوَصِيَّةُ : هِيَ الأَمْرُ المُؤَكَّدُ ، أَوْصَىٰ بِشَيْءٍ إِذَا أَكَّدَهُ .

وَالعُقَلَاءُ : هُمْ الَّذِيْنَ يَعْقِلُونَ هَذِهِ الأُمُورَ ، وَيَلْتَزِمُونَهَا بِعُقُولِهِمْ .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ صِرَاطُ اللهِ هُوَ فِعْلُ الأَوَامِرِ ، وَتَرْكُ النَّوَاهِي، وَالإِخْلَاصُ لَهُ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَقِيْمُوا عَلَيْهِ وَيَلْتَزِمُوا بِهِ .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ السُّبُلُ : هِيَ البِدَعُ ، وَالأَهْوَاءُ ، وَالشَّهَوَاتُ المُحَرَّمَةُ، وَذَكَرَ العَقْلَ أَوَّلاً؛ لِأَنَّ العَبْدَ يَتَفَكَّرُ أَوَّلاً ، ثُمَّ يَتَأَمَّلُ فَيَعْرِفُ ، وَيَتَذَكَّرُ ، ثُمَّ يَتَّقِي فَيَعْمَلُ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَتْرُكُ مَا يَضُرُّهُ وَيُغْضِبُ رَبَّهُ (١) .

وَأَمَّا سَبَبُ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ ، هَذَا مَا جَاءَ

(١) «المَجْمُوع المُفِيْد شَرح كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (١/ ٢٤-٢٥) .

فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْث ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَعُهُ قَالَ : «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَخْتَلِفُوا بَعْدَهُ**» .

قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَلَبَهُ الوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا ، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **قُومُوا عَنِّي ، وَلاَ يَنْبَغِيْ عِنْدِي التَّنَازُعُ** » .

فَخَرَج ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ : « إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَيْنَ كِتَابِهِ » .

وَقَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَذْكُرُ لَكُمْ فَائِدَة عَظِيْمَةٍ ، قَالَهَا النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -:عِنْد شَرْحِهِ لِحَدِيْث ابْن عَبَّاس-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَقَالَ : « وَأَمَّا قَوْلُ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- [إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَلَبَهُ الوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا] ، فَقَدْ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ المُتَكَلِّمُونَ فِي شَرْحِ الحَدِيْثِ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ دَلاَئِلِ فِقْهِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَفَضَائِلِهِ ، وَدَقِيْق نَظَرِهِ، لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكْتُبَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمُورًا رُبَّمَا عَجزُوا عَنهَا ، وَاسْتَحَقُّوا العُقُوبَةَ عَلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا مَنْصُوصَةً لاَ مَجَالَ للاجْتِهَادِ فِيهَا، فَقَالَ عُمَرُ : حَسْبُنَا كِتَابَ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١١٤) ، ومُسْلِمٌ (١٦٣٧) .

فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، فَعُلِمَ أَنَّ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– أَكْمَلَ دِيْنَهُ فَأَيْنَ الضَّلَال عَلَىٰ الأُمَّةِ ، وَأَرَادَ التَّرْفِيْهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَكَانَ عُمَرَ أَفْقَهُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– وَمُوَفِقِيْهِ »[1] .

فَكَذَلِكَ فَعَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَقَدْ دَلَّ الأُمَّةَ عَلَىٰ الوَصِيَّةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ ، وَزِدْنَا عِلْمًا وَهُدًىٰ وَصَلاحًا وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» (١٤/ ١٥٦–١٥٧) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ : «**حَقِّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كُنْتُ رَدِيْفَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ حِمَارٍ فَقَالَ لِي : « **يَا مُعَاذُ ؛ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ؟، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ؟** » ، قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « **حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟. قَالَ : «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- حَدِيْثٌ عَظِيْمٌ رَوَاهُ صَحَابِيٌّ جَلِيْلٌ وَهُوَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ بْنُ أَوْسِ الأَنْصَارِيِّ الخَزْرَجِيِّ ، أَبُو عَبْد الرَّحْمَن ، صَحَابِي مَشْهُور مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ غَزِيْرَةٌ ، فَمِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٨٥٦) ، ومُسْلِمٌ (٣٠) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْن سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (٣/ ٥٩٠)،صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٠٩١).

رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **مُعَاذُ بْنِ جَبَلٍ ، يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ** » أَيْ: بِخَطْوَة ، أَيْ أَنَّهُ يَسْبِقُ العُلَمَاء بِرَمْيَةِ سَهْمٍ أَوْ رَمْيَةِ حَجَرٍ، وَالرَّتْوَةُ : هِيَ الدَّرَجَة وَالمَنْزِلَةُ .

وَفِي سُنَنِ النِّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «التَّعْلِيْقَاتِ الحِسَانِ» [(١)]، عَنْ مُعَاذٍ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : « **وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوْصِيْكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [(٢)] ، عَنْ مَسْرُوقٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : ذُكِرَ عَبْدُ اللهِ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرُو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **اسْتَقْرَئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ ، وَسَالِمٍ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** » ، قَالَ : لاَ أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ أَوْ مُعَاذٍ .

تِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَطْرَةٌ مِنْ مَطْرَةٍ فَضَائِلِ ذَلِكَ الصَّحَابِي الجَلِيْلِ وَمَاتَ مُعَاذٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عَمَوس .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيِّ (٣/ ٥٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِـيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «التَّعْلِيْقَاتِ الحِسَان» (٢٠١٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٦٤) .

أَيُّهَا النَّاسُ تَأَمَّلُوا قَوْلَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كُنْتُ رَدِيْفَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ حِمَارٍ ، أَيْ أَنَّهُ رَاكِبٌ مَعَهُ خَلْفَهُ عَلَىٰ حِمَارٍ أَهْلِيٍّ، لِأَنَّ الوَحْشِيَّ لاَ يُرْكَبُ ، والحِمَارُ اسْمُهُ عُفَيْرٌ .

فَيُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَوَاضُعُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِرُكُوبِ الحِمَارِ وَالإِرْدَافِ عَلَيْهِ ، خِلافًا لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الكِبْرِ ، مَعَ أَنَّهُ أَشْرَفُ الخَلْقِ .

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيْضًا- جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَىٰ الدَّابَةِ إِذَا كَانَتْ تُطِيْقُ ذَلِكَ وَلاَ يَشُقُّ عَلَيْهَا » .

فَتَأَمَّلُوا إِلَىٰ قَوْلِهِ : «**فَقَالَ لِي : يَا مُعَاذُ**» .

فَيُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُ هَذَا الحُكْمَ العَظِيْمَ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَهُ إِلَيْهِ بِطَرِيْقَةِ السُّؤَالِ وَالجَوَابِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَىٰ إِلَىٰ الانْتِبَاهِ وَالاهْتِمَامِ، فَإِنَّ التَّعْلِيْمَ عَنْ طَرِيْقِ السُّؤَالِ وَالجَوَابِ مِنْ أَعْظَمِ الطُّرُقِ النَّاجِحَةِ فِي تَعْلِيْمِ العِلْمِ ؛ لِأَنَّكَ حِيْنَ تَسْأَلُ الطَّالِبَ عَنْ شَيْءٍ يَجْهَلُهُ ثُمَّ يَتَطَلَّعُ إِلَىٰ الجَوَابِ، يَكُونُ ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تُلْقِيَ إِلَيْهِ المَسْأَلَةَ عَارِيَةً مِنَ السُّؤَالِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُنْتَبِهًا وَعَلَىٰ اسْتِعْدَادٍ لاسْتِقْبَالِهَا . فَهَذِهِ الطَّرِيْقَةُ مِنْ طُرُقِ التَّعْلِيْمِ،وَهِيَ طَرِيْقَةٌ نَبَوِيَّةٌ، اسْتَعْمَلَهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْوَالِ ، وَحَقٌّ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ

أَنْ يَسْتَخْدِمَهَا مَعَ طُلَّابِه ، بَلْ حَقٌّ لِكُلِّ أَبٍ أَنْ يَسْتَخْدِمَ طَرِيْقَةَ السُّؤَالِ وَالجَوَابِ مَعَ أَوْلاَدِهِ فَيَسْأَلُهُمْ أَيْنَ اللهُ ؟، وَمَا الدَّلِيْلُ عَلَىٰ ذَلِكَ ؟، وَهَكَذَا فِي مَسَائِلِ العِلْمِ .

وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ؟، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ؟**» .

إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ عَظِيْمَةٌ .

قَالَ مُعَاذُ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

فَيُسْتَفَادُ مِنَ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ طَالِبِ العِلْمِ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا أَنْ يَقُولُ : اللهُ أَعْلَمُ ، أَوْ : لاَ أَدْرِيْ ، وَقَوْلُ مُعَاذُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فِي حَالِ حَيَاتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقُولُ طَالِبُ العِلْمِ : اللهُ أَعْلَمُ ، لاَ يَزِيْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَلاَ يَقُولُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ يَدْرِي مَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهُ، كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي حَدِيْثِ الحَوْضِ الطَّوِيْلِ فَيَقُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَصْحَابِيْ أَصْحَابِيْ** » ، فَيُقَالُ لَهُ : « إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدُكَ » .

وَأَعُوْدَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَأَقُولُ : إِنَّهُ لَمَّا تَهَيَّأَ مُعَاذٌ لِلجَوَابِ وَتَنَبَّهَ وَتَطَلَّعَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٠٥) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٩٧) .

أَلْقَىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الجَوَابَ ، فَقَالَ : «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ أَنْ يُوَحِّدُوْهُ بِالعِبَادَةِ .

والعِبَادَةُ كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حَتَّىٰ قَامَتِ القُطْبَانِ

وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ ... لاَ بِالهَوَىٰ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ [1]

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) انْظُرْ: «الكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ» (٧٠) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**حَقِّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ**» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : « **حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ** » ، وَذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيْثِ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « **وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » .

وَهَذَا الحَقُّ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَيْسَ بِحَقٍّ وَاجِبٍ عَلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَإِنَّمَا هُوَ تَفَضُّلٌ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِأَنَّ اللهَ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ حَقٌّ لِأَحَدٍ، وَلاَ أَحَدَ يُوْجِبُ عَلَىٰ اللهِ شَيْئًا .

وَإِنَّمَا عَقِيْدَةُ المُعْتَزِلَةِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ كَذَا وَكَذَا ، يُوْجِبُونَ عَلَىٰ اللهِ بِعُقُولِهِمْ بِلاَ هُدًىٰ مِنَ اللهِ وَلَا كِتَابٍ مُنِيْرٍ ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَيَقُولُونَ : اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ

وَاجِبٌ لِخَلْقِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ تَفَضَّلَ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَتَكَرَّمَ بِهِ ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الرُّوْمُ:٤٧].

هَذَا حَقٌّ تَفَضَّلَ بِهِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ :

مَا لِلعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيْمُ الوَاسِعُ

فَمَعْنَىٰ « **وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ** » أَيْ : الحَقُّ الَّذِي تَفَضَّلَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - بِهِ ، وَأَوْجَبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، مِنْ دُونِ أَنْ يُوْجِبَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ تَكَرُّمًا مِنْهُ بِمُوْجِبِ وَعْدِهِ الكَرِيْمِ الَّذِي لاَ يُخْلِفُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ [الرُّوْمُ:٦] .

وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِالنَّارِ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** » . فَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ وَالأَكْبَرِ فَإِنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ العَذَابِ .

فَالعُصَاةُ مِنَ المُوَحِّدِيْنَ الَّذِيْنَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلَكِنْ عِنْدَهُمْ ذُنُوبٌ دُوْنَ الشِّرْكِ مِنْ سَرِقَةٍ أَوْ زِنًا أَوْ شُرْبِ خَمْرٍ ، أَوْ غَيْبَةٍ أَوْ نَمِيْمَةٍ فَهَذِهِ ذُنُوبٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهَا العَذَابَ ، وَلَكِنْ هِيَ تَحْتَ مَشِيْئَةِ اللهِ إِنْ شَاءَ اللهَ غَفَرَ لَهُمْ مِنْ دُونِ عَذَابٍ وَأَدْخَلَهُمْ الجَنَّةَ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ بِتَوْحِيْدِهِمْ وَيُدْخِلُهُمْ الجَنَّةَ .

فَالمُوَحِّدُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَآلُهُمْ إِلَىٰ الجَنَّةِ إِمَّا ابْتِدَاءً وَ إِمَّا انْتِهَاءً .

فَأَهْلُ التَّوْحِيْدِ مَآلُهُمْ إِلَىٰ الجَنَّةِ حَتَّىٰ وَلَوْ عُذِّبُوا فِي النَّارِ ، فَإِنَّهُمْ لاَ يُخَلَّدُونَ فِيْهَا ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ التَّوْحِيْدِ .

وَأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُشْرِكُونَ وَالمُنَافِقُونَ النِّفَاقَ الأَكبَرَ فَهؤُلاَءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَآلُهُمْ إِلَىٰ النَّارِ خَالِدِيْنَ مُخَلَّدِيْنَ فِيْهَا لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أَبَدًا .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ: ٤٠].

وَخِتَامًا -أَيُّهَا النَّاسُ- هَذَا الحَدِيْثُ العَظِيْمُ يَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ وَأَهَمِّيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ عَظِيْمٌ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ ، وَأَنَّ الشِّرْكَ خَطَرٌ عَظِيْمٌ وَأَنَّهُ سَبَبٌ عَظِيْمٌ فِي الخُلُودِ فِي النَّارِ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ ، وَزِدْنَا عِلْمًا وَهُدًى وَصَلاَحًا وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**» .

وَتَحْقِيْقُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَيْ تَخْلِيْصُهُ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ،وَالبِدَعِ وَالمَعَاصِي.

وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ :

الأَوَّلُ : تَرْكُ الشِّرْكِ بِأَنْوَاعِهِ : الأَكْبَرِ ، وَالأَصْغَرِ ، وَالخَفِيِّ .

الثَّانِي : تَرْكُ البِدَعِ بِأَنْوَاعِهَا .

الثَّالِثُ : تَرْكُ المَعَاصِي بِأَنْوَاعِهَا .

وَهُوَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ :

الدَّرَجَةُ الأُوْلَىٰ : وَاجِبَةٌ : وَهُوَ أَنْ يَتْرُكَ مَا يَجِبُ تَرْكُهُ مِنَ الثَّلَاثِ الَّتِي ذُكِرَتْ، فَيَتْرُكُ الشِّرْكَ خَفِيَّهُ وَجَلِيَّهُ ، صَغِيْرُهُ وَكَبِيْرَهُ ، وَيَتْرُكُ البِدَعَ ، وَيَتْرُكُ المَعَاصِي ، فَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الدَّرَجَةُ الوَاجِبَةُ .

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ : مُسْتَحَبَّةٌ : وَهِيَ الَّتِي يَتَفَاضَلُ فِيْهَا النَّاسُ مِنَ المُحَقِّقِيْنَ لِلتَّوْحِيْدِ أَعْظَمَ تَفَاضُلٍ ، وَهِيَ أَلَّا يَكُونَ فِي القَلْبِ شَيْءٌ مِنَ التَّوَجُّهِ ، أَوْ القَصْدِ لِغَيْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَيَكُونَ القَلْبُ مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ اللهِ تَوَجُّهًا

تَامًّا ، لَيْسَ فِيْهِ الْتِفَاتٌ لِغَيْرِ اللهِ » (١) .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ تَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النَّحْلُ: ١٢٠].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٢٩].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيْدِ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَىٰ الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟، فَقُلْتُ: أَنَا ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ . قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: ارْتَقَيْتُ ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟، قُلْتُ: حَدِيْثٌ حَدَّثْنَاهُ الشَّعْبِيُّ ، قَال : وَمَا حَدَّثَكُمْ ، قُلْتُ : حَدَّثْنَا بُرَيْدَةُ بْنُ الحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ .قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ،فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيْلَ لِي: هَذَا مُوْسَىٰ وَقَوْمُهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَقِيْلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتِكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ** » .

---

(١) انْظُرْ : « شَرْحُ فَتْحِ المَجِيْدِ » لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (١/ ١٥٠-١٥١) بِتَصَرُّفٍ .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٧٠٤) ، ومُسْلِمٌ (٤٢٠) .

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِيْنَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِيْنَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : « **هُمُ الَّذِيْنَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» ، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبِقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ** » .

وَهَا أَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعُودُ بِكُمْ إِلَىٰ شَرْحِ تِلْكَ الأَدِلَّةِ الدَّالَةِ عَلَىٰ تَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ ، فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النَّحْلُ:١٢] .

فَتِلْكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَرْبَعُ صِفَاتٍ وَصَفَ اللهُ بِهَا إِبْرَاهِيْمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ – :

الصِّفَةُ الأُوْلَىٰ : أَنَّهُ كَانَ أُمَّةً ، أَيْ قُدْوَةً ، وَإِمَامًا مُعَلِّمًا لِلخَيْرِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِتَكْمِيْلِهِ مَقَامَ الصَّبْرِ وَاليَقِيْنِ ، اللَّذَيْنَ تُنَالُ بِهِمَا الإِمَامَةُ فِي الدِّيْنِ .

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ كَانَ قَانِتًا للهِ ثَابِتًا عَلَىٰ الطَّاعَةِ مُخْلِصًا عَمَلَهُ للهِ .

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ كَانَ حَنِيْفًا ، والحَنِيْفُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ المُقْبِلُ عَلَىٰ

اللهِ المُعْرِضُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- .

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِيْنَ ، أَيْ : بَرِيءٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ دِيْنِهِمْ.

فَتَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَكُونُ بِهَذِهِ الأُمُورِ ، وَأَعْظَمُهَا البَرَاءَةُ مِنَ المُشْرِكِيْنَ ، فَمَنْ تَبَرَّأَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ فَهُوَ مِمَّنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَإِبْرَاهِيْمُ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيْهِ وَقَوْمِهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [المُمْتَحَنَةُ:٤].

وَذَلِكَ الاسْتِغْفَارُ لِأَبِيْهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَانَ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مَرْيَمُ:٤٧] .

لَكِنْ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ اللهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ:١١٤].

فَاسْتَفَدْنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ ذَلِكَ فَائِدَةً ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ التَّوْحِيْدُ إِلَّا

بِالبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ .

وَهُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَهِيَ أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، فَإِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- لَمَّا تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ وَهَجَرَهُمْ للهِ عَوَّضَهُ اللهُ ذُرِّيَّةً أَنْبِيَاءَ ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مَرْيَمُ: ٤٨-٤٩].

وَهَا أَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَسُوقُ لَكُمْ الدَّلِيلُ الثَّانِي مِنْ أَدِلَّةِ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ : ٥٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : «أَيْ : لاَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، بَلْ يُوَحِّدُونَهُ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا، وَأَنَّهُ لاَ نَظِيرَ لَهُ» [١] .

وَقَالَ العُلَمَاءُ : قَدَّمَ هُنَا قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ بِرَبِّهِمْ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ تَسْتَلْزِمُ العُبُودِيَّةَ ، فَصَارَ عَدَمُ الإِشْرَاكِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَعْنَاهُ عَدَمُ الإِشْرَاكِ فِي الطَّاعَةِ ، وَعَدَمُ الإِشْرَاكِ فِي

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٥/ ٤٨٠) .

العُبُودِيَّةَ ، وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَصْفُ الَّذِيْنَ حَقَّقُوا التَّوْحِيْدَ ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الإِشْرَاكِ أَلَّا يُشْرِكَ هَوَاهُ ، وَإِذَا أَشْرَكَ المَرْءُ هَوَاهُ أَتَىٰ بِالبِدَعِ ، أَوْ أَتَىٰ بِالمَعْصِيَةِ، فَصَارَ نَفْيُ الشِّرْكِ نَفْيًا لِلشِّرْكِ بِأَنْوَاعِهِ ، وَنَفْيًا لِلبِدْعَةِ ، وَنَفْيًا لِلمَعْصِيَةِ ، وَهَذَا هُوَ تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- »[١].

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ النِّهَايَةَ ، وَفَازَ بِأَعْظَمِ تِجَارَةٍ، وَدَخَلَ الجَنَّةَ بِلاَ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ »[٢].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) «شَرْحُ فَتْحِ المَجِيْدِ» لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (١/ ١٥٩) .
(٢) «تَيْسِيرُ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ » (١٠١) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**أَنَّ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ مَعَكُمْ حَدِيْثُ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيْدِ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَىٰ الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟،....... وَهُوَ حَدِيْثٌ طَوِيْلٌ .

وَمَوْضِعُ الشَّاهِدِ مِنْهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي وَصْفِ السَّبْعِيْنَ أَلْفًا الَّذِيْنَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ : «**هُمْ الَّذِيْنَ لاَ يَسْتَرْقُوْنَ ، وَلاَ يَكْتَوُوْنَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُوْنَ ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» .

فَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِهِمْ فَلَا يَلْتَبِسْ أَمْرُهُمْ بِغَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ هَذِهِ الصَّفَةَ كَالشَّامَةِ يُعْرَفُونَ بِهَا فَذَكَرَ أَرْبَعَةَ صِفَاتٍ.

الصِّفَةُ الأُوْلَىٰ : «لاَ يَسْتَرْقُوْنَ» أَيْ : لاَ يَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ أَنْ يُرْقِيَهُمْ وَلاَ يَكْوِيَهِمْ [١]، كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ - [٢] .

وَلأَنَّ الطَّالِبَ لِلرُّقْيَةِ فِي قَلْبِهِ مَيْلٌ لِلرَّاقِي حَتَّىٰ يَرْفَعَ مَا بِهِ مِنْ جِهَةِ السَّبَبِ والقَلْبُ يَتَعَلَّقُ بِالرَّاقِي وَالرُّقْيَةِ ، وَهَذَا يُنَافِي كَمَالُ التَّوْحِيْدِ لَكِنْ لاَ بَأْسَ إِذَا جَاءَكَ مَنْ يَرْقِيْكَ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَلاَ اسْتِشْرَافٍ ، فَهَذَا لاَ يَدْخُلُ فِي الكَرَاهَةَ وَلاَ يُنَافِي قَوْلُهُ «**لاَ يَسْتَرْقُوْنَ**» .

لأَنَّ هُنَاكَ ثَلاثَ مَرَاتِبِ ذَكَرَهَا العُثَيْمِيْنُ -رَحِمَهُ اللهُ - :

المَرْتَبَةُ الأُوْلَىٰ : أَنْ يَطْلُبَ مَنْ يَرْقِيْهِ ، وَهَذَا قَدْ فَاتَهُ الكَمَالُ .

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ يَمْنَعَ مَنْ يَرْقِيْهِ ، وَهَذَا خِلاَفُ السُّنَّةِ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَمْنَعْ عَائِشَةَ أَنْ تَرْقِيَهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ لَمْ يَمْنَعُوا أَحَدًا أَنْ يَرْقِيَهُمْ : لأَنَّ هَذَا لاَ يُؤَثِّرُ فِي التَّوَكُّلِ [٣].

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ : «وَلاَ يَكْتَوُوْنَ» أَيْ : لاَ يَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ أَنْ يَكْوِيَهُمْ كَمَا لاَ يَسْأَلُونَ غَيْرَهُمْ أَنْ يَرْقِيَهُمْ .

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ : «وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ» الطِّيَرَةُ شَيْءٌ يَعْرِضُ عَلَىٰ القَلْبِ مِنْ جَرَّاءِ شَيْءٍ يَحْدُثُ أَمَامَهُ ، فَإِمَّا أَنْ يَجْعَلَهُ يُقْدِمُ عَلَىٰ أَمْرٍ أَوْ أَنْ يُحْجِمَ عَنْهُ وَهُوَ

---

(١) انْظُرْ : « فَتَاوَىٰ ابْنِ تَيْمِيَةِ » (١/ ١٨٢-٣٢٨) .
(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٣/ ٤٩٥) .
(٣) «القَوْلُ المُفِيْدُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (١/ ١١١) .

أَعَمُّ مِنَ التَّشَاؤُمِ بِالطَّيْرِ ، فَقَدْ يَحْصُلُ التَّشَاؤُمُ بِالمَرْئِيَّاتِ ، أَوْ المَسْمُوعَاتِ، أَوْ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ .

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ : «وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» وَهَذِهِ صِفَةٌ جَامِعَةٌ لِلصِّفَاتِ السَّابِقَةِ .

فَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- صِفَاتُ السَّبْعِيْنَ ، وَهُمْ الَّذِيْنَ أَدَّوا الوَاجِبَاتِ، وَتَرَكُوا المُحَرَّمَاتِ والشِرْكِيَّاتِ ، وَاعْتَمِدُوا وَتَوَكَّلُوا عَلَىٰ اللهِ ، وَفَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ مَعَ أَخْذِهِمْ بِالأَسْبَابِ المُبَاحَةِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالتِّجَارَةِ، وَأَنْوَاعِ الطِّبِّ المُبَاحِ ، لَكِنْ تَرَكُوا مَا يَحُوجُهُمْ إِلَىٰ النَّاسِ كَالاسْتِرْقَاءِ أَوْ مَا فِيْهِ تَعْذِيْبٌ ، إِذَا لَمْ يَضْطَرُّوا إِلَيْهِ، وَابْتَعَدُوا عَنْ بَعْضِ المُبَاحَاتِ الَّتِي فِيْهَا نَقْصٌ، فَجَازَاهُمْ اللهُ بِأَنْ أَدْخَلَهُمْ اللهُ الجَنَّةَ لاَ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ »[1].

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِتَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ وَجَنِّبْنَا الشِّرْكَ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٥٨) .

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ

فَضْلُ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذِّنُوبِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**فَضْلِ التَّوحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**».

فَمِنْ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا ذَكَرَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ الكَرِيْمِ .

قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾**﴾ [الأَنْعَامُ:٨٢] .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ** » .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ عُتْبَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ** » .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٣٥) ، ومُسْلِمٌ (٢٨) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٥) ، ومُسْلِمٌ (٢٦٣) .

المُسْنَد » (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ نُوْحًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : آمُرُكَ بلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كَفَّةٍ ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ ، رَجَّحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً ، قَصَمَتْهُنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » .

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ... لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** » .

فَمِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَتَبَيَّنُ أَنَّ لِلتَّوْحِيْدِ فَضْلاً عَظِيْمًا ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يَقْبَلُ عَمَلاً وَاحِدًا إِلَّا بِهِ ، وَلاَ يَكُونُ العَبْدُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِهِ ، وَمِنْ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ لِمَنْ تَجَنَّبَ الشِّرْكَ بِاللهِ .

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦٥٨٣) ، وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» (٨٠١) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيِّ (٣٥٤٠) ،وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ » (٤٣٣٨) .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النِّسَاءُ:٤٨].

وَمِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيْدِ-أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ سَبَبُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الأَعْدَاءِ وَمِنَ الحُرُوبِ ، وَمِنَ البَلَاءِ، وَفِي الآخِرَةِ الأَمْنُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، كَمَا هُوَ سَبَبُ الهِدَايَةِ إِلَىٰ الحَقِّ وَمَعْرِفَةِ طَرِيْقِ الهُدَىٰ .

يَقُولُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأَنْعَامُ:٨٢] .

وَالظُّلْمُ فِي الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الشِّرْكُ .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٣) ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟، قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ : بِشِرْكٍ ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾**[لُقْمَانُ:١٣] » .

وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ (٤)،بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ:

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٦٠) ، ومُسْلِمٌ (١٢٤) .
(٤) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٣٧٨) ، وَسَنَدُهُ صَحِيْحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

فَأَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟، قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ :** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لُقْمَانُ:١٣] » .

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الظُّلْمَ المَذْكُورَ فِي الآيَةِ هُوَ الشِّرْكُ .

وَ الظُّلْمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ :

النَّوْعُ الأَوَّلُ : ظُلْمُ الشِّرْكِ وَهُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ ، لِأَنَّ اللهَ سَمَّاهُ ظُلْمًا عَظِيمًا.

النَّوْعُ الثَّانِي: ظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بِالمَعَاصِي،فَالعَاصِي إِنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهُ بِعَرْضِهَا لِعُقُوبَةِ اللهِ .

النَّوْعُ الثَّالِثُ : ظُلْمُ العَبْدِ لِلنَّاسِ بِأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ غَيْبَتِهِمْ أَوْ نَمِيْمَتِهِمْ أَوْ سَرِقَةِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ التَّعَدِّي عَلَيْهِمْ .

وَهَذِهِ هِيَ أَنْوَاعُ الظُّلْمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- ظُلْمُ الشِّرْكِ ، ظُلْمُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، وَظُلْمُ العَبْدِ لِغَيْرِهِ مِنَ المَخْلُوقِيْنَ .

وَالظُّلْمُ الَّذِي نَحْنُ نُدَنْدِنُ حَوْلَهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ ظُلْمُ الشِّرْكِ ، فَالَّذِي لاَ يَخْلِطُ إِيْمَانَهُ بِشِرْكٍ حَصَلَ لَهُ الأَمْنُ وَالهِدَايَةُ كَمَا قَالَ- تَعَالَىٰ -﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [الأَنْعَامُ:٨٢] .

أَيِ الأَمْنُ مِنَ المَخَاوِفِ وَالعَذَابِ وَالشَّقَاءِ،وَالهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ،

فَإِنْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ مُطْلَقًا ، لاَ بِشِرْكٍ وَلاَ بِمَعَاصٍ حَصَلَ لَهُمُ الأَمْنُ التَّامُّ وَالهَدَايَةُ التَّامَّةُ .

وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِالشِّرْكِ وَحْدَهُ وَلَكِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَصَلَ لَهُمْ أَصْلُ الهَدَايَةِ وَأَصْلُ الأَمْنِ ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ كَمَالُهَا »[1].

فَالآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَدُلُّ عَلَىٰ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ ، وَأَنَّهُ أَمْنٌ مِنَ العَذَابِ عَلَىٰ حَسَبِ دَرَجَاتِ العَبْدِ فِي التَّوْحِيْدِ وَالسَّلامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي.

كَمَا دَلَّتْ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ أَنَّ مَنْ خَلَطَ تَوْحِيْدَهُ بِشِرْكٍ ؛ لَيَسَ لَهُ أَمْنٌ كَمَنْ يَعْبُدُ اللهَ ، وَلَكِنَّهُ يَدْعُو مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ، وَيَسْتَغِيْثُ بِالمَوْتَىٰ ، وَيَذْبَحُ لِلقُبُورِ، فَلَيْسَ لَهُ أَمْنٌ أَبَدًا حَتَّىٰ يَتُوْبَ إِلَىٰ اللهِ - تَبارَكَ وَتَعالَىٰ - وَيُخْلِصَ التَّوْحِيْدَ .

وَاعْلَمُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ لَيْسَ المَقْصُودُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَقَطْ ، بَلْ لاَبُدَّ أَنْ يَجْتَنِبَ الشِّرْكَ وَإِلَّا فَالمُشْرِكُونَ لَهُمْ عِبادَاتٌ ، فَقَدْ كَانُوا يَحُجُّونَ، وَكَانُوا يَتَصَدَّقُونَ ، وَكَانُوا يُطْعِمُونَ الأَضْيَافَ، وَكَانُوا يُكْرِمُونَ الجِيْرَانَ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ .

وَكُلُّ عِبادَةٍ لَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ هَبَاءٌ مَنْثُورٌ ، وَلاَ تَنْفَعُ أَصْحَابَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ .

---

(١) «تَفْسِيـرُ السَّعْدِيِّ» (٢٦٣) .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفُرْقَانُ:٢٣].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ :١٨].

فَلاَ يُثَبِّتُ الأَعْمَالُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا التَّوْحِيْدُ ، وَمَا دَامَ هُنَاكَ شِرْكٌ فَالأَعْمَالُ لاَ قِيْمَةَ لَهَا مَهْمَا أَتْعَبَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِيْهَا .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّنَا عَلَىٰ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ ، وَمَكَانَةُ التَّوْحِيْدِ وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِلأَمْنِ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الدُّنْيَا ، وَالأَمْنِ مِنَ الأَعْدَاءِ ، وَالأَمْنِ مِنَ الحُرُوبِ ، وَالأَمْنِ مِنَ البَلَاءِ ، وَفِي الآخِرَةِ الأَمْنُ مِنَ عَذَابِ النَّارِ ، بِخِلافِ المُشْرِكِ ، فَلَا أَمْنَ لَهُ لاَ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ »[1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ٥٩) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

فَضْلُ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا يَزَالُ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**فَضْلِ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**».

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيْسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**».

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ-: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» يَعْنِي: نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ عَارِفًا لِمَعْنَاهَا، عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا، مُوقِنًا بِهَا.

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٨).

وَمَعْنَىٰ : «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» -أَيُّهَا النَّاسُ- أَيْ لاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ ، فَقَوْلُهُ : «**لاَ إِلَهَ**» هَذَا إِبْطَالٌ لِجَمِيْعِ المَعْبُودَاتِ مِنْ دُوْنِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - وَإِنْكَارٌ لَهَا .

وَقَوْلُهُ : «**إِلَّا اللهُ**» هَذَا إِثْبَاتٌ لِلعِبَادَةِ للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَقَوْلُهُ : «**وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ**» كَلِمَتَانِ جِيْءَ بِهِمَا لِلتَّأْكِيْدِ ، «**وَحْدَهُ**» : تَأْكِيْدٌ لِلإِثْبَاتِ ، «**لاَ شَرِيْكَ لَهُ**» : تَأْكِيْدٌ لِلنَّفْيِ .

وَقَوْلُهُ : «**وَأَنَّ مُحَمَّدًا**» هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ القُرَشِيُّ الهَاشِمِيُّ خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ .

وَقَوْلُهُ : «**عَبْدُهُ**» أَيْ : لَيْسَ شَرِيْكًا مَعَ اللهِ .

وَقَوْلُهُ : «**وَرَسُولُهُ**» أَيْ : المَبْعُوثُ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ كَاذِبًا عَلَىٰ اللهِ .

وَقَوْلُهُ : «**وَأَنَّ عِيْسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» أَيْ : خِلاَفًا لِمَا يَعْتَقِدُهُ النَّصَارَىٰ أَنَّهُ اللهُ ، أَوْ ابْنُ اللهِ ، أَوْ أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا ﴿ **مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ** ﴾ [المُؤْمِنُونَ:٩١] .

فَلاَ بُدَّ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ عِيْسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَيَقِيْنٍ بِأَنَّهُ مَمْلُوكٌ للهِ ، خَلَقَهُ مِنْ أُنْثَىٰ بِلاَ ذَكَرٍ ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ- : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩** ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٥٩] .

وَقَوْلُهُ : «**وَكَلِمَتُهُ**» إِنَّمَا سُمِّيَ عِيْسَىٰ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- «**وَكَلِمَتُهُ**»

لِأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ بِكَلِمَةِ ﴿ كُن ﴾ فَأُطْلِقَتْ عَلَيْهِ الكَلِمَةُ ، لِأَنَّ اللهَ أَوْجَدَهُ بِهَا ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ البَشَرِ ؛ فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَلَقَهُمْ بِسَبَبٍ مِنَ الأَسْبَابِ.

وَقَوْلُهُ : «**أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ** » أَيْ بِالكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيْلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَىٰ مَرْيَمَ ، فَنَفَخَ فِيْهَا مِنْ رُوْحِهِ بِأَمْرِ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَكَانَ عِيْسَىٰ بِإِذْنِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - فَهُوَ نَاشِيءٌ عَنْ الكَلِمَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ : ﴿ كُن ﴾ فَكَانَ.

وَقَوْلُهُ : «**وَرُوْحٌ مِنْهُ** » أَيْ أَنَّ عِيْسَىٰ رُوْحٌ مِنَ الأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ وَاسْتَنْطَقَهَا بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأَعْرَافُ:١٧٢] ، بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ مَرْيَمَ فَدَخَلَ فِيْهَا ، فَهُوَ رُوْحٌ مِنْ أَرْوَاحِ اللهِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ ، وَإِنَّمَا أَضَافَهَا إِلَىٰ نَفْسِهِ إِضَافَةَ تَشْرِيْفٍ.

وَقَوْلُهُ : «**الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ**» أَيْ : وَشَهِدَ بِأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ ، وَهِيَ جَزَاءَ المُوَحِّدِيْنَ المُتَّقِيْنَ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَهِيَ جَزَاءٌ لِلمُشْرِكِيْنَ الكَافِرِيْنَ، فَمَنْ اعْتَقَدَ هَذِهِ العَقِيْدَةَ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَأَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ العَمَلِ .

وَ مَعْنَىٰ : «**وَأَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ العَمَلِ**» أَيْ : مِنْ صَلَاحٍ أَوْ فَسَادٍ ، لِأَنَّ التَّوْحِيْدَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا قَالَ الحَافِظُ فِي الفَتْحِ(١).

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي حَدِيْثِ عُتْبَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

---

(١) «فَتْحُ البَارِيِّ» (٦/ ٤٧٥) .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنَّ اللهَ حَـرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَـنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِيْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ** » .

أَيْ : مَنْ قَالَهَا بِصِدْقٍ وَمَاتَ عَلَيْهَا ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ .

وَأَمَّا حَدِيْثُ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَمْرُو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَنَّ نُوْحًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : آمُرُكَ بلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كَفَّة ، [أَيْ فِي كَفَّةِ المِيْزَانِ] ؛ وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ ، رَجَّحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » . وَذَلِكَ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ الشِّرْكِ ، وَتَوْحِيْدِ اللهِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ .

وَأَمَّا حَدِيْثُ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ... لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** » .

فَيَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ - : « فَيُعْفَىٰ لِأَهْلِ التَّوْحِيْدِ المَحْضِ الَّذِي لَمْ يَشُوبُوهُ بِالشِّرْكِ مَا لاَ يُعْفَىٰ لِمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ، فَلَوْ لَقِيَ المُوَحِّدُ الَّذِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا أَلْبَتَّةَ رَبَّهُ بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ؛ أَتَاهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ، وَلاَ يَحْصُلُ هَذَا لِمَنْ نَقُصَ تَوْحِيْدُه ، وَشَابَهُ بِالشِّرْكِ ، فَإِنَّ التَّوْحِيْدَ الخَالِصَ الَّذِي

لاَ يَشُوبُهُ شِرْكٌ لاَ يَبْقَىٰ مَعَهُ ذَنْبٌ ؛ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ ، وَإِجْلاَلِهِ، وَتَعْظِيْمِه، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِه وَحْدَهُ مَا يُوجِبُ غَسْلَ الذُّنُوبِ ، وَلَوْ كَانَتْ قُرَابَ الأَرْضِ؛ فَالنَّجَاسَةُ عَارِضَةٌ وَالدَّفْعُ لَهَا قَوِيٌّ » (١) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (١/ ٦٤) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ** » .

وَالشِّرْكُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعْظَمُ الذُّنُوبِ ؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَخْبَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ ، وَمَا دُوْنَهُ مِنَ الذُّنُوبِ فَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ المَشِيْئَةِ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَهُ لِمَنْ لَقِيَهُ بِهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِهِ وَذَلِكَ يُوْجِبُ لِلْعَبْدِ شِدَّةَ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ عِنْدَ اللهِ ؛ لِأَنَّهُ أَقْبَحُ القَبِيْحِ، وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ ، وَتَنَقُّصُ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ، وَصَرْفُ خَالِصِ حَقِّهِ لِغَيْرِهِ [(١)].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النِّسَاءُ : ٤٨].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَاكِيًا عَنْ الخَلِيْلِ إِبْرَاهِيْمَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:﴿ **وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ** ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ : ٣٥].

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » [(٢)] ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ** » ، قَالُوا:

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٢٨) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٧٧٤٢) ،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (١٥٥٥) .

وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : « **الرِّيَاءُ** » .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النِّسَاءُ : ٤٨].

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - : «أَمَّا دُخُولُ المُشْرِكِ النَّارُ فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ ، فَيَدْخُلُهَا وَيُخَلَّدَ فِيْهَا ، وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ الكِتَابِيِّ وَاليَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ ، وَبَيْنَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَسَائِرِ الكَفَرَةِ ، وَلاَ فَرْقَ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ بَيْنَ الكَافِرِ عِنَادًا وَغَيْرِهِ ، وَلاَ بَيْنَ مَنْ خَالَفَ مِلَّةَ الإِسْلَامِ وَبَيْنَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ حَكَمَ بِكُفْرِهِ بِجَحْدِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَّا دُخُولُ مَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ الجَنَّةَ فَهُوَ مَقْطُوعٌ لَهُ بِهِ ، لَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ كَبِيْرَةٍ ، مُصِرًا عَلَيْهَا دَخَلَ الجَنَّةَ أَوَّلًا، وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ كَبِيْرَةٍ مُصِرًا عَلَيْهَا وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ ، فَهُوَ تَحْتَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٩٧) وَاللَّفْظُ لَهُ ، ومُسْلِمٌ (٩٢) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٣) .

المَشِيْئَةِ ، فَإِنْ عُفِيَ عَنْهُ دَخَلَ الجَنَّةَ أَوَّلًا، وَإِلَّا عُذِّبَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ » [١].

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لاَ اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُوجِبُ الخَوْفَ مِنَ الشِّرْكِ ؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَطَعَ المَغْفِرَةَ عَنِ المُشْرِكِ، وَأَوْجَبَ لَهُ الخُلُودَ فِي النَّارِ وَأَطْلَقَ وَلَمْ يُقَيِّدْ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّسَاءُ : ٤٨].

فَخَصَّصَ وَقَيَّدَ فِيمَا دُوْنَ الشِّرْكِ فَهَذَا الذَّنْبُ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ ، -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يَأْمَنُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ فَلاَ يُرْجَىٰ لَهُ مَعَهُ نَجَاةٌ ، إِنْ لَمْ يَتُبْ قَبْلَ الوَفَاةِ[٢].

كَمَا لاَ يَجُوزُ -أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [الزُّمَرُ:٥٣] أَيْ: حَتَّىٰ الشِّرْكَ بِشَرْطِ التَّوْبَةِ مِنْهُ .

فَهُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- عَمَّمَ وَأَطْلَقَ لِأَنَّ المُرَادَ بِهِ التَّائِبُ ، وَهُنَاكَ خَصَّ وَعَلَّقَ ؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِهِ مَنْ لَمْ يَتُبْ » [٣].

وَلَوْ كَانَ المَقْصُودُ مِنَ الآيَةِ صَاحِبَ التَّوْبَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَدَخَلَ الشِّرْكُ

---

(١) «قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِيْنَ» (١٥١-١٥٢) .
(٢) « المَرْجِعُ السَّابِقُ » (١٥١-١٥٢) .
(٣) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٣٠) .

فِي المَغْفِرَةِ ؛ فَإِنْ الشِّرْكَ يَغْفِرُهُ اللهُ لِمَنْ تَابَ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ – تَعَالَىٰ – : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأَنْفَالُ: ٣٨] .

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفُرْقَانُ : ٦٨] ، ثُمَّ قَالَ – تَعَالَىٰ – بَعْدَهَا : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفُرْقَانُ : ٧٠] .

وَأَمَّا بِدُونَ تَوْبَةٍ –أَيُّهَا النَّاسُ– فَإِنَّ الشِّرْكَ لاَ يَغْفِرَهُ اللهُ ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الذُّنُوبِ، فَهِيَ إِلَىٰ اللهِ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ [(١)].

وَتَأَمَّلُوا –أَيُّهَا النَّاسُ– إِلَىٰ قَوْلِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ:٣٥].

فَإِذَا كَانَ الخَلِيْلُ إِمَامَ الحُنَفَاءِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ أُمَّةً وَحْدَهُ ، وَابْتَلَاهُ اللهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، وَقَالَ : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النَّجْمُ:٣٧] .

وَأَمَرَهُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ فَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَكَسَّرَ الأَصْنَامَ وَاشْتَدَّ نَكِيْرُهُ عَلَىٰ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَمَعَ ذَلِكَ –أَيُّهَا النَّاسُ– يَخَافُ أَنْ يَقَعَ فِي الشِّرْكِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لاَ يَصْرِفُهُ عَنْهُ إِلَّا اللهُ بِهِدَايَتِهِ وَتَوْفِيْقِهِ لاَ بِحَوْلِهِ

---

(١) انْظُرْ : « حَاشِيَةَ فَتْحِ المَجِيْدِ » (١٣٢) لأَخِيْنَا الشَّيْخِ / مُحَمَّدِ بْنِ حِزَامٍ البَعْدَانِـيِّ.

هُوَ وَقُوَّتِه .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ إِبْرَاهِيْمُ التَّيْمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَمَنْ يَأْمَنُ البَلاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيْمَ ؟!! » (١).

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَمْرٌ لاَ يُؤْمَنُ مِنَ الوُقُوعِ فِيْهَ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيْهِ الأَذْكِيَاءُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ ، فَبُنِيَتْ المَسَاجِدُ وَالمَشَاهِدُ عَلَىٰ القُبُورِ، وَصُرِفَتْ لَهَا العِبَادَاتُ بِأَنْوَاعِهَا، وَاتُّخِذَ ذَلِكَ دِيْنًا، وَهِيَ أَوْثَانٌ وَأَصْنَامٌ كَأَصْنَامِ قَوْمِ نُوْحٍ ، وَكَاللَّاتِ والعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ، وَأَصْنَامِ العَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، فَمَا أَشْبَهَ مَا وَقَعَ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِحَالِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، بَلْ وَقَعَ مَا هَوْ أَعْظَمُ مِنَ الشِّرْكِ فِي الإِلَهِيَّةِ : الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مِمَّا يَطُولُ عَدُّهُ فَذَكَرَ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السَّبَبَ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُ الخَوْفَ مِنَ الشِّرْكِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ : ٣٦] (٢).

فَلاَ يَأْسَفُ مِنَ الوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا مَنْ هُوَ جَاهِلٌ بِهِ ، وَبِمَا يُخَلِّصُهُ مِنْهُ ، مِنَ العِلْمِ بِاللهِ ، وَبِمَا بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ تَوْحِيْدِهِ وَالنَّهْيِ عَنْ الشِّرْكِ بِهِ » (٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرِ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيْرِهِ» (١٣/ ١٥٢) .
(٢) «قُرَّةُ عَيْنِ المُوَحِّدِيْنَ» (١٥٢-١٥٤) .
(٣) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٣١) .

وَهُنَا مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ يَغْفَلُ عَنْهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَهِيَ هَلْ المَغْفِرَةُ مُنْتَفِيَةٌ عَمَّنْ أَشْرَكَ شِرْكًا أَكْبَرَ وَأَشْرَكَ شِرْكًا أَصْغَرَ .

قَالَ العُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النِّسَاءُ : ٤٨]. فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ المَغْفِرَةَ لا تكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ شِرْكًا أَكْبَرَ وَأَشْرَكَ شِرْكًا أَصْغَرَ، فَإِنَّ الشِّرْكَ لا يَدْخُلُ تَحتَ المَغْفِرَةِ ، بَلْ يَكُونُ بِالمُوَازَنَةِ، لا يُغْفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ، فَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ فَهُوَ غَيْرُ مَغْفُورٍ لَهُ مَا فَعَلَهُ مِنَ الشِّرْكِ، وَقَدْ يُغْفَرُ غَيْرُ الشِّرْكِ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّسَاءُ : ٤٨] . فَجَعَلُوا الآيَةَ دَلِيْلاً عَلَىٰ أَنَّ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ وَالأَصْغَرَ لا يَدْخُلُ تَحتَ المَشِيْئَةِ .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- اخْتِيَارُ شَيْخِ الإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ المُحَقِّقِيْنَ .

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ : إِنْ قَوْلَهُ : ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ دَالَّةٌ عَلَىٰ العُمُوْمِ ، وَلَكِنَّ هَذَا عُمُومٌ مُرَادٌ بِهِ خُصُوص الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ أَيْ: الشِّرْكَ الأَكْبَرَ فَقَطْ دُوْنَ غَيْرِهِ ، وَأَمَّا مَا دُونَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ فَإِنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ المَشِيْئَةِ ، فَيَكُونُ العُمُوْمُ فِي الآيَةِ مُرَادًا بِهِ الخُصُوْصُ ؛ فَالشِّرْكُ غَالِبًا مَا يُطْلَقُ فِي القُرْآنِ عَلَىٰ الأَكْبَرِ دُونَ الأَصْغَرِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ

وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائِدَةُ:٧٢].

فَفِي الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يُشۡرِكۡ﴾ وَيُشْرِكْ فِعْلٌ دَاخِلٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ فَيَكُونُ عَامًّا، فَهَلْ يَدْخُلُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ وَالخَفِيُّ فِيْهِ.

بِالإِجْمَاعِ لاَ يَدْخُلُ؛ لِأَنَّ تَحْرِيْمَ الجَنَّةِ، وَإِدْخَالَ النَّارِ وَالتَّخْلِيْدَ فِيْهَا، إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ المَوْتِ عَلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، فَدَلَّنَا ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ أَنَّ المُرَادَ بِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾.

إِنَّهُمْ أَهْلُ الإِشْرَاكِ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ، فَلَمْ يَدْخُلْ الأَصْغَرُ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَا دُوْنَهُ، أَوْ أَنْوَاعُ الأَصْغَرِ.

فَيَكُونُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهْمُ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٨].

عَلَىٰ فَهْمُ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائِدَةُ:٧٢].

وَعَلَىٰ فَهْمُ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾ [الحَجُّ:٣١].

فَيَكُونُ إِذَنْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ هَذَا القَوْلِ أَنَّ المُرَادَ بِهَا نُفِيَ هُنَا ﴿لَا يَغۡفِرُ﴾

الشِّرْكَ الأَكْبَرُ.

فَالَّذِي يَظْهَرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ دَاخِلٌ تَحْتَ المَشِيْئَةِ، لِأَنَّ كَثِيْرًا مِنَ السَّلَفِ يَعُدُّوْنَ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَّبِعُ فِيْهَا هَوَاهُ؛ وَلِأَنَّ الكَبَائِرَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ المَشِيْئَةِ وَالغُفْرَانِ لِحَدِيْثِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُمْ عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ، وَتَرْكِ السَّرِقَةِ وَالزِّنَىٰ، قَالَ: «**مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوْقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا؛ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَمْ يُعَاقَبْ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**» وَالحَدِيْثُ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1].

وَلَمَّا كَانَ اخْتِيَارُ إِمَامِ الدَّعْوَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَغَيْرِهِ مِنَ المُحَقِّقِيْنَ كَشَيْخِ الإِسْلَامِ، وَابْنِ القَيِّمِ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ العُمُومَ فِي عَدَمِ المَغْفِرَةِ لِلْمُشْرِكِ يَعُمُّ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ وَالأَصْغَرَ وَالخَفِيَّ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الاسْتِدْلَالُ صَحِيْحًا، فَإِنَّهُ يَجِبُ الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ أَعْظَمَ الخَوْفِ[2].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٥٧)، ومُسْلِمٌ (١٧٠٩).

(٢) انْظُرْ: «شَرْحَ فَتْحِ المَجِيْدِ» لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (١٨٢-١٨٤).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ:

أَلْقَيْتُ عَلَىٰ مَسَامِعَكُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ** » ، **فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ** :«**الرِّيَاءُ**» .

فَإِذَا كَانَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَخُوفًا عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ كَمَالِ عِلْمِهِمْ ، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ فَكَيْفَ لاَ يَخَافُهُ، وَمَا فَوْقَهُ مَنْ هُوَ دُوْنَهُمْ فِي العِلْمِ ، وَالإِيْمَانِ بِمَرَاتِبَ ؟ » [١] .

وَ الرِّيَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قِسْمَانِ : رِيَاءُ المُسْلِمِ ، وَرِيَاءُ المُنَافِقِ :

رِيَاءُ المُنَافِقِ فِي أَصْلِ الدِّيْنِ أَيْ : يُرَائِي بِإِظْهَارِ الإِسْلَامَ وَيُبْطِنُ الكُفْرَ

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٧٦) .

﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النِّسَاءُ :١٤٢] .

وَرِيَاءُ المُسْلِمِ المُوَحِّدِ ؛ أَنْ يُحسِنَ صَلاتَهُ مِنْ أَجْلِ نَظَرِ الرَّجُلِ ، أَوْ أَنْ يُحَسِّنَ تِلَاوَتَه ؛ لِأَجْلِ التَّسْمِيْعِ أَنْ يُمْدَحَ ، وَيُسَمِّعَ لاَ لِأَجْلِ التَّأْثِيْرِ (١) .

فَالرِّيَاءُ : أَنْ يَعْبُدَ اللهَ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيَمْدَحُوهُ عَلَىٰ كَوْنِهِ عَابِدًا ، أَمَّا إِذَا أَرَادَ بِعِبَادَتِهِ أَنْ يَقْتَدِيَ النَّاسُ بِهِ فِيْهَا فَلَيْسَ هَذَا رِيَاءً، بَلْ هَذَا مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالرَسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»(٢)، مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: « **فَعَلْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي وَتَعْلَمُوا صَلَاتِي** » .

وَالرِّيَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ إِبْطَالِهِ لِلعِبَادَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

الأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ الرِّيَاءَ فِي أَصْلِ العِبَادَةِ ، أَيْ : مَا قَامَ يَتَعَبَّدُ إِلَّا لِلرِّيَاءِ ، فَهَذَا عَمَلُهُ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ لِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **يَقُولُ اللهُ : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » (٣).

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الرِّيَاءُ طَارِئًا عَلَىٰ العِبَادَةِ ، أَيْ : أَنَّ أَصْلَ العِبَادَةِ للهِ ، لَكِنْ طَرَأَ عَلَيْهَا الرِّيَاءُ ، فَهَذَا يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

---

(١) «شَرْحُ فَتْحِ المَجِيْدِ» (١/ ١٩١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٩١٧) ، ومُسْلِمٌ (٣٨٦) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٥) .

الأَوَّلُ : أَنْ يُدَافِعَهُ ، فَهَذَا لاَ يَضُرُّهُ .

مِثَالُهُ : رَجُلٌ صَلَّىٰ رَكْعَةً ، ثُمَّ جَاءَ أُنَاسٌ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَحَصَلَ فِي قَلْبِهِ شُيْءٌ بِأَنْ أَطَالَ الرُّكُوعَ أَوْ تَبَاكَىٰ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنْ دَافَعَهُ فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ بِالجِهَادِ .

القِسْمُ الثَّانِي : أَنْ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ فَكُلُّ عَمَلٍ يَنْشَأُ عَنْ الرِّيَاءِ فَهُوَ بَاطِلٌ، كَمَا لَوْ أَطَالَ القِيَامَ أَوْ الرُّكُوْعَ ، أَوْ السُّجُودَ ، أَوْ تَبَاكَىٰ ، فَهَذَا كُلُّ عَمَلِهِ حَابِطٌ، لَكِنْ هَلْ هَذَا البُطْلَانُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَمْتَدُّ لِجَمِيْعِ العِبَادَةِ أَمْ لاَ ؟.

قُلْنَا : لاَ يَخْلُوا هَذَا مِنْ حَالَتَيْنِ :

الحَالَةُ الأُوْلَىٰ - أَنْ يَكُونَ آخِرَ العِبَادَةِ مَبْنِيًّا عَلَىٰ أَوَّلِهَا بِحَيْثُ لاَ يَصِحُّ أَوَّلُهَا مَعَ فَسَادِ آخِرِهَا ، فَهَذِهِ كُلُّهَا فَاسِدَةٌ .

الحَالَةُ الثَّانِيَةُ - أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ العِبَادَةِ مُنْفَصِلاً عَنْ آخِرِهَا ، بِحَيْثُ يَصِحُّ أَوَّلُهَا دُوْنَ آخِرِهَا فَمَا سَبَقَ الرِّيَاءَ فَهُوَ صَحِيْحٌ ، وَمَا كَانَ بَعْدَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ [١] .

وَأَلْقَيْتُ عَلَىٰ مَسَامِعَكُمْ حَدِيْثَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ** » .

وَحَدِيْثَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ١١٨) .

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « النِّدُّ الشَّبِيْهُ، يُقَالُ: فُلاَنٌ نِدُّ فُلاَنٍ ، وَنَدِيْدُهُ أَيْ: مِثْلُهُ وَشَبْهُهُ » [١].

قَوْلُهُ «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو للهِ نِدًّا** » أَيْ : يَجْعَلُ للهِ نِدًّا فِي العِبَادَةِ يَدْعُوهُ وَيَسْأَلُهُ وَيَسْتَغِيْثُ بِهِ ، دَخَلَ النَّارَ .

وَهُوَ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ :

الأَوَّلُ - أَنْ يَجْعَلَهُ للهِ شَرِيْكًا فِي أَنْوَاعِ العِبَادَةِ أَوْ بَعْضِهَا، وَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

الثَّانِي - مَا كَانَ مِنْ نَوْعِ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ كَقَوْلِ الرَّجُلِ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، وَلَوْلاَ اللهُ وَأَنْتَ ، وَكَيَسِيْرِ الرِّيَاءِ .

لِمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ » [٢] ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَهُ الطُّفَيْلُ وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَىٰ رُؤْيَا وَفِيْهَا أَنَّ يَهُودِيًّا قَالَ : إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : « **مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

---

(١) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (٢/ ٣٢٥) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/ ٧٠٢) ، وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٥٢٤) .

وَأَمَّا حَدِيْثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وَقَوْلُهُ : « **مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ** » هُوَ الإِخْلاَصُ .

وَقَوْلُهُ : « **وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ** » . هَذَا هُوَ الشِّرْكُ ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَ بِالشِّرْكِ دَخَلَ النَّارَ قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، أَمَّا الشِّرْكُ الأَكْبَرُ فَلاَ عَمَلَ مَعَهُ ، وَيُوجِبُ الخُلُودَ فِي النَّارِ .

وَأَمَّا الأَصْغَرُ كَيَسِيْرِ الرِّيَاءِ ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُهُ: مَا لِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ ، فَهَذَا لاَ يُكَفَّرُ إِلَّا بِرُجْحَانِ الحَسَنَاتِ بِالسَّيْئَاتِ» [1].

نَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ إِلَىٰ أَنْ نَلْقَىٰ اللهَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكَ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مَنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِيْنَ » (١٥٨) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

الدُّعَاءُ إِلَىٰ شِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**الدُّعَاءِ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يُوْسُف:١٠٨].

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ : «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ** » وَفِي رِوَايَةٍ : « **إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُو اللهَ** » ، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ** » .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « **لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، يُحِبُّهُ اللهَ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ** » .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٩٦) وَاللَّفْظُ لَهُ ، ومُسْلِمٌ (١٩) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٧٠١) ، ومُسْلِمٌ (٢٤٠٦) .

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ؟، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : « **أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟** » ، فَقِيْلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ . فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ ، فَقَالَ: «**انفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِيْهِ ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** » . وَمَعْنَىٰ يَدُوكُونَ : أَيْ يَخُوضُونَ .

فَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** ﴾ .

يَقُولُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِنَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ أَيْ هَذِهِ طَرِيْقَتِي ، وَهَذَا دَأْبِي ﴿ **أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ أَيْ إِلَىٰ تَوْحِيْدِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِالعِبَادَةِ وَنَبْذِ كُلِّ مَا يُدْعَىٰ مِنْ دُوْنِهِ سَوَاءً كَانُوا أَنْبِيَاءَ أَوْ صَالِحِيْنَ أَوْ أَحْجَارًا أَوْ أَصْنَامًا أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا ، وَيُدَبِّرُ أُمُورَنَا، وَهُوَ الَّذِي نُفُوسُنَا فِي يَدِهِ ، وَقُلُوبُنَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُصْرَفَ العِبَادَةُ لِأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ غَيْرُهُ أَوْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِهِ كُلُّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ لَا يَجُوزُ فِعْلُهُ [١].

---

(١) «الشَّـرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٢٦) .

وَفِي قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ تَنْبِيْهٌ عَلَىٰ الإِخْلاَص فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ نَفْسِهِ فَقَدْ يَكُونُ الإِنسَانُ يَدْعُو وَيُحَاضِرُ وَيَخْطُبُ، لَكِنَّ قَصْدَهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَبَيَّنُ شَأْنُهُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَيَصِيْرُ لَهُ مَكَانَةٌ ، وَيُمْدَحُ عِنْدَ النَّاسِ، وَيَتَجَمْهَرُونَ عَلَيْهِ ، وَيَكْثُرُونَ حَوْلَهُ ، فَإِذَا كَانَ هَذا مَقْصَدَهُ ، فَهُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَىٰ اللهِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ نَفْسِهِ .

فَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ –أَيُّهَا النَّاسُ– تَرَكَ وَاجِبًا عَظِيْمًا ، وَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ فِي الدَّعْوَةِ يَقَعْ فِي مَحْظُورٍ عَظِيْمٍ ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ وَيَكُونَ القَصْدُ مِنْهَا إِقَامَةَ شَرْعِ اللهِ ، وَهِدَايَةَ النَّاسِ،وَنَفْعَ النَّاسِ مَدَحُوكَ أَوْ ذَمُّوكَ[١].

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أَيْ عَلَىٰ عِلْمٍ وَلَيْسَ المَقْصُودُ –أَيُّهَا النَّاسُ– بِالعِلْمِ فِي قَوْلِهِ ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ العِلْم بِالشَّرْعِ فَقَطْ ، بَلْ يَشْمَلُ ، العِلْمَ بِالشَّرْعِ ، وَالعِلْمَ بِحَالِ المَدْعُوِّ ، وَالعِلْمَ بِالسَّبِيْلِ المُوصِلِ إِلَىٰ المَقْصُودِ، وَهُوَ الحِكْمَةُ ، فَيَكُونُ بَصِيْرًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَبَصِيْرًا بِحَالِ المَدْعُوِّ ، وَبَصِيْرًا بِالطَّرِيْقِ المُوَصِّلَةِ لِتَحْقِيْقِ الدَّعْوَةِ ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**»[٢] .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ أَيْ : وَأَتْبَاعِي يَدْعُونَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ ، فَدَلَّ

---

(١) «شَـرْحُ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ١٠٢) .

(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ١٣٠) .

عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَىٰ اللهِ لَمْ يُحَقِّقْ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَنَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ اللهَ عَلَىٰ جَهْلٍ لَمْ يُحَقِّقْ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بَلْ أَنَّهُ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيمَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَصَارَ خَطَرًا عَلَىٰ الدَّعْوَةِ وَعَلَىٰ الدُّعَاةِ[١].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصَائِرِ الدَّاعِينَ إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ، فَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ عَلَىٰ الاِنْتِسَابِ وَالدَّعْوَىٰ »[٢].

وَقَوْلُهُ ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ نَزَّهَ اللهُ نَفْسَهُ مِمَّا لاَ يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ ؛ وَالقَوْلِ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِلاَ عِلْمٍ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ، كَمَا تَبَرَّأَ مِنْهُمْ خَلِيْلُ اللهِ إِبْرَاهِيْمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[النَّحْلُ:١٢٠].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[النَّحْلُ:١٢٣].

فَفِيْهِ البَرَاءَةُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَهِيَ قَطْعُ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْمُنَاصَرَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ

---

(١) «شَـرْحُ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ١٠٣) .
(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ » (٢/ ٤٨٢) .

المُشْرِكِيْنَ »[(١)] .

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ : «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » وَفِي رِوَايَةٍ : « **إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُو اللهَ** » .

هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ .

فَفِي الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْحِيْدَ هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ ؛ لِأَنَّهُ أَسَاسُ المِلَّةِ ، وَأَصْلُ دِيْنِ الإِسْلَامِ »[(٢)] .

قَوْلُهُ: وَفِي رِوَايَةٍ : « **إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُو اللهَ** » وَمَعْنَاهَا : تَوْحِيْدُ اللهِ بِالعِبَادَةِ، وَنَفْيُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ «**فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللهِ**»[(٣)] .

وَذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ ، وَالإِيمَانُ بِاللهِ ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البَقَرَة:٢٥٦] .

وَالعُرْوَةُ الوُثْقَىٰ هِيَ : « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » .

(١) «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (١/ ١٠٣) .
(٢) «قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِيْنَ » (١٦٤) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٥٨) ، ومُسْلِمٌ (١٩) .

وَفِي رِوَايَةٍ «**ادْعُوهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**»[١].

فَدَلَّ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُقْبَلُ إِلَّا مَعَ قَرِيْنَتِهَا، شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِمَا فَإِنَّهُ لَا يُعَدُّ مُسْلِمًا، إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ إِلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَتَفَرُّدِهِ بِهَا،إِذَا جَمَعَ إِلَىٰ ذَلِكَ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُوَ فَصَلَ الشَّهَادَتَيْنِ بِأَنْ اعْتَقَدَهُمَا فِي قَلْبِهِ وَنَطَقَهُمَا بِلِسَانِهِ، فَهُوَ الْمُوَحِّدُ الْمُنْقَادُ، وَيُتْبِعُ ذَلِكَ العَمَلَ بِالْجَوَارِحِ لِلأَعْمَالِ الْمُقْتَضِيَةِ لِهَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَالَّتِي لَا تَتِمُّ الشَّهَادَتَانِ إِلَّا بِهِمَا وَمِنْ ذَلِكَ أَدَاءُ الصَّلَاةِ[٢].

وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ «**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ**» أَيْ وَافَقُوكَ عَلَيْهِ وَقَبِلُوهُ مِنْكَ وَعَمِلُوا بِهِ «**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» وَالْخَمْسُ صَلَوَاتٍ هِيَ:الظُّهْرُ، وَالعَصْرُ، وَالْمَغْرِبُ، وَالعِشَاءُ، وَالفَجْرُ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيهَا، فَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾**﴾ [البَقَرَةُ: ٢٣٨].

وَالإِشَارَةُ بِالوُسْطَىٰ إِلَىٰ أَنَّهَا خَمْسٌ، وَالوُسْطَىٰ هِيَ العَصْرُ؛ لِأَنَّهَا تَوَسَّطَتْ بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَالظُّهْرِ فِي النَّهَارِ، وَالْمَغْرِبِ وَالعِشَاءِ، فِي اللَّيْلِ، وَالأَمْرُ بِهَذِهِ الْخَمْسِ الصَلَوَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَمْرٌ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُ لَهَا مِنْ شَرَائِطَ وَفَرَائِضَ وَوَاجِبَاتٍ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٩٥)، ومُسْلِمٌ (١٩).

(٢) «الشَّرْحُ الْمُوجَزُ الْمُمَهِّدُ لِتَوْحِيْدِ الْخَالِقِ الْمُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٢٦).

ثُمَّ قَالَ : « **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ** » .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- حَقُّ اللهِ فِي المَالِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ حَقُّ اللهِ فِي البَدَنِ .

وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ هَذَا المَالَ يُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَيَرِدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ ، فَنَفْعُهُ يَعُودَ إِلَيْهِمْ أَيْ إِلَىٰ إِخْوَانِهِمْ ، وَذَلِكَ حَقٌّ جَعَلَهُ اللهِ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ لِيُوَاسِيَ بِهِ الفُقَرَاءَ ، وَلأَنَّهُ سَبَبٌ فِي رِضَا اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وَ سَبَبٌ لِدَفْعِ شَرِّ الفُقَرَاءِ حَتَّىٰ لاَ يَتَّهِمُوا الأَغْنِيَاءَ بِالاسْتِئْثَارِ ، وَسَبَبٌ فِي بَرَكَةِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - لَهُمْ فِي تِلْكَ الأَمْوَالِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سَبأ : ٣٩].

ثُمَّ قَالَ : « **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ** » .

أَيْ لاَ تَأْخُذْهَا فِي الزَّكَاةِ فَتَظْلِمَهُمْ بِأَخْذِ الكَرائِمِ الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْهِمْ ، فَلاَ يَجُوزُ لِمَنْ يَسْتَلِمُ الزَّكَاةَ أَنْ يأَخْذَ الكَرِيْمَةَ ، كَمَا لاَ يَجُوزُ لِلْمُعْطِي أَنْ يَبْذُلَ اللَّئِيْمَةَ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأَخْذُ مِنَ الوَسَطِ مَا بَيْنَ الكَرِيْمَةِ وَاللَّئِيْمَةِ إِلَّا فِي حَالَةِ أَنْ يَبْذُلَ المُعْطِي الكَرِيْمَةَ طَوْعًا مِنَ نَفْسِهِ .

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ مُتَحَصِّلِ الزَّكَاةِ أَنْ لاَ يَتَعَرَّضَ لِدَعْوَةِ المَظْلُومِ ، فَبَعْضُ مُتَحَصِّلِيْنَ يَشُقُّونَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ

يَدْفَعُوا لَهُمْ الرَّشْوَةِ مُكْرَهِيْنَ فَيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِدَعْوَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ، هَذَا إِذَا لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ كَرَائِمِ أَمْوَالِهِمْ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ** »(١) .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) « الشَّرْحُ الْمُوجَزُ الْمُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ الْمُمَجَّدِ » لِلنَّجْمِيِّ (٢٧) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
الدُّعَاءُ إِلَىٰ شِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**الدُّعَاءِ إِلَىٰ شِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقَيْتُ عَلَىٰ مَسَامِعَكُمْ حَدِيْثَ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ خَيْبَر : « **لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، يُحِبُّهُ اللهَ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ** » .

وَالشَّاهِدُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُنْفُذْ عَلَىٰ رَسْلِكَ**» [أَيْ : عَلَىٰ رِفْقِكَ مِنْ غَيْرِ عَجَلَةٍ] .

« **حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ** » [أَيْ : بِفِنَاءِ أَرْضِهِمْ ، وَهُوَ مَا حَوْلَهَا] .

«**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ**» وَهَذَا هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ وَمَرْبَطُ الفَرَسِ .

الإِسْلَامُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، وَمَا اقْتَضَتْهُ الشَّهَادَتَانِ مِنْ إِخْلَاصِ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَهُ وَلِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ - ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَالإِسْلَامُ هُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ، وَهُوَ الخُضُوعُ لَهُ، وَالعُبُودِيَّةُ لَهُ » (١).

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَدِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، هُوَ الاسْتِسْلَامُ لَهُ وَحْدَهُ، فَأَصْلُهُ فِي القَلْبِ، والخُضُوعُ لَهُ وَحْدَهُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَمَنْ عَبَدَهُ وَعَبَدَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا، وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا، وَفِي الأَصْلِ هُوَ مِنْ بَابِ العَمَلِ، عَمَلِ القَلْبِ وَالجَوَارِحِ، وَأَمَّا الإِيمَانُ فَأَصْلُهُ تَصْدِيقُ القَلْبِ، وَإِقْرَارُهُ وَمَعْرِفَتُهُ؛ فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ القَلْبِ المُتَضَمِّنِ عَمَلَ القَلْبِ » (٢).

فَتَبَيَّنَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ أَصْلَ الإِسْلَامِ هُوَ التَّوْحِيدُ وَنَفْيُ الشِّرْكِ، وَهُوَ دَعْوَةُ جَمِيعِ المُرْسَلِينَ، وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسُنِ رُسُلِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عَنْ أَوَّلِ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾[نُوحُ:٣].

«**وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِيهِ**» أَيْ: فِي الإِسْلَامِ إِذَا أَجَابُوكَ إِلَيْهِ فَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِهِ الَّتِي لَابُدَّ لَهُمْ مِنْ فِعْلِهَا:

---

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٧/ ٢٦٣).
(٢) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٧/ ٢٦٣).

كَالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ .

كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّيْ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا** » .

وَلَمَّا قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي قِتَالِه مَانِعِي الزَّكَاةِ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهِمْ إِلَّا بِحَقِّهَا** »، قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:«فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا » .

قَوْلُهُ : «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** » .

وَحُمْرُ النَّعَمِ هِيَ الإِبْلُ الحَمْرَاءُ، وَذَكَرَهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- لِأَنَّهَا مَرْغُوبَةٌ عِنْدَ العَرَبِ ، بَلْ مِنْ أَنْفَسِ أَمْوَالِهِمْ .

قَالَ النَّوَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَتَشْبِيْهُ أُمُورِ الآخِرَةِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ لِلتَّقْرِيْبِ إِلَىٰ الأَفْهَامِ، وَإِلَّا فَذَرَّةٌ مِنَ الآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الأَرْضِ بِأَسْرِهَا وَأَمْثَالِهَا مَعَهَا » [٢].

---

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٧/ ٢٦٣) .

(٢) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ» (٢٤٠٦)، وَانْظُرْ: «فَتْح المَجِيْدِ» (١٦٠-١٦٢).

فَمِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ تَبَيَّنَ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ التَّوْحِيْدَ مِنْ أَعْظَمِ الأَعْمَالِ، وَمِنَ الجِهَادِ بَلْ مِنْ أَفْضَلِ الجِهَادِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرَّعْدُ:٣٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [الرَّعْدُ:٣٦].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرُو-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**بَلِّغُوا عَنِّيْ وَلَوْ آيَةً**».

وَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ فَقَالَ كَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ»[2]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**».

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[3]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٦١).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيِّ (٢٦٥٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٤٠٤).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٧٤).

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا** » .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الدَّاعِيْنَ إِلَىٰ سَبِيْلَكَ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ ، بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا وَأَجْرِ الخَيْرَ عَلَىٰ أَيْدِيْنَا ، وَاجْعَلْنَا مُبَارَكِيْنَ أَيْنَمَا كُنَّا وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْنَا .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

تَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ وَشِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ التَّوْحِيْدُ حَقِيْقَةً هُوَ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَمَعْنَىٰ التَّوْحِيْدِ هُوَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَمَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ هُوَ التَّوْحِيْدُ ، فَهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيْثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قِصَّةِ بَعْثِ مُعَاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- « **فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» ، وَالحَدِيْثُ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(١)].

وَفِي رِوَايَةٍ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [(٢)] « **فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُو اللهَ** » .

وَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ شِهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ هِيَ التَّوْحِيْدُ.

وَجَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٣)] ، « **فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللهِ** » .

فَالعِبَادَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ ، وَهِيَ مَعْنَىٰ تَوْحِيْدِهِ ، وَهِيَ مَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ .
(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٥٨) ، ومُسْلِمٌ (١٩) .

فَهَذَا الحَدِيْثُ فِيْهِ تَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ، وَتَفْسِيْرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَفْسِيْرُ العِبَادَةِ بِأَنَّ كُلًّا مِنْ هَذِهِ الأَلْفَاظِ يَرْجِعُ إِلَىٰ الآخَرِ[(١)].

وَدَعُونِي -أَيُّهَا النَّاسُ- أُلْقِ عَلَىٰ مَسَامِعِكُمْ أَدِلَّةَ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِمَا يُوَافِقُ لَفْظَهَا، وَبِمَا يُضَادُّهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ يُعْرَفُ بِضِدِّهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ: قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٥٧].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦-٢٨].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ﴾ [البَقَرَةُ: ١٦٥].

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[(٢)]، مِنْ حَدِيْثِ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-**».

(١) انْظُرْ: «شَرْحَ فَتْحِ المَجِيْدِ» لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (١/ ٢٣٨).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣).

وَهَا أَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَشْرَحُ الأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ، وَشِهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإِسْرَاءُ:٥٧].

أَيْ: أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ مِمَّنْ لاَ يَمْلِكُ كَشْفَ الضُّرِّ وَلاَ تَحْوِيْلَهُ مِنَ المَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، كَالمَسِيْحِ وَأُمِّهِ وَالعُزَيْرِ، فَهَؤُلاءِ دِيْنُهُمْ التَّوْحِيْدُ، وَهُوَ بِخِلاَفِ دِيْنِ مَنْ دَعَاهُمْ دُوْنِ اللهِ وَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾.

أَيْ: أَنَّ مَنْ يَدْعُوهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَانُوا يُطْلِقُونَ القُرْبَ مِنَ اللهِ بِالإِخْلَاصِ لَهُ وَطَاعَتِهِ فِيْمَا أَمَرَ، وَتَرْكِ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

وَأَعْظَمُ القُرُبَاتِ التَّوْحِيْدُ، الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ العَمَلَ بِهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ، فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ وَهُمْ مُحْتَاجُونَ مُفْتَقِرُونَ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإِسْرَاءُ:٥٧].

فَهُمْ لاَ يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ -تَعَالَىٰ- وَلاَ يَخَافُونَ غَيْرَهُ، وَذَلِكَ هُوَ تَوْحِيْدُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَيُوجِبُ لَهُمْ الطَمَعَ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَالهَرَبَ مِنْ عِقَابِهِ.

فَتَبَيَّنُوا وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَيْفَ اتَّخَذَ أُوْلَئِكَ النَّاسُ عِبَادًا مِنْ عِبَادِ اللهِ وَهُمْ فُقَرَاءُ إِلَىٰ اللهِ ، والعَبْدُ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي السَّمَواتِ وَالأَرْضِ إِلَّا مَنْ هُوَ عَبْدٌ للهِ .

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مَرْيَمُ : ٩٣].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- رَدٌّ عَلَىٰ مَنْ ادَّعَىٰ أَنَّ شِرْكَ المُشْرِكِيْنَ إِنَّمَا هُوَ عِبَادَةِ الأَصْنَام ، وَتَبَيَّنَ بِهذِ الآيَةِ أَنَّ اللهَ أَنْكَرَ عَلَىٰ مَنْ دَعَا مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَالمَلائِكَةِ ، وَمَنْ دُوْنَهُمْ ، وَأَنَّ دُعَاءَ الأَمْوَاتِ وَالغَائِبِيْنَ لِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ ، الَّذِي لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُنَافِي مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الإِخْلاَصِ .

فَمَنْ تَدَبَّرَ هَذِهِ الآيَةِ العَظِيْمَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَتَبَيَّنْ لَهُ التَّوْحِيْدُ ، وَمَا يُنَافِيْهِ مِنَ الشِّرْكِ والتَنْدِيْدِ ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِيْمَنْ يَعْبُدُ المَلاَئِكَةَ والمَسِيْحَ وَأُمَّهُ وَالعُزَيْزَ، فَهُمْ المَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ :٥٦][1].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزُّخْرُفُ: ٢٦-٢٧].

---

(١) انْظُرْ: «قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِيْنَ» (١٧٧-١٧٩) .

فَهَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ تَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ بِمَعْنَاهُ فَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾ كَقَوْلِنَا : [لاَ إِلَهَ] وَقَوْلُهُ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ كَقَوْلِنَا [إِلَّا اللهُ] .

فَدَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْحِيْدَ لاَ يَتِمُّ إِلَّا بِالكُفْرِ بِمَا سِوَىٰ اللهِ وَالإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٣١].

أَيْ : اتَّخَذُوا عُلَمَاءَهُمْ وَعُبَّادَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ لَهُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، وَيُشَرِّعُونَ لَهُمْ الشَّرَائِعَ وَالأَقْوَالَ الْمُنَافِيَةَ لِدِيْنِ الرُّسُلِ فَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَيْهَا .

وَكَانُوا يُغْلُونَ فِي مَشَايِخِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ وَيُعَظِّمُونَهُمْ وَيَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَتُقْصَدُ بِالذَّبَائِحِ وَالدُّعَاءِ وَالاسْتِغَاثَةِ (١).

وَصَارَ ذَلِكَ عِبَادَةً لَهُمْ ، وَصَارُوا بِهِ لَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ : ٨٠].

وَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ أَيْ : اتَّخَذُوهُ رَبًّا

---

(١) انْظُرْ: « تَفْسِيْرُ السَّعْدِي » (٣٣٥) .

بِعِبَادَتِهِمْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المَائِدَةُ: ١١٦-١١٧] [(١)].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(١) انْظُرْ: «قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِيْنَ» (١٨٥).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
تَفْسِيْرُ التَّوْحِيْدِ وَشِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**تَفْسِيرِ التَّوْحِيْدِ وَشِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ**».

فَمِنْ ذَلِكَ قَالَ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ** ﴾ [البَقَرَةُ:١٦٥].

إِنَّهَا آيَةٌ عَظِيْمَةٌ-أَيُّهَا النَّاسُ- تَدُلُّ عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ، فَكُلُّ مَنْ اتَّخَذَ نِدًّا لله أَيْ [مِثْلُ وَنَظِيْرُ] يَدْعُوهُ مِنْ دُونِ الله، وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ، وَيَرْجُوهُ لِمَا يُؤَمِّلُهُ مِنْهُ مِنْ قَضَاءِ حَاجَاتِهِ، وَتَفْرِيْجِ كُرُبَاتِهِ كَحَالِ عُبَّادِ القُبُورِ وَالطَّوَاغِيْتِ وَالأَصْنَامِ، فَلَابُدَّ أَنْ يُعَظِّمُوهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوهُمْ مَعَ اللهِ، وَإِنْ كَانُوا يُحِبُّونَ اللهَ، وَيَقُولُونَ: « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، فَقَدْ أَشْرَكُوا بِاللهِ فِي المَحَبَّةِ بِمَحَبَّةِ غَيْرِهِ وَعِبَادَةِ غَيْرِهِ،فَاتِّخَاذُهُمْ الأَنْدَادَ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللهِ ، يُبْطِلُ كُلَّ قَوْلٍ يَقُولُونَهُ، وَكُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ،لِأَنَّ المُشْرِكَ لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلٌ .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ لِأَنَّهُمْ -أَيُّها النَّاسُ- أَخْلَصُوا لَهُ الحُبَّ، فَلَمْ يُحِبُّوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَيُحِبُّونَ مَنْ أَحَبَّ ، وَيُخْلِصُونَ أَعْمالَهُمْ جَمِيْعًا لِلهِ، وَيَكْفُرُونَ بِما عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ »[1] .

فَحُبُّهُمْ لاَ يُماثِلُهُ مَحَبَّةُ مَخْلُوقٍ ، كَما لاَ يُماثِلُ مَحْبُوبَهُمْ غَيْرُهُ ،

وَفِي «الصَّحِيْح»عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:«**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ** » الحَدِيْثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ طَرِيْقِ طَارِقِ بْنِ أَشْيَم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنْ مَنْ قَالَ : « **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » ، لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ عَمَلٍ يُؤَيِّدُهُ وَهُوَ الكُفْرُ بِما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَفِي هَذَا تَصْدِيْقٌ لِقَوْلِ « **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، الَّتِي هِيَ النَّفْيُ والإِثْبَاتُ ؛ فَنَفْيُ الآلِهَةِ سِوَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَاصِلٌ بـ « **لاَ إِلَهَ** » وإِثْبَاتُ ا لعُبُودِيَّةِ لِلهِ حَاصِلَةٌ بِقَوْلِهِ « **إِلَّا اللهُ** » فَمَنْ نَفَىٰ الآلِهَةِ مَعَ اللهِ ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ العِبَادَةِ لاَ تَصِحُّ وَلاَ تُقْبَلُ إِلَّا بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ النَّفْيُ والإِثْبَاتُ يُؤْمِنُ بِهِمَا بِقَلْبِه عَقْدًا ؛ بِأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الأُلُوهِيَّةَ أَمْرٌ يَخْتَصُّ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَنَّ كُلَّ مَأْلُوهٍ سِوَاهُ فَهُوَ قَدْ أُلِّهَ بِغَيْرِ حَقٍّ

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٦٩) .

، فَلِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ يَكْفُرُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**» ، فَمَنْ اعْتَقَدَ الأُلُوهِيَّةَ للهِ ، وكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيْمَانَ وَبِذَلِكَ يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ ، فَيَعْصِمُ دَمَهُ فَلاَ يُرَاقُ ، وَيَعْصِمُ مَالَهُ فَلاَ يُؤْخَذُ إِلَّا بِحَقٍّ .

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَكْثَرُ المُخَالِفِيْنَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيْرَةِ لِهَذَا الشَّرْطِ فَنَجِدُ الوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقُولُ : « **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مُعْتَقِدًا فِيْهِ جَلْبَ النَّفْعِ وَدَفْعَ الضُّرِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُصَلِّي وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ؛ بَلْ مَنْ تَكَلَّمَ فِي التَّوْحِيْدِ وَنَهَىٰ عَنْ عِبَادَةِ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ ، وَالسَّادَةِ وَالأَوْلِيَاءِ ؛ قَالُوا: هَذَا يَبْغَضُ الأَوْلِيَاءِ ، بَلْ نَجِدُ بَعْضَهُمْ دَاعِيَةً لِلشِّرْكِ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، أَلَا فَلْيَتَّقِ اللهَ هَؤُلاَءِ وَيَتْرُكُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ ، وَعِبَادَةِ الطَّوَاغِيْتِ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُمْ قَدْ أُنْذِرُوا بِالنَّارِ الحَامِيَةِ ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَقُولُ : ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[النَّبأ : ٣٠].

فَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، عَصَمَ دَمَهُ وَمَالَهُ وَيَكُونُ حِسَابُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إِلَّا أَنَّهُ مَوْعُودٌ بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾[يُوْنُسُ:٢] [١].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٣٤) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحِلْقَةِ والخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلاَءِ أَوْ دَفْعِهِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَومَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **لُبْسِ الحِلْقَةِ والخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ** » .

وَالحِلْقَةُ هِيَ مِنْ حَدِيْدٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ ، وَأَمَّا الخَيْطُ فَمَعرُوفٌ وَنَحْوُهُمَا مِنَ المُرَصَّعَاتِ أَوْ كَمَنْ يَصْنَعُ شَكْلاً مُعَيَّنًا مِنْ نُحَاسٍ أَوْ غَيْرِهِ لِدَفْعِ البَلَاءِ وَيُعَلِّقُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْ أَجْزَاءِ الحَيَوَانَاتِ، وَالنَّاسِ كَأَنْ يُعَلِّقُوا القِرَبَ البَالِيَةَ عَلَىٰ السَّيَّارَاتِ وَنَحْوِهَا لِدَفْعِ العَيْنِ حَتَّىٰ إِذَا رَآهَا الشَّخْصُ نَفَرَتْ نَفْسُهُ فَلاَ يُعِيْنُ !! (١) .

وَالفَرْقُ بَيْنَ الدَّفْعِ وَالرَّفْعِ أَنَّ الرَّفْعَ يَكُونُ بَعْدَ نُزُولِ البَلَاءِ، وَالدَّفْعِ يَكُونَ قَبْلَ نُزُولِ البَلَاءِ، وَمَتَىٰ اعْتَقَدَ الإِنْسَانُ أَنَّ هَذِهِ أَسْبَابٌ لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ، فَهَذَا شِرْكٌ أَصْغَرُ ؛ لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ أَسْبَابًا ، وَأَمَّا إِنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا تَدْفَعُ أَوْ تَرْفَعُ بِنَفْسِهَا فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ ؛ لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ

---

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» لِلعُثَيْمِيْن (١/ ١٦٦) .

أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الزُّمُر:٣٨].

هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ ، السُّورَةِ العَظِيْمَةِ الَّتِي قَرَّرَ اللهُ فِيْهَا التَّوْحِيْدَ ، وَأَبْطَلَ فِيْهَا الشِّرْكَ ، فَالسُّورَةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ آخِرِهَا تُعَالِجُ قَضِيَّةَ التَّوْحِيْدِ، وَتُعَالِجُ قَضِيَّةَ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الَّتِي كَانَ المُشْرِكُونَ يُزَاوِلُونَهَا، فَأَبْطَلَتْهَا هَذِهِ السُّورَةِ وَنَقَضَتْهَا .

وَمِنْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ ، فَمَعْنَىٰ ﴿ قُلْ ﴾ الخِطَابُ -أَيُّهَا النَّاسُ- لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْ : قُلْ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِيْنَ ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ وَالأَضْرِحَةِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ ، وَكُلِّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَالسُّؤَالُ مُوَجَّهٌ إِلَىٰ كُلِّ مُشْرِكٍ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، هَلْ يَسْتَطِيْعُ الإِجَابَةَ عَنْهُا -أَيُّهَا النَّاسُ- الجَوَابُ : لا .

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم ﴾ أَيْ : أَخْبِرُونِي ﴿ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هُنَا عَامَّةٌ لِكُلِّ مَا يُدْعَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ ، لاَ يُسْتَثْنَىٰ مِنْهَا شَيْءٌ ،سَوَاءً أَكَانَ مِنَ البَشَرِ أَوْ مِنَ الجَمَادِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ .

﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أَيْ : بِضَرَرٍ أَوْ بِفَقْرٍ ، أَوْ بِمَوْتٍ، أَوْ أَرَادَنِي بِضَيَاعِ مَالٍ أَوْ إِصَابَةٍ فِي قَرِيْبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّنِي فِي بَدَنِي أَوْ فِي مَالِي أَوْ فِي أَهْلِي ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ أَيْ : هَلْ هَذِهِ المَعْبُودَاتُ الَّتِي

يَعْبُدُونَهَا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَكْشِفَ الضُّرَّ عَمَّنْ وَعَاهَا ؟ .

وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الإِسْرَاءُ:٥٦].

﴿ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾ أَيْ يُوصَلُ إِلَيَّ بِهَا مَنْفَعَةٌ فِي دِيْنِي أَوْ دُنْيَايَ .

﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ أَيْ : مَا نِعَتُهَا عَنِّي؟، سَيَقُولُونَ لاَ يَكْشِفُونَ الضُّرَّ وَلاَ يُمْسِكُونَ الرَّحْمَةَ .

قُلْ لَهُمْ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ عَلَىٰ أَنَّهُ وَحْدَهُ المَعْبُودُ ، وَأَنَّهُ الخَالِقُ لِلمَخْلُوقَاتِ النَّافِعُ الضَّارُّ وَحْدَهُ ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَاجِزٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَنْ الخَلْقِ وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ ، مُسْتَجْلِبًا كِفَايَتَهُ مُسْتَدْفِعًا مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ .

﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ أَيْ : هُوَ كَافِيْنِي عَلَيْهِ يَعْتَمِدُ المُعْتَمِدُونَ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ فَالَّذِي بِيَدِهِ - وَحْدَهُ- الكِفَايَةُ هُوَ حَسْبِي سَيَكْفِيْنِي كُلَّ مَا أَهَمَّنِي وَمَا لاَ أَهْتَمُّ بِهِ فَهَذَا فِيْهِ تَفْوِيْضُ الأُمُورِ إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - دُونَمَا سِوَاهُ .

تَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا أَبْطَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - الشِّرْكَ فِي أَوَّلِ الآيَةِ قَرَّرَ التَّوْحِيْدَ بِقَوْلِهِ ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ أَيْ : هُوَ كَافِيْنِي وَلَنْ يَسْتَطِيْعَ أَحَدٌ أَنْ يَضُرَّنِي مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ يَنْفَعَنِي مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - حَاكِيًا عَنْ هُودٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَوْلَهُ : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ

ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [هُودُ:٥٤-٥٥] .

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هُودُ:٥٦] .

قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أَيْ : لاَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ الحِلْقَةِ وَلاَ عَلَىٰ الخَيْطِ وَلاَ عَلَىٰ الصَّنَم ، وَلاَ عَلَىٰ الحَبْرِ وَلاَ عَلَىٰ الوَلِيِّ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، بَلْ الَّذِي يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ هُوَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – لِأَنَّهُ بِيَدِهِ مَقَادِيْرُ الأَشْيَاءِ .

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِي» [١] بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ – فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمًا فَقَالَ: « **يَا غُلاَمُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** » .

(١) (صَحِيْحٌ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥١٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٧٩٥٧).

وَفِي رِوَايَةٍ [١] : «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَاعْلَمْ : أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا** » [٢].

وَالآيَةُ المُتَقَدِّمَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- جَاءَتْ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ ، وَمَوْضُوعَنَا هُوَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ وَلَكِنَّ المَعْنَىٰ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ هُوَ أَنَّهُ فِي إِبْطَالِ إِضْرَارِ أَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ إِذَا أَصَابَ أَحَدًا بِضُرٍّ فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَهُ بِدُونِ إِذْنِ اللهِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةً فَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْرِفَ تِلْكَ الرَّحْمَةَ بِدُونِ إِذْنِ اللهِ ، وَهَذَا المَعْنَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ تَعَلَّقَ المُشْرِكُ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ .

وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ عِنْدَهُ مَسْكَةٌ مِنْ عَقْلٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- يُعَلِّقُ الخَيْطَ أَوْ الحَلْقَةَ أَوْ يَلْبسُ الخَيْطَ أَوْ الحَلْقَةَ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَبَبٌ فِي جَلْبِ النَّفْعِ أَوْ دَفْعِ الضُّرِّ أَوْ رَفْعِهِ ، وَمِنْ هُنَا دَخَلَ الشِّرْكُ عَلَىٰ النَّاسُ ، فَاتَّقُوا الشِّرْكَ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ .

وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ تَعْلِيقِ التَّمِيمَةِ وَأَنَّهَا مِنَ

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٣٠٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «مِشْكَاةِ المَصَابِيحِ» (٥٣٠٢).

(٢) انْظُرْ : «إِعَانَةَ المُسْتَفِيدِ» (١/ ١٣٧) ، وَ«تَفْسِيرَ السَّعْدِيِّ» (٧٢٥).

الشِّرْكِ، وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي «الصَّحِيْحَةِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ؛ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَأَمْسَكْتَ عَنْ هَذَا .

فَقَالَ : « **إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيْمَةً** » ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ ، وَقَالَ : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** » .

فَقَوْلُهُ : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً** » أَيْ : عَلَّقَهَا مُتَعَلِّقًا بِهَا قَلْبُهُ فِي طَلَبِ خَيْرٍ أَوْ دَفْعِ شَرٍّ [٤].

قَالَ المُنْذِرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - : «خَرَزَةٌ كَانُوا يُعَلِّقُونَهَا ، يَرَوْنَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ الآفَاتِ، وَهَذَا جَهْلٌ وَضَلاَلَةٌ ؛ إِذْ لاَ مَانِعَ ، وَلاَ دَافِعَ غَيْرُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - [٥].

وَقَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ: التَّمَائِمُ جَمْعُ تَمِيْمَةٍ ، وَهِيَ خَرَزَاتٌ ، كَانَتْ العَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَىٰ أَوْلاَدِهِمْ يَتَّقُونَ بِهَا العَيْنَ فِي زَعْمِهِمْ فَأَبْطَلَهُ الإِسْلاَمُ .

وَقَوْلُهُ : « **مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** » .

---

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤٢٢) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الصَّحِيْحَةِ » (٤٩٢) ، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٢/ ٨٤) .

(٤) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٩٨) .

(٥) « التَّرْغِيْبُ وَالتَّرْهِيْبُ» (٤/ ٣٠٧) .

قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ: إنَّمَا جَعَلَهَا شِرْكًا؛ لأَنَّهُمْ أَرَادُوا دَفْعَ المَقَادِيْرِ المَكْتُوبَةِ عَلَيْهِمْ، وَطَلَبُوا دَفْعَ الأَذَىٰ مِنْ غَيْرِ اللهِ الَّذِي هُوَ دَافِعُهُ[1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٩٩).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَا جَاءَ فِي الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ**».

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَرْسَلَ رَسُولاً: «**أَنْ لاَ يُبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ**».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ»[(٢)]، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٠٥)، ومُسْلِمٌ (٢١١٥).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٦١٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٣٣١)، وَشَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٣٣١).

اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: « **إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوْلَةَ شِرْكٌ** » .

وَفِي سُنَنِ «النِّسَائِي» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي «المِشْكَاةِ»[١]، عَنْ رُوَيْفِعٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ فَأَخْبِرْ النَّاسَ : أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوْ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِئٌ مِنْهُ** » .

وَهَا أَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَشْرَحُ لَكُمُ الأَحَادِيْثَ :

فَأَمَّا حَدِيْثُ أَبِي بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَرْسَلَ رَسُولاً:«**أَنْ لاَ يُبْقِيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلاَدَةً مِنْ وَتَرٍ،أَوْ قِلاَدَةً إِلَّا قُطِعَتْ** » .

وَمَعْنَىٰ «**القِلاَدَةِ**» –أَيُّهَا النَّاسُ– هِيَ مَا يُحِيْطُ بِالعُنُقِ ، وَكَانَتْ تُتَّخَذُ مِنَ الأَوْتَارِ ، فَكَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ إِذَا اخْلَوْلَقَ الوَتَرُ أَبْدَلُوهُ بِغَيْرِهِ ، وَقَلَّدُوا بِهِ الدَّوَابَّ؛ اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الدَّابَّةِ العَيْنَ ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِإِزَالَتِهَا اعْلاَمًا لَهُمْ بِأَنَّ الأَوْتَارَ لاَ تَرُدُّ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَدْفَعُ العَيْنَ عَنِ الدَّابَةِ أَوْ تَدْفَعُ عَنْهَا الشَّيَاطِيْنَ ، وَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ بِعَيْنِهِ .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ فِي «الكُبْرىٰ» (٩٣٣٦) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي «المِشْكَاةُ» (٣٥١) .

وَأَمَّا حَدِيْثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فَلَهُ قِصَّةٌ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ عَبْدَ اللهِ رَأَىٰ فِي عُنُقِي خَيْطًا، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ: خَيْطٌ رُقِيَ لِي فِيهِ قَالَتْ : فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتُمْ آلَ عَبْدَ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « **إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** » ، فَقُلْتُ : لِمَ تَقُولُ هَكَذَا ؟ ، لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تُقْذَفُ ، وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَىٰ فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ ، فَإِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ ، كَانَ يَنْخَسُهَا بِيَدِهِ ، فَإِذَا رُقِيَ كُفَّ عَنْهَا ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: « **اذْهِبِ الْبَأْسَ ، رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا** » .

فَقَوْلُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- « **إِنَّ الرُّقَىٰ** » يُشِيْرُ أَنَّ الرُّقَىٰ المَوْصُوفَةُ بِكَوْنِهَا شِرْكًا هِيَ الَّتِي يُسْتَعَانُ فِيْهَا بِغَيْرِ اللهِ ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يُذْكَرْ إِلَّا أَسْمَاءُ ا اللهِ ، وَصِفَاتُهُ، وَآيَاتُهُ ، وَالمَأْثُورُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهَذَا حَسَنٌ جَائِزٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ[1] . فَهِيَ - أَيْ الرُّقْيَةُ - جَائِزَةٌ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ الرُّقْيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ-مَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[2]، وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : كُنَّا نَرْقِي فِي

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٢٠٦) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الجَاهِلِيَّةِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : « **اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ** »[١].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « قَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ جَوَازِ الرُّقَىٰ عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ :

الشَّرْطُ الأَوَّلُ : أَنْ تَكُونَ بِكَلَامِ اللهِ أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

الشَّرْطُ الثَّانِي : أَنْ تَكُونَ بِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ ، وَبِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ .

الشَّرْطُ الثَّالِثُ : أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِتَقْدِيرِ اللهِ[٢].

وَأَمَّا التَّمَائِمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الأَطْفَالِ أَوْ المَرِيْضِ، فَإِذَا كَانَتْ مِنْ غَيْرِ القُرْآنِ فَهِيَ شِرْكٌ .

وَإِذَا كَانَتْ مِنَ القُرْآنِ فَهَذَا العَمَلُ لَا يَجُوزُ، وَمَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ الدَّلِيْلُ السَّاطِعُ وَالبُرْهَانُ القَاطِعُ لِأَنَّنَا مُتَعَبَّدُونَ بِمَا شَرَعَ اللهُ ، وَقَدْ مَنَعَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ،وَهُوَ الصَّحِيْحِ لِعُمُومِ النَّهْيِ عَنْ التَّمَائِمِ وسَدِّ الذَّرِيْعَةِ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَىٰ تَعْلِيْقِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، وَلِأَنَّهُ إِذَا عُلِّقَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَمْتَهِنَهُ المُعَلِّقُ بِحَمْلِهِ مَعَهُ فِي حَالِ قَضَاءِ الحَاجَةِ وَالاسْتِنْجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ»[٣].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٠٠) .
(٢) « فَتْحُ البَارِي» (٥٧٣٥) .
(٣) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٢٠٩) .

وَأَمَّا التَّوْلَةَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ شَيْءٌ تَفْعَلُهُ المَرْأَةُ تَجْلِبُ بِهِ مَحَبَّةَ زَوْجِهَا، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ ، وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ لِمَا يُرَادُ بِهِ دَفْعِ المَضَارِّ وَجَلْبِ المَنَافِعِ مِنْ غَيْرِ اللهِ (١).

وَهَذَا كُلُّهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الشِّرْكِ بِاسْتِثْنَاءِ الرُّقْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِشُرُوطِهَا .

فَأَمَّا حَدِيْثُ رُوَيْفِعٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وَهُوَ : « **يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ فَأَخْبِرْ النَّاسَ : أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوْ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ** » .

فَعَقْدُ اللِّحْيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ قَالَ أَهْلُ العِلْمِ : مَعْنَاهَا جَعْلُهَا وَنَفْشُهَا لِلتَّكَبُّرِ وَالتَّعَاظُمِ .

قَوْلُهُ « **تَقَلَّدَ وَتَرًا** » أَيْ : جَعَلَهُ قِلَادَةً فِي عُنُقِهِ وَعُنُقِ دَابَّتِهِ .

قَوْلُهُ « **أَوْ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ** » وَالاسْتِنْجَاءُ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّجْوِ وَهُوَ إِزَالَةُ أَثَرِ الخَارِجِ مِنَ السَّبِيْلَيْنِ ، وَرَجِيْعُ الدَّابَّةِ هُوَ رَوْثُهَا .

وَإِنَّمَا تَبَرَّأَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّنْ اسْتَنْجَىٰ بِهِمَا ، لِأَنَّ الرَّوْثَ عَلَفُ بَهَائِمِ الجِنِّ ، وَالعَظْمَ طَعَامُهُمْ، يَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ ذَنْبٍ قُرِنَ بِالبَرَاءَةِ مِنْ فَاعِلِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ » (٢) .

---

(١) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (٢١٠) .

(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ» لِلعُثَيْمِيْنِ (١/ ١٨٨-١٨٩) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكَ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مَنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: « **مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا** ».

وَالبَرَكَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الْتِمَاسُ البَرَكَةِ مِنَ الشَّيْءِ ، وَهِيَ كَثْرَةُ الخَيْرِ وَثُبُوتُهُ، كَالتَّبَرُّكُ طَلَبُ البَرَكَةِ .

وَكَوْنُ الإِنْسَانِ يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ فِيْهِ بَرَكَةٌ أَمْرٌ مَرْفُوضٌ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ إِلَّا بِدَلِيْلٍ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ .

مِثْلُ مَا جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **كُلُوا فِي القَصْعَةِ مِنْ جَوَانِبْهَا ، وَلاَ تَأْكُلوا مِنْ وَسَطِهَا ، فَإِنَّ البَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِهَا** » لِأَنَّهُ سَمَّىٰ عَلَيْهِ.

فَهُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلَّ الدَّلِيْلُ عَلَىٰ وُجُودِ البَرَكَةِ فِي وَسَطِ الطَّعَامِ ، لَكِنْ اعْتِقَادَ وَجُودِ البَرَكَةِ فِي القَبْرِ الفُلَانِي والصَّنَمِ الفُلَانِيِّ وَالشَّجَرَةِ الفُلَانِيَّةِ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ دَلِيْلٍ .

وَالتَّبَرُّكُ بِالأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ والقُبُورِ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤٣٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٨٢٩) .

حَسَنَاتِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ لَمَّا رَأَىٰ النَّاسَ يَنْتَابُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي وَقَعَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ أَمَرَ بِقَطْعِهَا، كَمَا لاَ يَجُوزُ التَّبَرُّكُ بِحَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ، حَتَّىٰ صَخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ فَلاَ يَجُوزُ التَّبَرُّكُ بِهَا حَتَّىٰ الحَجَرُ الأَسْوَدُ لاَ يُتَبَرَّكُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُتَعَبَّدُ اللهُ بِمَسْحِهِ وَتَقْبِيلِهِ اتِّبَاعًا لِلرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِذَلِكَ تَحْصُلُ بَرَكَةُ الثَّوَابِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾[النَّجْمُ: ١٩].

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»[(١)]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُوا إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأَعْرَافُ:١٣٨] **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

أَمَّا قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾[النَّجْمُ: ١٩].

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ(٢١٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (٢٢٧٩).

فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ أَيْ : هَلْ نَفَعَتْ هَذِهِ الأَصْنَامُ أَمْ ضَرَّتْ، والمَعْنَىٰ : أَنَّهَا لَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تَضُرَّ ، كَانُوا يَسْأَلُونَهَا وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَا وَيَسْتَغِيْثُونَ ، فَأَبْطَلَ الإِسْلَامُ ذَلِكَ، وَكَانَ العُزَّىٰ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ سَايَرَهُمْ وَقَدْ قَتَلَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– كَمَا فِي سُنَنِ النِّسَائِي بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الطُّفَيْلِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ إِلَىٰ نَخْلَةٍ وَكَانَتْ بِهَا العُزَّىٰ ، وَكَانَتْ عَلَىٰ ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ السُّمُرَاتِ، وَهَدَمَ البَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا» فَرَجَعَ خَالِدٌ فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ السَّدَنَةُ أَمْعَنُوا فِي الجَبَلِ وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا عُزَّىٰ يَا عُزَّىٰ ، فَأَتَاهَا خَالِدٌ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْفِنُ التُّرَابَ عَلَىٰ رَأْسِهَا ، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «**تِلْكَ العُزَّىٰ**» .

وَكَانَتْ مَنَاةُ –أَيُّهَا النَّاسُ– لِأَهْلِ المَدِيْنَةِ ، فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ »[٢]، مِنْ حَدِيْثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ: « **إِنَّهَا صَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ** » .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ فِي «الكُبْرَىٰ» (١١٥٤٧) ،وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٥٣٥) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٦١) .

وَأَمَّا اللَّاتُ فَكَمَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «كَانَ رَجُلاً يَلُتُّ السُّوَيْقَ لِلحَاجِّ عَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ».

وَتِلْكَ الأَصْنَامُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ أُزِيلَتْ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، لَكِنَّ هُنَاكَ مُنَاسَبَةً بَيْنَ الآيَةِ وَالمَوْضُوعِ، وَهِيَ أَنَّ عُبَّادَ تِلْكَ الأَوْثَانِ إِنَّمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ حُصُولَ البَرَكَةِ مِنْهَا بِتَعْظِيْمِهَا، وَدُعَائِهَا، وَالاسْتِعَانَةِ بِهَا، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهَا فِي حُصُولِ مَا يَرْجُونَهُ مِنْهَا، وَيُؤَمِّلُونَهُ بِبَرَكَتِهَا وَشَفَاعَتِهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَالتَّبَرُّكُ بِقُبُورِ الصَّالِحِيْنَ كَاللَّاتِ، وَبِالأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، كَالعُزَّىٰ وَمَنَاةَ مِنْ فِعْلِ أُولَئِكَ المُشْرِكِيْنَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَاعْتَقَدَ فِي قَبْرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ، فَقَدْ ضَاهَىٰ عِبَادَةَ هَذِهِ الأَوْثَانِ فِيْمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مَعَهَا مِنْ هَذَا الشِّرْكِ [٢].

وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [٣]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّىٰ** ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِيْنَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ:٣٣].

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٥٩).
(٢) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٣٦).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٠٧).

أَنَّ ذَلِكَ تَامٌ ، قَالَ : « **إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ** » .

وَأَمَّا حَدِيْثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَفِيْهِ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؛ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُوا إِسْرَائِيْلَ لِمُوسَىٰ** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأَعْرَافُ:١٣٨] » .

قَوْلُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- : «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» .

أَيْ قَرِيْبٌ عَهْدُنَا بِالكُفْرِ ، فَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ لاَ يَجْهَلُ هَذَا ، وَأَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ .

قَوْلُهُ : «وَلِلْمُشْرِكِيْنَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا» .

العُكُوفُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الإِقَامَةُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فِي المَكَانِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ خَلِيْلِ اللهِ إِبْرَاهِيْمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[الأَنْبِيَاءُ:٥٢] .

وَكَانَ عُكُوفُ المُشْرِكِيْنَ عَنْ تِلْكَ السِّدْرَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَبَرُّكًا بِهَا وَتَعْظِيمًا

لَهَا ، وَهَذَا هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَالتَّبَرُّكُ بِالشَّجَرِ وَالحَجَرِ أَوْ القَبْرِ هُوَ مِنْ هَذَا القَبِيْلِ .

وَقَوْلُهُ : « وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ » .

فَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَيَانٌ أَنَّ عِبَادَتَهِمْ لَهَا بِالتَّعْظِيْمِ ، وَالعُكُوفِ، والتَّبَرُّكِ ، وَبِهَذِهِ الأُمُورِ عُبِدَتْ الأَشْجَارُ وَالأَحْجَارُ وَالقُبُورُ وَالأَضْرِحَةُ.

وَقَوْلُهُ : «فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؛ اجْعَلَ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ» .

قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ: «سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مِثْلَهَا فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ » .

فَهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- ظَنُّوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللهِ وَقَصَدُوا التَّقَرُّبَ بِهِ كَمَا يَظُنَّ النَّاسُ اليَوْمَ بِالأَوْلِيَاءِ وَالسَّادَاتِ .

وَقَوْلُهُ : «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**اللهُ أَكْبَرُ**» ، وَفِي رِوَايَةٍ : «**سُبْحَانَ اللهِ** » .

وَالمُرَادُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَعْظِيْمُ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَتَنْزِيْهُهُ عَنْ هَذَا الشِّرْكِ بِأَيِّ نَوْعٍ كَانَ مِمَّا لاَ يَجُوزُ أَنْ يُطْلَبَ أَوْ يُقْصَدَ بِهِ غَيْرُ اللهِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- يَسْتَعْمِلُ التَّكْبِيْرَ وَالتَّسْبِيْحَ فِي حَالِ التَّعَجُّبِ تَعْظِيْمًا للهِ وَتَنْزِيْهًا لَهُ إِذَا سَمِعَ مِنْ أَحَدٍ مَا لاَ يَلِيْقُ بِاللهِ مِمَّا فِيْهِ هَضْمٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ .

وَقَوْلُهُ : « **إِنَّهَا السُّنَنُ** » أَيْ الطُّرُقُ .

وَقَوْلُهُ : « **قُلْتُمْ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَتْ بَنُوا إِسْرَائِيْلَ لِمُوسَىٰ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** » .

أَيْ : شَبَّهَ مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ بِقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ وَهُوَ أَنَّ كُلًّا طَلَبَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ مَا يَأْلَهُهُ وَيَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ ، فَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ فَتَغْيِّيرِ الاسْمِ لاَ يُغَيِّرُ الحَقِيْقَةَ .

فَفِي ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- الخَوْفُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَحْسِنُ شَيْئًا يَظُنُّ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ ، وَهُوَ أَبْعَدُ مَا يُبْعِدُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُقَرِّبُهُ مِنْ سَخَطِهِ، وَلاَ يَعْرِفُ هَذَا عَلَىٰ الحَقِيْقَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَنْ عَرَفَ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنْ كَثِيْرٍ مِن النَّاسِ مَعَ أَرْبَابِ وَالقُبُورِ مِنَ الغُلُوِّ فِيْهَا وَالتَّبَرُّكِ بِهَا وَيَحْسبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ، نَسْأَلُ اللهَ العَظِيْمَ أَنْ يَرُدَّهُمْ إِلَىٰ الحَقِّ رَدًّا جَمِيْلاً (١).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (١٢٥-١٢٧) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَمَّا جَاءَ فِي «**الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأَنْعَامُ: ١٦٢-١٦٣].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكَوْثَرُ: ٢].

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ**

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٧٨).

اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ » .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، قَالُوا : كَيْفَ؟، قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا: لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ ، قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، فَخَلُّوا سَبِيْلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ ، وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

فَفِي الآيَةِ الأُوْلَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهِيَ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾.

أَيْ : قُلْ : يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِيْنَ وَغَيْرِهِم إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ أَيْ ذَبْحِي ، وَذَلِكَ لِشَرَفِ هَاتَيْنِ العِبَادَتَيْنِ وَفَضْلِهِمَا وَدَلَالَتِهِمَا عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الدِّيْنِ لَهُ ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ أَيْ : التَّصَرُّفُ فِي تَدْبِيْرِ أَمْرِي حَيًّا وَمَيِّتًا ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فِي العِبَادَةِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ فِي المُلْكِ وَالتَّدْبِيْرِ وَلَيْسَ هَذَا الإِخْلَاصُ للهِ ابْتِدَاعًا مِنِّي، وَبِدْعًا أَتَيْتُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بَلْ ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ أَمْرًا حَتْمًا ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ مِنْ هَذِهِ

(١) (مَوْقُوفٌ صَحِيْحٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي « الزُّهْدِ » (١٥-١٦) .

الأُمَّة »[١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكَوْثَرُ:٢].

أَيْ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالنَّحْرَ عِبَادَةٌ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِهِمَا، فَمَنْ نَحَرَ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، كَمَا لَوْ صَلَّىٰ لِغَيْرِ اللهِ، فَمَنْ ذَبَحَ لِصَنَمٍ أَوْ لِقَبْرٍ أَوْ لِلْجِنِّ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا وَأَرَادَ أَنْ يَسْكُنَهَا ذَبَحَ لِلْجِنِّ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَسْكُنُوهَا أَوْ إِخْرَاجِهِمْ، وَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَفِي حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَفِيْهِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**».

تَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَيْفَ بَدَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَوْلِهِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**».

لِأَنَّ عُقُوقَ الوَالِدَيْنِ يَأْتِي بَعْدَ الشِّرْكِ فِي القُبْحِ والحُرْمَةِ وَالبَشَاعَةِ وَالفَظَاعَةِ، لِأَنَّهُ تَنَاسَىٰ مَا قَدَّمَهُ وَالِدَاهُ مِنْ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، وَحَنَانٍ، وَعَطْفٍ، وَتَرْبِيَةٍ[٢].

وَلَقَدْ اسْتَغْرَبَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ذَلِكَ كَمَا فِي «صَحِيْح

---

(١) انْظُرْ: «تَفْسِيرَ السَّعْدِيِّ» (٢٨٢).
(٢) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٥٣).

البُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ،قَالَ : «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ** » .

فَبِتَسَبُّبِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي لَعْنِ والِدَيْهِ كَانَ كَمَنْ لَعَنَهُمَا ، وَهَذَا مُوْجِبٌ لِغَضَبِ اللهِ .

قَوْلُهُ : «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا** » وَالمُحْدِثُ هُوَ الَّذِي عَمَلَ عَملاً مُنْكَرًا فِي الشَّرْعِ كَالزِّنَا أَوْ القَتْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِك ، فَمَنْ أَعَانَهُ أَوْ آوَاهُ وَنَصَرَهُ وَدَافَعَ عَنْهُ مَا يُحْكَمُ بِهِ عَلَيْهِ يُعْتَبَرُ مُؤْوِيًا لِلمُحْدِثِيْنَ مُسْتَحِقًّا لِلَّعْنَةِ .

قَوْلُهُ : « **مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**» أَيْ نَقَلَهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ زَاعِمًا أَنَّ هَذَا حَدُّ الجَارِ مُضِيْفًا إِلَىٰ مُلْكِهِ مَا أَخَذَهُ مِنْ حَقِّ جَارِهِ ، وَيَلْحِقُ بِذَلِك مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الطَّرِيْقِ كُلُّ ذَلِكَ يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَةَ .

وَأَمَّا حَدِيْثُ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنِ سَلْمَانَ الفَارسِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ** » .

قَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ - : « أَيْ بِسَبَبِ ذُبَاب ، فَقَوْلُهُ : « **قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُهُ**» ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ يُقَرِّبُ وَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ فَطَمِعُوا فِيْهِ ؛ فَأَمَرُوهُ أَنْ يُقَرِّبَ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَدَخَلَ النَّارَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ التَّقَرُّبَ لاَ يَجُوزُ إِلَّا للهِ .

وَقَالَ الآخَرُ : مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ شَيْئًا إِلَّا لله ؛ فَهَذَا أَعْرَضَ وَبَيَّنَ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ وَامْتَنَعَ ؛ فَدَخَلَ الجَنَّةَ وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ :

الأَوَّلَ : إِمَّا أَنَّ شَرِيْعَتَهُمْ لَيْسَ فِيْهَا عُذْرٌ بِالإِكْرَاهِ وَلِهَذَا لَمْ يَأْخُذْ بِالرُّخْصَةِ وَيَتَخَلَّصْ مِنْ شَرِّهِمْ .

الثَّانِي : يُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَرَكَ الرُّخْصَةَ وَأَخَذَ بِالعَزِيْمَةِ ؛ لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَيَقِيْنِهِ فَقُتِلَ .

وَفِي شَرِيْعَتِنَا : أَنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَىٰ الشِّرْكِ فَفَعَلَ مَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ بِقَصْدِ التَّخَلُّصِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ بِذَلِكَ فَلاَ حَرَجَ ؛ لِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ- : ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ** ﴾ [النَّحْلُ:١٠٦] ، فَيَأْخُذُ بِالرُّخْصَةِ حَتَّىٰ وَلَوْ قَالَ الكُفْرَ بِلِسَانِهِ (١) .

خُلاصَةُ القَوْلُ :

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قَرَّبَ ذُبَابًا كَانَ مُؤْمِنًا ، فَدَخَلَ النَّارَ بِذَبْحِهِ الذُّبَابَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا لَدَخَلَ النَّارَ بِكُفْرِهِ لاَ بِذَبْحِ الذُّبَابِ ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَطِيْرَةٌ ؛ فَكَمْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَذْبَحُ لِلقُبُورِ وَلِلجِنِّ وَالشَّيَاطِيْنِ وَللسَّحَرَةِ ، أَلَيْسَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ وَلَوْ كَانَ شَيْئًا يَسِيْرًا ؟!! .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مَنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

---

(١) انْظُرْ : «شَرْحُ التَّوْحِيْدِ» لابْنِ بَازٍ (١٠٧-١٠٨) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

لَا يُذْبَحُ لِلهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ

وَ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ ، وَالاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ- أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ : «**لَا يُذْبَحُ لِلّهِ فِيْ مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللّهِ وَمِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللّهِ ، وَالاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللّهِ**» .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ١٠٨].

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيحِ المُسْنَدِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبْلاً بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**هَلَ كَانَ فِيْهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ** » ، قَالَوا : لاَ ، قَالَ: «**هَلَ كَانَ فِيْهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»، قَالَوا : لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ ؛ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ،وَلاَ فِيْمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ** » .

قَالَ المُفَسِّرُونَ : إِنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - نَهَىٰ رَسُولَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ (٣٣١٣) ،وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (١/ ١٤٣) .

وَسَلَّمَ- عَنْ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ الضَّرَرِ ، وَالأُمَّةُ تَبَعٌ لَهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - حَثَّهُ عَلَىٰ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ الَّذِي أُسِّسَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ ، وَهِيَ طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَمْعًا لِكَلِمَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَعْقِلاً ، وَمَنْزِلاً لِلإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي« .... »[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ أُسَيْدِ بْنِ ظَهِيْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ** » .

فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَزُوْرُ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ .

وَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أَيْ : مَسْجِدُ الضَّرَرِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ١٠٨].

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَمَّا أُسِّسَ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ

(١) (حَسَنٌ) ....
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١١٩٣) ، ومُسْلِمٌ (١٣٩٩) .

والكُفْرِ بِهِ ، وَهُوَ مَسْجِدُ الضِّرَارِ صَارَ مَحَلَّ غَضَبِ اللهِ ، نَهَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ أَنْ يَقُومَ فِيْهِ مَعَ أَنَّهُ مَسْجِدٌ لَكِنَّهُ بُنِيَ ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيْقًا بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ ، بَنَاهُ المُنَافِقُونَ لإِيْوَاءِ بَعْضِ الكَفَرَةِ لِيَكُونَ حِصْنًا لَهُمْ يَجْتَمِعُونَ وَيَعَاوَنُونَ فِيْهِ عَلَىٰ قِتَالِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَفَضَحَهُمْ اللهُ وَبَيَّنَ نِيَّتَهُمْ الخَبِيْثَةَ الفَاسِدَةَ .

وَوَجْهُ الشَّاهِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ مَعَابِدَ الشِّرْكِ وَأَعْيَادَ الوَثَنِيَّةِ وَأَعْيَادَ الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي يَذْبَحُون فِيْهَا لِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَتَقَرَّبُونَ فِيْهَا لِغَيْرِ اللهِ ، لاَ يَجُوزُ أَنْ تَبْقَىٰ ؛ لِأَنَّهَا أُسِّسَتْ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ ، كَمَا لاَ يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ المُوَحِّدِ أَنْ يَذْبَحَ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللهِ وَحَتَّىٰ وَلَوْ كَانَتْ النِّيَّةُ مُخْتَلِفَةٌ ، أُوْلَئِكَ يَنْوُونَ الشِّرْكَ ، وَهَذَا يَنْوِي أَنَّهَا لِلهِ ،لأَنَّ فِي ذَلِكَ إِحْيَاءً لِلأَمَاكِنِ الشِّرْكِيَّةِ أَوْ البِدْعِيَّةِ أَوْ الأَمَاكِنِ المُحَرِّمَةِ الَّتِي حُورِبَ فِيْهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَهَذِهِ مُنَاسَبَةُ الآيَةِ لِمَوْضُوعِنَا لاَ يُذْبَحُ لِلهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللهِ » .

أَمَّا حَدِيْثُ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبْلاً بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**هَلَ كَانَ فِيْهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ** » ، قَالَوا : لاَ ، قَالَ: «**هَلَ كَانَ فِيْهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»، قَالَوا : لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ ؛ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلاَ فِيْمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ** » .

قَوْلُهُ: «بِبُوَانَةَ» قَالَ البَغَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: مَوْضِعٌ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ دُونَ يَلَمْلَمْ.

قَوْلُهُ: «**هَلْ كَانَ فِيْهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ**» فِيْهِ المَنْعُ مِنَ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ إِذَا كَانَ فِي المَكَانِ وَثَنٌ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

وَقَوْلُهُ: «**هَلْ كَانَ فِيْهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» أَيْ: فِيْهِ اسْتِفْصَالُ المُفْتِي، وَالمَنْعُ مِنَ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ بِمَكَانِ عِيْدِ الجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ، وَفِيْهِ سَدُّ الذَّرِيْعَةِ وَتَرْكُ مُشَابَهَةِ المُشْرِكِيْنَ، وَالمَنْعُ مِمَّا هُوَ وَسِيْلَةٌ وَذَرِيْعَةٌ إِلَى الشِّرْكِ[1].

وَحُكْمُ الذَّبحِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ وَأَنَّهُ مُحَرَّمٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِشِرْكٍ أَصْغَرَ وَلاَ بِشِرْكٍ أَكْبَرَ، وَلَكِنَّهُ مُحَرَّمٌ سَدًّا لِلذَّرِيْعَةِ وَمَعْصِيَةٌ يَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهَا، وَالبُعْدُ عَنْهَا»[2].

وَهُنَا بَابٌ آخَرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّذْرَ عِبَادَةٌ يَجِبُ الوَفَاءُ بِهِ إِذَا نَذَرَهُ لِلهِ فَيَكُونَ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكًا فِي العِبَادَةِ[3].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا** ۝٧﴾ [الإِنْسَانُ: ٧].

فَالآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلَّتْ عَلَى وُجُوبِ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ وَمَدْحِ مَنْ فَعَلَ

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٥٤).
(٢) «شَرْحُ فَتْحِ المَجِيْدِ» صَالِحُ آلِ الشَّيْخِ (١/ ٤٦٥).
(٣) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (١٥٧).

ذَلِكَ طَاعَةً للهِ وَوَفَاءً بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ[(١)].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البَقَرَةُ : ٢٧٠].

فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ نَذَرَ نَذْرًا وَلَمْ يُوْفِ بِهِ أَوْ قَصَدَ بِذَلِكَ رِضَىٰ المَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّهُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَدَ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَاسْتَحَقَّ العُقُوبَةَ البَلِيْغَةَ ، وَلَم يَنْفَعْهُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ وَلَمْ يَنْصُرُهُ[(٢)].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ »[(٣)]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مِنَ نَذَرَ أَنْ يُطِيْعَ اللهِ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنَ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ** » .

فَنفْهَمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وُجُوبَ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيْعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ** » .

مَا دَامَ أَنَّ نَذْرَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَعَلَيْهِ الوَفَاءُ وَهُوَ عَمَلُ تِلْكَ الطَّاعَةِ .

وَقَوْلُهُ : «**وَمَنَ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ** » .

لِأَنَّهُ أَوْجَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مَعْصِيَةَ اللهِ فَلَيْسَ لَهُ الوَفَاءُ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ نَذْرِهُ كَفَّارَةَ يَمِيْنٍ .

(١) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (١٥٧) .
(٢) « تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ» (٤٥) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٩٦) .

خُلَاصَةُ القَوْلِ :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ أَيُّ شَيْءٍ ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً ، فَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ ؛ فَأَيُّ فِعْلٍ كَانَ عِبَادَةً مِثْلَ النَّذْرِ فَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ (١).

وَهُنَا بَابٌ آخَرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهُوَ مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ .

أَيْ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لاَ يَقْدرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ ؛ لِأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ مِنَ العِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ - تَعَالَىٰ - بِهَا عِبَادَهُ كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فُصِّلَتْ :٣٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[الفَلَقُ :١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[النَّاسُ :١].

فَمَا كَانَ عِبَادَةً للهِ-أَيُّهَا النَّاسُ-فَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ فِي العِبَادَةِ ، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ العِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ جَعَلَهُ شَرِيْكًا للهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَنَازَعَ الرَّبَّ فِي إِلهِيَّتِهِ ، كَمَا أَنَّ مَنْ صَلَىٰ للهِ وَ صَلَىٰ لِغَيْرِهِ يَكُونُ عَابِدًا لِغَيْرِ اللهِ (٢).

أَمَّا الاسْتِعَاذَةُ بِالمَخْلُوقِ الحَيِّ الحَاضِرِ القَادِرِ فَلاَ بَأْسَ بِهَا كَمَا تَقُولُ لِرَجُلٍ: « أَعُوذُ بِكَ مِنْ غُلَامِكَ أَوْ ابْنِكَ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - :

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٢٤٩) .

(٢) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٢٦٧) .

﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القَصَصُ: ١٥] [١].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ:

قَوْلُهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ۝٦ ﴾ [الجِنُّ: ٦].

أَيْ أَنَّ الإِنْسَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ وَيَسْتَعِيْذُونَ بِهِمْ عِنْدَ المَخَاوِفِ وَالإِفْزَاعِ، فَزَادَ الجِنُّ الإِنْسَ ذُعْرًا وَخَوْفًا لَمَّا رَأَوْهُمْ يَسْتَعِيْذُونَ بِهِمْ، بَلِ الرَّهَقُ أَشَدُّ مِنْ مُجَرَّدِ الذُّعْرِ وَالخَوْفِ؛ لِأَنَّ الذُّعْرَ وَالخَوْفَ فِي القُلُوبِ وَالرَّهَقَ فِي الأَبْدَانِ.

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْمٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**».

قَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**».

شَرَعَ اللهُ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ أَنْ يَسْتَعِيْذُوا بِهِ بَدَلاً عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ بِالجِنِّ، فَشَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَسْتَعِيْذُوا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

---

(١) انْظُرْ: «شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لِابْنِ بَازٍ (١٢٠).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٠٨).

قَوْلُهُ : «**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي أَيِّ مَخْلُوقٍ قَامَ بِهِ الشَّرُّ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ غَيْرِهِ ، إِنْسِيًّا كَانَ أَوْ جِنِّيًا ، أَوْ هَامَّةً أَوْ دَابَّةً ، أَوْ رِيحًا ، أَوْ صَاعِقَةً ، أَيَّ نَوْعٍ كَانَ مِنْ أَنْوَاعِ البَلَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ »[1] .

قَوْلُهُ : «**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ** » .

قَالَ القُرْطبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « هَذَا خَبَرٌ صَحِيْحٌ ، وَقَوْلٌ صَادِقٌ ، عَلِمْنَا صِدْقَهُ دَلِيْلاً وَتَجْرِبَةً ، فَإِنِّي مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الخَبَرَ عَمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَىٰ أَنْ تَرَكْتُهُ ، فَلَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ بِالمَهْدِيَّةِ لَيْلاً ، فَتَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا بِي قَدْ نَسِيْتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الكَلِمَاتِ »[2] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) «بَدَائِعُ الفَوَائِدِ» (٢/ ٢٣٦) .

(٢) «المُفْهَمُ» (٧/ ٣٦) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيْثَ العَبْدُ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**لَا يُذْبَحُ لِلّهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيْهِ لِغَيْرِ اللّهِ ، وَمِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللّهِ ، وَالاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللّهِ**» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : «**مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيْثَ العَبْدُ بِغَيْرِ اللّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**» .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يُونُس:١٠٦-١٠٧].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العَنْكَبُوتُ:١٧].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا

يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ ﴾[الأحقاف:٥].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ [النَّمل:٦٢].

أَيُّهَا النَّاسُ- الاسْتِغَاثَةُ الَّتِي نَحْنُ نُدَنْدِنُ حَوْلَهَا هِيَ طَلَبُ الغَوْثِ ، وَهُوَ إِزَالَةُ الشِّدَّةِ ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- .

وَقِيْلَ هِيَ دُعَاءُ الَمْكُرُوبِ، وَالَّذِي يَكُونُ فِي شِدَّةٍ .

وَتَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : اسْتِغَاثَةٌ بِالمَخْلُوقِ الحَيِّ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ اسْتِغَاثَةٌ جَائِزَةٌ .

القِسْمُ الثَّانِي: اسْتِغَاثَةٌ بِالمَيِّتِ أَوْ بِالحَيِّ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَهَذِهِ اسْتِغَاثَةٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَهِيَ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ .

وَمِنَ الجَائِزِةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾ [القَصَصُ:١٥].

فَقَدْ حَكَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هَذِهِ الاسْتِغَاثَةَ حِكَايَةَ إِقْرَارٍ لَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الإِسْرَائِيْلِيَّ اسْتَغَاثَ بِمُوسَىٰ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَضَرَبَ القِبْطِيِّ فَمَاتَ ، وَمِنْ هَذِهِ القِصَّةِ الَّتِي حَكَاهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْ مُوسَىٰ ، وَمِنْ اسْتَغَاثَهُ، وَالمُسْتَغَاثِ عَلَيْهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَسْتَفِيدُ فَائِدَةً وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ

الاسْتِغَاثَةَ جَائِزَةٌ .

أَمَّا الاسْتِغَاثَةُ الْمُحَرَّمَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهِيَ اسْتِغَاثَةٌ بِالمَيِّتِ وَمَنْ فِي حُكْمِ المَيِّتِ مِنَ الأَحْجَارِ وَالأَخْشَابِ وَالأَصْنَامِ ، وَكَذَلِكَ الاسْتِغَاثَةُ بِالحَيِّ فِيمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ كَإِنْزَالِ المَطَرِ ، وَرَدِّ الضَّالَةِ ، وَشِفَاءِ المَرْضَىٰ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ ، فَالاسْتِغَاثَةُ بِالمَخْلُوقِ فِي هَذِهِ الأُمُورِ -أَيُّهَا النَّاسُ- شِرْكٌ أَكْبَرُ وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لِعِبَادِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الكَرْبَ ، وَيُسَهِّلُ لَهُمْ الصُّعُوبَاتِ ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ دَلَّتْ الآيَاتُ القُرْآنِيَّةُ فِي اسْتِنْكَارِهَا لِلاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يُونُس:١٠٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العَنْكَبُوتُ:١٧] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأَحْقَافُ:٥] .

فَكُلُّ هَذِهِ الآيَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَنْهَىٰ الْمُشْرِكِيْنَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ لِغَيْرِ اللهِ، وَاسْتِغَاثَتِهِمْ بِمَنْ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُغِيْثَهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا طَلَبُوهُ ، وَالاسْتَغَاثَهُ بِاللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الأَمْرُ المَطْلُوبُ ، فَاللهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ إِجَابَةِ

دَعْوَتِكَ، وَتَفْرِيْجِ كُرْبَتِكَ وَإِعْطَائِكَ مَا تَطْلُبُ ، وَإِنْجَائِكَ مِمَّا تَرْهَبُ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأَنْفَالُ:٩].

وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ المَدْعُوِّيْنَ مِنْ دُونِ اللهِ يَسْتَجِيْبُونَ لِمَنْ دَعَاهُمْ ، وَيَجْلِبُونَ لَهُمْ مَا يُرِيْدُونَ ، وَيَكْشِفُونَ عَنْهُمُ الكُرْبَةَ، فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النَّمْلُ :٦٢].

فَكُلُّ هَذِهِ الآيَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تُفِيْدُ تَحْرِيْمَ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ [١].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٦٦-٦٨) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مِنَ البَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ عِبَادَةِ مَا سُوَىٰ اللّهِ

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **البَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللهِ**» ، وَهُوَ مَا بَوَّبَ لَهُ صَاحِبُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ بِقَوْلِهِ بَابُ: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾** ﴾ [الأَعْرَافُ:١٩١-١٩٢] .

وَقَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فَاطِرُ: ١٣-١٤].

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ تَعْلِيقًا » ، مُسْلِم مَوْصُولاً [١] ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ ، فَقَالَ : « **كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟، فَنَزَلَتْ** : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨] .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيقًا (٤٠٦٩) ، وَمُسْلِمٍ مَوْصُولاً (١٧٩١) ، فَهُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ مُسْلِمٍ كَمَا فِي «تُحْفَةِ الأَشْرَافِ» .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيْرَةِ مِنَ الفَجْرِ : « **اللَّهُمَّ العَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا** » ، **بَعْدَما يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ** » ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨] .

وَفِي رِوَايَةٍ «لِلبُخَارِيِّ » [٢] ،يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلُ بْنِ عَمْرُو وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨] .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشُّعَرَاءُ:٢١٤].

فَقَالَ : « **يَا مَعْشَرُ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، سَلِيْنِي مِنْ مَا لِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا** » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ مُرْسَلاً عَنْ سَالِمٍ (٤٠٧٠) وَوَصَلَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٠٤).
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٥٣) ، ومُسْلِمٌ (٢٠٦) .

وَهَا أَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَشْرَحُ لَكُمُ البَرَاهِيْنَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ بُطْلَانِ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللهِ ، فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أَيْ فِي العِبَادَةِ ، قَالَ المُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ الآيَةِ : هَذَا تَوْبِيْخٌ وَتَعْنِيْفٌ لِلمُشْرِكِيْنَ فِي عِبَادَتِهِمْ مَعَ اللهِ –تَعَالَىٰ – مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ ، وَالمَخْلُوقُ لا يَكُونُ شَرِيْكًا لِلخَالِقِ فِي العِبَادَةِ الَّتِي خَلَقَهُمْ لَهَا ، وَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيْعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ، فَكَيْفَ يُشْرِكُونَ بِهِ مَنْ لاَ يَسْتَطِيْعُ نَصْرَ عَابِدِيهِ، وَلاَ نَصْرَ نَفْسِهِ ؟ .

وَهَذَا –أَيُّهَا النَّاسُ– بُرْهَانٌ ظَاهِرٌ عَلَىٰ بُطْلَانِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مَنْ دُونِ اللهِ ، وَهَذَا وَصْفُ كُلِّ مَخْلُوقٍ حَتَّىٰ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَشْرَفِ الخَلْقِ مُحَمَّدٍ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَدْ كَانَ يَسْتَنْصِرُ رَبَّهُ عَلَىٰ المُشْرِكِيْنَ وَيَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ– فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي ، وَنَصْرِي ، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ** » .

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – :﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفُرْقَانُ : ٣].

وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – :﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا**

شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٨].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ ﴾ [الجِنّ: ٢١-٢٣].

فَكَفَىٰ بِهٰذِهِ الآيَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بُرْهَانًا عَلَىٰ بُطْلَانِ دَعْوَةِ غَيْرِ اللهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ نَبِيًّا أَوْ صَالِحًا فَقَدْ شَرَّفَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَالرِّضَا بِهِ رَبًّا وَمَعْبُودًا، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ العَابِدَ مَعْبُودًا مَعَ تَوْجِيهِ الخِطَابِ إِلَيْهِ بِالنَّهْيِ عَنْ هَذَا الشِّرْكِ، وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القَصَص: ٨٨].

وَقَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يُوسُف: ٤٠].

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عِبَادَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَغَيْرِهُمْ بِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهَذَا هُوَ دِينُهُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، وَرَضِيَهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ الإِسْلَامُ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي سُؤَالِ جِبْرِيلَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٩).

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِسْلَامُ ؟، قَالَ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهِ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيْمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ ...** »[١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فَاطِرُ:١٣-١٤].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يُخْبِرُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - عَنْ حَالِ المَدْعُوِّيْنَ مِنْ دُونِهِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالأَصْنَام وَغَيْرِهَا بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ عَجْزِهِمْ وَضَعْفِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ انْتَفَتْ عَنْهُمْ الأَسْبَابُ الَّتِي تَكُونَ فِي المَدْعُوِّ، وَهِيَ : المُلْكُ ، وَسَمَاعُ الدُّعَاءِ ، والقُدْرَةُ عَلَىٰ اسْتِجَابَتِهِ ، فَمَتَىٰ لَمْ تُوجَدْ هَذِهِ الشُّرُوطُ تَامَّةً -أَيُّهَا النَّاسُ- بَطُلَتْ دَعْوَتُهُ ، فَكَيْفَ وَهِيَ مَعْدُومَةٌ كُلُّهَا ؟.

فَنَفَىٰ عَنْهُمْ المُلْكَ بِقَوْلِهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ أَتَدْرُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا القِطْمِيْرُ؟! ، إِنَّهَا اللُّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَىٰ نَوَاةِ التَّمْرِ ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، كَمَا رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ جَرِيْرٍ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[٢].

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٢٩٣-٢٩٥) .
(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ عِنْدَ تَفْسِيرُ الآيَةِ (١٣) مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [النَّحْلُ: ٧٣].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سَبَأُ : ٢٢].

وَنَفَىٰ عَنْهُمْ سَمَاعَ الدُّعَاءِ ، فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فَاطِرُ : ١٤].

لِأَنَّهُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا بَيْنَ مَيِّتٍ وَغَائِبٍ عَنْهُمْ مُشْتَغِلٍ بِمَا خُلِقَ لَهُ ، مُسَخَّرٌ بِمَا أُمِرَ بِهِ كَالمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ [فَاطِرُ:١٣-١٤].

لِأَنَّ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَيْسَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ فِي دُعَاءِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، لَا اسْتِقْلَالًا ، وَلَا وَسَاطَةً ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فَاطِرُ:١٤].

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ دَعْوَةَ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مَرْيَمُ:٨١-٨٢].

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: «يَتَبَرَّؤُونَ مِنْكُمْ كَمَا قَالَ-تَعَالَىٰ-﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأَحْقَاف: ٥-٦]. وَقَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فَاطِرُ:١٤] أَيْ : وَلاَ يُخْبِرُكَ بِعَوَاقِبِ الأُمُورِ ، وَمَآلِهَا وَمَا تَصِيْرُ إِلَيْهِ مِثْلُ خَبِيْرٍ بِهَا .

قَالَ قَتَادَةُ –رَحِمَهُ اللهُ – يَعْنِي نَفْسَهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ – فَإِنَّهُ أَخْبَرُ بِالوَاقِعِ لاَ مَحَالَةَ » ، رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ جَرِيْرٍ عِنْدَ تَفْسِيْرِ الآيَةِ [١٣] مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ (١).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) انْظُرْ : « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٢٩٧-٢٩٨) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مِنَ البَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**البَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ بُطْلَانِ عِبَادَةِ مَا سِوَىٰ اللَّهِ**»، وَهُوَ مَا بَوَّبَ لَهُ صَاحِبُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ بِقَوْلِهِ بَابٌ: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾** ﴾ [الأَعْرَافُ:١٩١-١٩٢].

وَمِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَدِيْثُ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَقَدْ أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيقًا وَمُسْلِمُ مَوْصُولاً، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، فَقَالَ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟**»، **فَنَزَلَتْ:** ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨].

فَقَوْلُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- : «شُجَّ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-»، الشَّجُّ

فِي الرَّأْسِ خَاصَّةً وَهُوَ أَنْ يَضْرِبَهُ بِشَيْءٍ فَيَجْرَحَهُ ، كَمَا قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ -رَحِمَهُ اللهُ- .

وَقَوْلُهُ : «وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ» ، وَالرُّبَاعِيَّةُ هِيَ كُلُّ سِنَ بَعْدَ ثَنِيَّةٍ ، كَمَا قَالَ القُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- [١].

قَالَ القَاضِي -رَحِمَهُ اللهُ-: « وَلْيُعْلَمْ أَنَّهُمْ مِنَ البَشَرِ ، تُصِيبُهُمْ مِحَنُ الدُّنْيَا، وَيَطْرَأُ عَلَىٰ أَجْسَامِهِمْ وَمَا يَطْرَأُ عَلَىٰ أَجْسَامِ البَشَرِ لِيُتَيَقَّنَ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ ، وَلاَ يُفْتَنَ بِمَا ظَهَرَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنَ المُعْجِزَاتِ ، وَيُلَبِّسَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا لَبَّسَهُ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ وَغَيْرِهِمْ [٢]، أَيْ : مِنَ الغُلُوِّ وَالعِبَادَةِ .

وَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ » [٣] ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيْرَةِ مِنَ الفَجْرِ : « **اللَّهُمَّ العَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا** » ، **بَعْدَما يَقُولُ**: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ** » ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨] .

وَفِي رِوَايَةٍ «لِلبُخَارِيِّ » يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرُو وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ** ﴾[آلُ عِمْرَانَ :١٢٨] .

---

(١) «المُفْهِمُ» (٣/ ٦٤٩) .
(٢) «إِكْمَالُ المُعَلِّمِ» شَـرْحُ الحَدِيْثِ (١٧٩١) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٠٦٩) .

وَالشَّاهِدُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَفِي هَذَا كُلِّهِ مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ الَّذِي لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ فَهُوَ المُسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ وَهَذَا أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ وَلاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، فَكَيْفَ بِمَنْ دُوْنَهُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ.

وَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الحُجَجِ وَالبَرَاهِيْنِ مَا يُبَيِّنُ بُطْلاَنَ مَا يَعْتَمِدُهُ عُبَّادُ القُبُورِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ، مِنْ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ مَنْ دَعَاهُمْ وَيَمْنَعُونَ مَنْ لاَذَا بِهِمْ بِحِمَاهُمْ - تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا [(١)].

وَأَمَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٢)]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشُّعَرَاءُ:٢١٤].

فَقَالَ: « **يَا مَعْشَرُ قُرَيْشٍ** - أَوْ كَلِمَةً نَحوَهَا- **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٠٤) بِتَصَـرُّفٍ.

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

سَلِيْنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدِ-أَيُّهَا النَّاسُ-هُوَ قَوْلُهُ : « **لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا** ».

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللّه-: « هَذَا هُوَ الشَّاهِدُ ، أَيْ لاَ أَدْفَعُ أَوْ لاَ أَنْفَعُ أَيْ لاَ أَنْفَعُكُمْ بِدَفْعِ شَيْءٍ عَنْكُمْ دُونَ اللهِ، وَلاَ أَمْنَعُكُمْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادَهُ اللهُ لَكُمْ، لِأَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ اللهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ بِذَلِكَ فَقَالَ : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجِنُّ : ٢١-٢٢] [١].

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا** ».

فِيْهِ حُجَّةٌ عَلَىٰ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ ، وَرَغِبَ إِلَيْهِمْ ، لِيَشْفَعُوا لَهُ وَيَنْفَعُوهُ ، أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ - تَعَالَىٰ - وَأَقَامَ نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالإِنْذَارِ عَنْهُ ، كَمَا أَخْبَرَ - تَعَالَىٰ - عَنْ المُشْرِكِيْنَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزُّمَرُ:٣] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يُونُسُ:١٨].

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ » (١/ ٢٩٥) .

فَأَبْطَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ذَلِكَ وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا الشِّرْكِ[١].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٠٦) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

خَوْفُ المَلائِكَةِ مِنَ اللهِ

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**خَوْفِ المَلائِكَةِ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سَبأ: ٢٣].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -** : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ **فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيْهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ ، أَوْ الكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ ، فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَد قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا**

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٠١) .

وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ؟، فَيَصْدُقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ » .

وَالشَّاهِدُ مِنَ تِلْكَ الأَدِلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ خَوْفِ المَلائِكَةِ مِنَ اللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ أَنَّهُ لاَ يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ شَرِيْكًا مَعَ اللهِ ، لِأَنَّ المَلائِكَةَ وَهُمْ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الخَلْقِ للهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - مَا عَدَا خَوَاصَّ بَنِي آدَمَ يَحْصُلُ مِنْهُمْ عِنْدَ كَلاَمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الفَزَعُ [١].

فَإِذَا كَانَتْ المَلاَئِكَةُ تَخَافُ اللهَ وَ تَخَافُ عَذَابَهُ إِنْ خَالَفَتْ أَمْرَهُ فَكَيْفَ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟!! .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ:١٩٤] [٢].

فَهَذَا البَابُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِيْهِ بَيَانُ بُطْلاَنِ عِبَادَةِ كُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، وَالأَوْلِيَاءِ ، وَالصَّالِحِيْنَ ، وَالمَلائِكَةِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا بُطُلَتْ عِبَادَةُ هُؤُلاَءِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَبُطْلاَنُ عِبَادَةِ مِنْ دُونَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ ، وَإِذَا بَطُلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ المَلائِكَةِ وَهُمْ أَقْوَىٰ الخَلْقِ خِلْقَةً ،وَمِنْ أَقْرَبِهِم إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مَنْزِلَةً ، فَلأَنْ تَبْطُلَ عِبَادَةُ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الآدَمِيِّيْنَ والجِنِّ والإِنْسِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ .

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٣٠٦) .
(٢) انْظُرْ: « شَـرْحَ كِتَابِ التَّوحِيْدِ » بَابَ: خَوفُ المَلاَئِكَةَ مِنَ اللهِ ، لِابْنِ بَازٍ .

وَهَذَا هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ وَمَرْبَطُ الفَرَسِ ، وَهُوَ تَجْرِيْدُ التَّوْحِيْدِ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ .

قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ .

قَالَ ابْنُ جَرِيْر: قَالَ بَعْضُهُمْ الَّذِي ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ المَلائِكَةُ ، قَالُوا: وَإِنَّمَا ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ مِنْ غَشْيَةٍ تُصِيْبُهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ كَلَامَ اللهِ بِالوَحْيِ .

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ -رَحِمَهُ اللهُ-: «تَظَاهَرَتْ الأَحَادِيْثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ قَوْلَهُ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ إِنَّمَا هُمْ المَلَائِكَةُ إِذَا سَمِعَتْ الوَحْيَ إِلَىٰ جِبْرِيْلَ يَأْمُرُهُ اللهُ بِهِ سَمِعَتْ سِلْسِلَةَ الحَدِيْدِ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ، فَتَفْزَعُ عِنْدَ ذَلِكَ تَعْظِيْمًا ، وَهَيْبَةً .

قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ﴾ أَيْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ .

قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ أَيْ قَالُوا : قَالَ اللهُ الحَقَّ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا كَلَامُ اللهِ صُعِقُوا ، ثُمَّ إِذَا أَفَاقُوا أَخَذُوا يَسْأَلُونَ ، فَيَقُولُونَ :﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ﴾ فَيَقُولُونَ : ﴿ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ .

قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ أَيْ عُلُوُّ القَدْرِ ، وَعُلُوُّ القَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ، فَلَهُ العُلُوُّ الكَامِلُ مِنْ جَمِيْعِ الوُجُوهِ .

قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الَّذِي لاَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَلاَ أَعْظَمُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - [١].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ** »

أَيْ : إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالأَمْرِ الَّذِي يُوْحِيْهِ إِلَىٰ جِبْرِيلَ بِمَا أَرَادَهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » تَعْلِيْقًا وَوَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ [٣] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىٰ الصَّفْوَانِ** » .

وَقَوْلُهُ : «**ضَرَبَتْ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ** » أَيْ لِقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - .

قَوْلُهُ : « **خُضْعَانًا** » أَيْ : خُضوعًا ؛ لِقَوْلِهِ : «**كَأَنَّهُ**» أَيْ: صَوْتُ القَوْلِ فِي وَقْعِهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ .

قَوْلُهُ : « **صَفْوَانِ** » أَيْ : الحَجَرُ الأَمْلَسُ الصَّلْبُ ، وَالسِّلْسِلَةُ عَلَيْهِ يَكُونُ لَهَا صَوْتٌ عَظِيْمٌ .

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣١٠-٣١٢) بِتَصَرُّفٍ .
(٢) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٣١٠) .
(٣) « المَرْجِعُ السَّابِقُ» (١/ ٣١٠) .

وَلَيْسَ الْمُرَادُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَشْبِيْهُ صَوْتِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِهَذَا؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشُّوْرَىٰ:١١].

بَلْ الْمُرَادُ تَشْبِيْهُ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الفَزَعِ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ بِفَزَعِ مِمَّنْ يَسْمَعُ سِلْسِلَةً عَلَىٰ صَفْوَانٍ.

قَوْلُهُ: «**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**» والنُّفُوذُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الدُّخُوْلُ فِي الشَّيْءِ وَمِنْهُ نَفَذَ السَّهْمُ فِي الرَّمِيَّةِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ يَبْلُغُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ[١].

قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أَيْ أُزِيْلَ عَنْهَا الفَزَعُ.

قَوْلُهُ: «فَقَالُوا» أَيْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

قَوْلُهُ - مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، أَيْ قَالُوا: قَالَ اللهُ الحَقَّ، عِلِمُوا أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَا يَقُولُ إِلَّا الحَقَّ.

قَوْلُهُ: «**فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ**» أَيْ يَسْمَعُ الكَلِمَةَ الَّتِي قَضَاهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَهُمْ الشَّيَاطِيْنُ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٢]، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ -وَهُوَ السَّحَابُ- فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِيْنُ السَّمْعَ فَتُوَحِيْهِ**

(١) «القَوْلُ الْمُفِيْدُ» (١/ ٣١٠).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٢١٠).

إِلَىٰ الكُهَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » .

قَوْلُهُ : «**وَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ**» هَكَذَا وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفَّيْهِ ، أَيْ : وَصَفَ رُكُوبَ بَعْضِهِمْ فَوْقَ بَعْضٍ .

فَالجِنُّ يَتَرَاكَبُونَ وَاحِدًا فَوْقَ الآخَرِ إِلَىٰ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَقْعُدُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَقْعَدٌ خَاصٌّ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا** ⁽٩⁾ ﴾ [الجِنُّ : ٩].

قَوْلُهُ : «**فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ** » أَيْ يَسْمَعُ أَعْلَىٰ المُسْتَرِقِينَ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ حَتَّىٰ يُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الكَاهِنِ .

وَ قَوْلُهُ : «**فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا** » الشِّهَابُ -أَيُّهَا النَّاسُ- جُزْءٌ مُنْفَصِلٌ مِنَ النُّجُومِ ثَاقِبٌ قَوِيٌّ .

قَالَ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ** ⁽٥⁾ ﴾ [المُلْكُ:٥] .

أَيْ: جَعَلْنَا شِهَابَهَا يَنْطَلِقُ مِنْهَا ، فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ بَابِ عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَىٰ الجُزْءِ لاَ إِلَىٰ الكُلِّ ، فَالشُّهُبُ : نَيَازِكُ تَنْطَلِقُ مِنَ النُّجُومِ .

وَهِيَ كَمَا قَالَ أَهْلُ الفَلَكِ : تَنْزِلُ إِلَىٰ الأَرْضِ ، وَقَدْ تُحْدِثُ تَصَدُّعًا فِيهَا ،

أَمَّا النَّجْمُ فَلَوْ وَصَلَ إِلَىٰ الأَرْضِ لأَحْرَقَهَا [١].

قَوْلُهُ : « **فَيَكْذِبُ مَعَهَا مائَةَ كَذِبَةٍ** » أَيْ : الكَاهِنُ أَوْ السَّاحِرُ .

قَوْلُهُ : « **أَلَيْسَ قد قَالَ لَنا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ؟** ، »وَفِي هَذَا –أَيُّهَا النَّاسُ– قُبُولُ النُّفُوسِ لِلبَاطِلِ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلاَ يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ .

فَدَلَّ ذَلِكَ –أَيُّهَا النَّاسُ– أَنَّ البَاطِلَ لاَ يَنْفَعُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيْهِ مَشُوْبٌ مِنَ الحَقِّ ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ –رَحِمَهُ اللهُ– .

فَهَلِ الشَّيْءُ إِذَا كَانَ فِيْهِ شَيْءٌ مِنَ الحَقِّ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ حَقٌّ كُلُّهُ ؟!! ، كَلَّا ... لِهَذَا نَعْلَمُ كَيْفَ يُلْبِسُ أَهْلُ الضَّلَالِ الحَقَّ بِالبَاطِلِ لِتَكُونَ لِبَاطِلِهِمْ قُبُولٌ.

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [البَقَرَةُ : ٤٢].

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدِ –أَيُّهَا النَّاسُ– هُوَ خَوْفُ المَلائِكَةِ وَفَزَعِهِمْ وَافْتِقَارِهِمْ إِلَىٰ اللهِ وَهُمْ أَقْرَبُ الخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ وَسِيْلَةً ، فَإِذَا بَطُلَتْ عِبَادَةُ هُؤُلاَءِ فَغَيْرُهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ ، فَيَجِبُ تَجْرِيْدُ التَّوْحِيْدِ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٣١٤-٣١٥) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
الشَّفَاعَةُ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **خَوفِ المَلائِكَةِ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-** » ، وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ- أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**الشَّفَاعَةِ**» .

-أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ الَّذِيْنَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَضْرِحَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا شُفَعَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَهُ الحُكْمُ التَّامُّ المُطْلَقُ والقُدْرَةُ التَّامَّةُ ، فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ شُفَعَاءَ ، والمُلُوكُ فِي الدُّنْيَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ شُفَعَاءَ لِقُصُورٍ فِي عِلْمِهِمْ، أَوْ نَقْصٍ فِي قُدْرَتِهِمْ، فَيَحْتَاجُونَ إِلَىٰ شُفَعَاءَ يُسَاعِدُونَهُمْ، وَلِقُصُورٍ فِي سُلْطَانِهِمْ يَتَجَرَّأُ عَلَيْهِمْ الشُّفَعَاءُ ، فَيَشْفَعُونَ بِدُونِ اسْتِئْذَانٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَامِلُ العِلْمِ والقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، فَلاَ يَحْتَاجُ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ ، وَلِهَذَا لاَ تَكُونُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ -سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَىٰ - إِلَّا بِإِذْنِهِ لِكَمَالِ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ [(١)].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأَنْعَامُ: ٥١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٤].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٥٥].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّجْمُ: ٢٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَأُ: ٢٢].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ - : «نَفَىٰ اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ ، وَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الشَّفَاعَةَ ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ - : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٢٨].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا ، وَأَخْبَرَ النَّبِيّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -لَا يَبْدَأُ

---

(١) «القَوْلُ الْمُفِيدُ» (١/ ٣٢٩).

بالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا -ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: « **ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** » والحَدِيْثُ في «الصَّحِيْحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [2]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ** » .

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ ، وَلاَ تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ»[3].

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لاَ يَمْلِكُهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لاَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَأَنَّ الوَاجِبَ أَنْ تُطْلَبَ الشَّفَاعَةُ مِنَ اللهِ ؛ لِأَنَّهَا لاَ تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلاَ يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يَشْفَعَ إِلَّا بَعْدَ رِضَاهُ وَهِيَ فِي الحَقِيْقَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِكْرَامٌ لِلشَّافِعِ، وَرَحْمَةٌ لِلمَشْفُوعِ لَهُ بَعْدَ الرِّضَا عَنْ المَشْفُوعِ لَهُ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الآيَاتِ بِذَلِكَ ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ- : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ أَيْ : أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُهَا وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- اسْتِفْهَامٌ ، أَيْ لاَ أَحَدَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٤٠) ، ومُسْلِمٌ (١٩٤) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٥٧٠) .

(٣) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ» (٢/ ٩٢) .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النَّجْمُ:٢٦].

فَأَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّ المَلائِكَةَ المُقَرَّبِيْنَ لاَ يَسْتَطِيْعُونَ أَنْ يَشْفَعُوا إِلَّا مِنْ بَعْدَ إِذْنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَرِضَاهُ عَنْ المَشْفُوعِ لِهُ .

وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟»، قَالَ : «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ** » .

فَمِنْ شُرُوطِ الشَّفَاعَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهَا لِلمُوَحِّدِيْنَ وَلاَ تَكُوْنُ إِلَّا بَعْدَ رِضَا رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فَمَنْ طَلَبَهَا مِنْ غَيْرِ اللهِ حُرِمَهَا ، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ فَإِنَّهَا لاَ تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِيْنَ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سَبَأُ: ٢٣].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ : ٢٨].

النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَشْفَعْ فِي أَحَدٍ مِنْ قَرَابَتِهِ الَّذِيْنَ مَاتُوا عَلَىٰ الشِّرْكِ إِلَّا فِي أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ يَشْفَعُ فِي تَخْفِيْفِ العَذَابِ عَنْهُ وَلَيْسَ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ العَذَابِ .

الشَّفَاعَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَبْعُ شَفَاعَاتٍ : ثَلاَثٌ مِنْهَا خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يُشَارِكُهُ فِيْهَا أَحَدٌ وَهِيَ :

الشَّفَاعَةُ الأُوْلَىٰ : شَفَاعَتَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي فَصْلِ القَضَاءِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا : المَقَامُ المَحْمُودِ .

الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ : فِي اسْتِفْتَاحِ بَابِ الجَنَّةِ .

الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ : شَفَاعَتَهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي تَخْفِيْفِ العَذَابِ عَنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ .

أَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامِ اسْتَحَقُّوا دُخُولَ النَّارِ أَلَّا يَدْخُلُوهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَوْ فِي أَقْوَامِ دَخَلُوا النَّارَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ، وَالشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الأَعْرَافِ الَّذِيْنَ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ ، وَالشَّفَاعَةُ فِي رِفْعَةِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ فِي الجَنَّةِ ، فَهَذِهِ الأَرْبَعُ عَامَّةٌ يُشَارِكُ فِيْهَا النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَغَيْرُهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّقِيْنَ ، وَسَائِرِ المُؤْمِنِيْنَ ، فَهَذِهِ أَرْبَعٌ، وَتِلْكَ ثَلاثٌ أَيْ الخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَالجُمْلَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- سَبْعُ شَفَاعَاتٍ [١].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «الشَّـرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٧٨-٨٠) بِتَصَـرُّفٍ يَسِيرٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ أَيُّهَا -النَّاسُ- عَنْ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القَصَصُ:٥٦] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ قَسَّمَ العُلَمَاءُ الهِدَايَةَ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

هِدَايَةُ التَّوْفِيْقِ والقَبُولِ ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

القِسْمُ الثَّانِي:هِدَايَةُ الدَّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشُّوْرَىٰ :٥٢].

القِسْمُ الثَّالِثُ: الهِدَايَةُ العَامَّةُ لِجَمِيْعِ الخَلَائِقِ، وَالدَّلِيْلُ عَلَيْهَا قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طَه :٥٠]. أَيْ هَدَاهَا لِمَصَالِحِهَا وَأُمُورِ حَيَاتِهَا .

القِسْمُ الرَّابِعُ : هِدَايَةُ أَصْحَابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِ الجَنَّةِ ، وَأَصْحَابِ النَّارِ لِدُخُولِ النَّارِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصَّافَّاتُ :٢٣].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[مُحَمَّدُ:٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩﴾ [يُونُس:٩] (١) .

وَمَوْضُوعُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُو:

القِسْمُ الأَوَّلُ: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ والقَبُولِ الَّتِي هِيَ خَاصَّةٌ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-.

قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القَصَص:٥٦].

فَفِي «الصَّحِيحَيْن» (٢) ، مِنْ حَدِيثِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيْه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبِ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَأَبُو جَهْل، فَقَالَ لَهُ:« **يَا عَمِّ ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** » ، فَقَالَا لَهُ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟، فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَعَادُوا ، فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ : هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ** » ، فَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التَّوْبَة:١١٣] .

---

(١) «بَدَائِعُ الفَوَائِدِ» (٢/ ٣٥-٣٧) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٧٢)، ومُسْلِمٌ (٢٤) .

وَأَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القَصَصُ:٥٦].

فَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ لَهَا تَفْسِيْرَانِ :

الأَوَّلُ - إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتَهُ ، فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُحِبُّ أَبَا طَالِبٍ حُبًّا طَبِيْعِيًّا ، لاَ حُبًّا شَرْعِيًّا ؛ لِأَنَّهُ قَرِيبُهُ، وَأَحَاطَهُ ، وَنَصَرَهُ، وَآوَاهُ، فَهَذَا حُبٌّ طَبِيْعِيٌّ لاَ يَضُرُّ الإِنْسَانَ ذَلِكَ .

الثَّانِي -إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحِبُّ هِدَايَةَ أَبِي طَالِبٍ لِلإِسْلَام .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ - : يَقُولُ - تَعَالَىٰ - لِرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أَيْ : لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ ، إِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ ، واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَلَهُ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ ، وَالحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ [البَقَرَةُ:٢٧٢].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يُوسُفُ:١٠٣] (١).

وَمِمَّا جَاءَ فِي الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُ المُسَيَّبِ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٥/ ١٤) .

الوَفَاةُ أَيْ : عَلَامَاتُهَا وَمُقَدِّمَاتُهَا .

وَقَوْلُهُ : «**جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ يَا عَمِّ ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» .

أَمَرَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَقُولَهَا لِعِلْمِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ الشِّرْكِ بِاللهِ ، وَإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ ، فَإِنَّ مَنْ قَالَهَا بِعِلْمٍ وَيَقِيْنٍ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِيْنَ ، وَدَخَلَ الإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ»[(١)] .

وَقَوْلُهُ - أَيُّهَا النَّاسُ- «**كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**» فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ الأَعْمَالَ بِالخَوَاتِيْمِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا فِي تِلْكَ الحَالِ مُعْتَقِدًا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مُطَابَقَةً مِنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ لَنَفَعَتْهُ[(٢)] .

وَقَوْلُهُ : فَقَالَا لَهُ «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟» .

القَائِلَانِ هُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَالاسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمَا عَرَفَا أَنَّهُ إِذَا قَالَهَا - أَيْ كَلِمَةَ الإِخْلَاصِ- وَحَّدَ ، وَمِلَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الشِّرْكِ وَذَكَرَ لَهُ مَا تَهِيْجُ بِهِ نَعْرَتُهُ ، وَهُوَ مِلَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّىٰ لَا يَخْرُجَ عَنْ مِلَّةِ آبَائِهِ[(٣)] .

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٣٥) .
(٢) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٣٦) .
(٣) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٣٥١) .

قَوْلُهُ : «**فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَعَادُوا** » .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : «فِيْهِ مَعْرِفَتُهُمَا مَعْنَىٰ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ لأَنَّهُمَا عَرَفَا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَو قَالَهَا تَبَرَّأَ مِنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنَّ مِلَّةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ هِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ ، وَأَمَّا الرُّبُوبِيَّةُ فَقَدْ أَقَرُّوا بِهَا»[١].

قَوْلُهُ : « **فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ : هُوَ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » .

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « هَذَا تَأْكِيْدٌ مِنَ الرَّاوِي فِي نَفْيِ وُقُوعِ ذَلِكَ مِنْ أَبِي طَالِبٍ »[٢].

وَمِنْ حِكْمَةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَيُّهَا النَّاسُ- فِي عَدَمِ هِدَايَةِ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ الإِسْلَامِ لِيُبَيِّنَ لِعِبَادِهِ أَنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَهُوَ القَادِرُ عَلَيْهِ دُوْنَ مَنْ سِوَاهُ، فَلَوْ كَانَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ خَلْقِهِ مِنْ هِدَايَةِ القُلُوبِ، وَتَفْرِيْجِ الكُرُوبِ، وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ العَذَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ شَيْءٌ لَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ عَمُّهُ الَّذِي كَانَ يَحُوْطُهُ، وَيَحْمِيْهِ وَيَنْصُرُهُ ، وَيُؤْوِيْهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ حِكْمَتُهُ العُقُولَ ، وَأَرْشَدَ العِبَادَ إِلَىٰ مَا يَدُلُّهُمْ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيْدِهِ ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَهُ،

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٣٦) .
(٢) « فَتْحُ البَارِيِّ» (٨/ ٥٠٧) .

وَتَجْرِيْدِهِ»[١].

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- عِدَّةُ فَوَائِدَ مِنْهَا:

الفَائِدَةُ الأُوْلَىٰ - حِرْصُ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ عَمِّهِ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ - أَنَّ صَاحِبَ الخَيْرِ لَا يَخْلُو مِنْ مُعَارِضٍ فَقَدْ عَارَضَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دَعْوَتِهِ لِعَمِّهِ، عَارَضَهُ أَبُو جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَكَانَ إِذَا كَرَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَدَعَاهُ إِلَىٰ قَوْلِهَا، كَرَّرَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ مَقَالَتَهُمْ: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ أَوْ دِيْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ».

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ - إِذَا كَانَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ مَقَامٍ، وَمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنْ جَاهٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ الخَلْقِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ جَاهًا، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيْلَةً لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ هِدَايَةِ مَنْ أَحَبَّ هِدَايَةَ تَوْفِيْقٍ لِأَنَّ هِدَايَةَ التَّوْفِيْقِ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ، فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي القُلُوبَ، وَيَرُدَّهَا إِلَىٰ الحَقِّ إِذَا شَاءَ، وَهُوَ الَّذِي تَمْنَعُ ذَلِكَ، وَيَتْرُكُ أَصْحَابَ الضَّلَالَةِ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ حَتَّىٰ يُوَاجِهُوا الحَقِيْقَةَ المُرَّةَ، فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ آخِرُ مَا قَالَ: إِنَّهُ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ».

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٣٧).

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ - يُؤْخَذُ مِنْهُ عَظَمَةُ شَأْنِ التَّوْحِيْدِ ، وَأَنَّ لَهُ الأَثَرَ العَظِيْمَ فِي مُسْتَقْبَلِ العَبْدِ وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِهِ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُوَاجِهَ الحَقِيْقَةَ المُرَّةَ مِنْ دُخُولِ النَّارِ والخُلُوْدِ فِيْهَا أَبَدَ الآبَادِ .

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ - يُؤْخَذُ مِنْهُ مَضَرَّةُ جُلَسَاءِ السُّوْءِ عَلَىٰ الإِنْسَانِ [١].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٨٢-٨٣) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنْي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْن

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

والآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْن**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النِّسَاءُ: ١٧١].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»(١).

---

(١) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (١/ ٢٨٧).

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» (١)، مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لاَ تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الغُلُوُّ**».

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (٣)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»، قَالَهَا ثَلاثًا.

فَالَّذِي يُسْتَفَادُ مِنَ تِلْكَ الأَدِلَّةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- النَّهْيُ عَنْ الغُلُوِّ، وَالغُلُوُّ هُوَ الزِّيَادَةُ فِي الشَّيْءِ عَنْ قَدْرِهِ، واللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَهَىٰ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ الغُلُوِّ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ بِالغُلُوِّ دَخَلُوا فِيمَا لَمْ يَجُزْ لَهُمْ فِي الدُّخُولُ فِيْهِ.

فَإِنَّ النَّصَارَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- غَلَتْ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ حَيْثُ أَلَّهُوهُ وَجَعَلُوهُ ابْنًا لِلهِ، وَاليَهُودُ غَلَوْ فِي عُزَيْرٍ حَتَّىٰ جَعَلُوهُ ابْنًا لِلهِ، فَاللهُ -سُبْحَانَهُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٤٥).
(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٥١)، وَابْنُ مَاجَةْ (٣٠٢٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٢٨٣).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٧٠).

وَتَعَالَىٰ - نَهَاهُمْ عَنْ الغُلُوِّ بِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النِّسَاءُ:١٧١].

وَالحَقُّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَلَّا يُعْتَدَىٰ عَلَىٰ مَقَامِ الأُلُوهِيَّةِ فَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالُ فِي أَحَدٍ : إِنَّهُ ابْنٌ لِلهِ !!! .

وَيُؤْخَذُ مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « **لاَ تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ...** » الإِطْرَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ ، والخُرُوْجُ بِالمَمْدُوحِ إِلَىٰ حَدِّ المُغَالاَةِ فِيْهِ ، فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَىٰ أُمَّتَهُ عَنْ الإِطْرَاءِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ إِلَىٰ حَدِّ التَّأْلِيْهِ .

وَقَدْ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِنَبِيِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ لِقَوْمِهِ : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكَهْفُ:١١٠].

فَالعَمَلُ الصَّالِحُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الَّذِي يَكُونُ خَالِصًا لِلهِ ، وَمُوَافِقًا لِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غَيْرِ مُغَالاَةٍ وَلاَ تَقْصِيْرٍ ، فَالمُغَالاَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ تَجُوزُ ، وَالتَّقْصِيْرُ كَذَلِكَ .

وَقَدْ تَكُونُ مَضَرَّةُ التَّقْصِيْرِ أَخَفَّ مِنَ مَضَرَّةِ المُغَالاَةِ ؛ لأَنَّ المُغَالاَةَ فِي المَخْلُوقِ تَخْرُجُ بِهِ عَنْ حَدِّهِ وَتَجَاوُزُ الحَدِّ يَصِيْرُ بِهِ العَبْدُ طَاغُوتًا .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ**

قَبْلَكُمْ الغُلُوُّ » .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ خُطُورَةِ الغُلُوِّ ، وَهُوَ عَامٌّ فِي الاعْتِقَادَاتِ والعِبَادَاتِ وَالأَعْمَالِ، وَدِيْنُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ الغَالِي فِيْهِ وَالجَافِي عَنْهُ ، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ ، وَأَنْ يَعْمَلُوا مَا أُمِروُا بِهِ مِنْ دُونِ غُلُوٍّ أَوْ تَقْصِيْرٍ .

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « **هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ** » ، قَالَهَا ثَلاثًا.

والتَّنَطُّعُ هُوَ التَّشَدُّدُ فِي المَسَائِلِ الدِّيْنِيَّةِ يُشْبِهُ الغُلُوَّ فِيْهَا ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الهَلاكِ ، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَسِيْرَ إِلَىٰ اللهِ وَسَطًا بَيْنَ الغُلُوِّ والجَفَاءِ [١].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الغُلُوِّ وَالتَّنَطُّعِ والجَفَاءِ ، اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا ، وَأَجْرِ الخَيْرَ عَلَىٰ أَيْدِيْنَا ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ ، وَزِدْنَا عِلْمًا وَهُدًى وَصَلاحًا وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «الشَّـرْحُ الُموجَزُ الُمَمهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ الُمَمجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٨٥-٨٦) بِتَصَـرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

تَحْرِيْمُ العِبَادَةِ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِيْنَ وَمَا جَاءَ فِي التَّغْلِيْظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!!** » .

أَيْ عَبَدَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ ، فَإِنَّ عِبَادَتَهُ هِيَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ ، وَعِبَادَةُ اللهِ عِنْدَهُ وَسِيلَةٌ إِلَى عِبَادَتِه ، وَوَسَائِلُ الشِّرْكِ ؛ مُحَرَّمَةٌ ؛ لِأَنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى الشِّرْكِ الأَكْبَرِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [١] ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ، فَقَالَ : « **أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ ؛ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ** » .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [٢] ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٢٧) ، ومُسْلِمٌ (٥٢٨) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٥) ، ومُسْلِمٌ (٥٣١) .

وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ - « **لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُوا مَا صَنَعُوا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا** » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : « **إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيْلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيْلاً ، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلاً ، أَلَاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيْهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** » .

- أَيُّهَا النَّاسُ- لَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي آخِرِ حَيَاتِهِ عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ ، ثُمَّ إِنَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَعَنَ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ أَيْ عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَنْ فَعَلَهُ ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ وَهُو مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: « **خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا** » فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتْ الصَّلَاةُ فِيْهِ فَقَدْ اتُّخِذَ مَسْجِدًا ، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيْهِ يُسَمَّىٰ مَسْجِدًا ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**». وَهُوَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٣٢) .

فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- [٢].

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ،بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الوَادِعِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِيْنَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ** » .

فَتِلْكَ الأَحَادِيْثُ - أَيُّهَا النَّاسُ- لَتَدُلُّ عَلَىٰ تَحْرِيْمِ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ؛ سَوَاءٌ القُبُورِ فِي المَسْجِدِ بَعْدَ بِنَائِهِ أَوْ بُنِيَ المَسْجِدُ فِي وَسَطِ المَقَابِرِ؛كُلُّ ذَلِكَ لاَ يَجُوزُ .

كَمَا لاَ يَجُوزُ - أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يُصَلَّىٰ فِي مَسْجِدٍ حَوْلَهُ مَقَابِرُ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتِ المَقَابِرُ فِي قِبْلَتِهِ ، فَإِنَّ المَسْجِدَ بُنِيَ عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ عَلَىٰ المَقَابِرِ تَعْظِيْمًا لَهَا فَإِنَّهُ يَجِبُ هَدْمُهُ ، وَمَنْعُ الصَّلَاةِ فِيْهِ .

وَإِنْ كَانَ المَسْجِدُ مَبْنِيًّا وَوُضِعَتْ المَقَابِرُ فِيْهِ ؛ فَإِنَّ الأَوْلَىٰ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهُ الرِّمَمُ وَالعِظَامُ ؛ الَّتِي فِي المَقَابِرِ، وَتُنْقَلَ إِلَىٰ مَقَابِرِ المُسْلِمِيْنَ، وَحِيْنَئِذٍ يَكُونُ المَسْجِدُ صَالِحًا لِلصَّلَاةِ فِيْهِ ، وَبِدُونُ هَذَا لاَ تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيْهِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ المَقَابِرُ مُحِيْطَةٌ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٥) ، ومُسْلِمٌ (٥٢١) .

(٢) الكَلَامُ مَأْخُوذٌ مِنَ «الاقْتِضَاءِ» (٢/ ٦٧١) لِشَيْخِ الإِسْلَامَ ابْنِ تَيْمِيَةِ -رَحِمَهُ اللهُ- .

(٣) (حَسَنٌ)أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ،وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي«صَحِيْحِ المُسْنَدِ».

يُسْتَفَادُ مِنَ الأَحَادِيْثِ المُتَقَدِّمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اتِّخَاذَ المَسَاجِدِ عَلَىٰ القُبُورِ مُحَرَّمٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ ، وَقَدْ نَقَلَ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ «تَحْذِيْرُ السَّاجِدِ مِنَ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ» عَنْ أَصْحَابِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ تَحْرِيْمَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا صِحَّةُ الصَّلَاةِ فِيْهَا فَالرَّاجِحُ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَدُ ، وَاخْتَارَهُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ لِأَنَّ النَّهْيَ - أَيُّهَا النَّاسُ- يَقْتَضِي الفَسَادَ لِحَدِيْثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» ،قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» . وَهَذَا هُوَ تَرْجِيْحُ الأَئِمَّةِ ابْنِ بَازٍ والعُثَيْمِيْنِ وَالوَادِعِيِّ -رَحِمَهُمُ اللهُ- [١].

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الأَحَادِيْثِ المُتَقَدِّمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ العِبَادَةَ إِذَا كَانَتْ للهِ، لَكِنْ فَعَلَهَا صَاحِبُهَا عِنْدَ هَذَا القَبْرِ تَبَرُّكًا بِهِ ، وَظَنًّا أَنَّ العِبَادَةَ عِنْدَهُ تَكُونُ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَفَاضِلَةً لَدَيْهِ ، فَإِنَّ تِلْكَ العِبَادَةَ بَاطِلَةٌ وَمَرْدُودَةٌ عَلَىٰ صَاحِبِهَا وَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَفْعَلَهَا عِنْدَ القَبْرِ .

وَالمَعْرُوفُ - أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ حَالِ النَّاسِ وَفِي بَعْضِ الدُّوَلِ وَأَطْرَافِ البِلَادِ الَّتِي يَعُمُّ فِيْهَا الجَهْلُ أَنَّهُمْ يَذْبَحُونَ عِنْدَ القُبُورِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الذَّبِيْحَةَ إِنَّمَا ذُبِحَتْ للهِ ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيْحٍ ، وَلَوْ كَانَ قَصَدَ الذَّبْحِ للهِ لَذَبَحَهَا فِي بَيْتِهِ وَلَمْ يَأْتِ بِهَا إِلَىٰ القَبْرِ ، وَعَلَىٰ أَقَلِّ الأَحْوَالِ فَإِنَّ هَذِهِ العِبَادَةَ

---

(١) انْظُرْ : «فَتْحَ المَجِيْدِ» (٣٥٥) لِأَخِيْنَا مُحَمَّدِ بْنِ حِزَامٍ .

مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »[١] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّ اللهَ يَقُولُ : « **أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » .

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الأَحَادِيْثِ المُتَقَدِّمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَعَنَ الَّذِيْنَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ ، وَخَصَّ بِاللَّعْنَةِ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ .

وَيُسْتَفَادُ مِنَ الأَحَادِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ مَنْ دَعَا العَبْدَ الصَّالِحَ سَوَاءً كَانَ مَعْرُوفًا بِالصَّلَاحِ كَنَبِيِّ اللهِ عِيْسَىٰ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَعُزَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ ، مَنْ دَعَا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ ، أَوْ عَبَدَهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُشْرِكًا كَافِرًا ، وَمَنْ صَلَّىٰ عِنْدَ القَبْرِ مُعْتَقِدًا فَضِيْلَةَ الصَّلَاةِ عِنْدَ ذَلِكَ القَبْرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ ذَرِيْعَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ .

ثُمَّ اعْلَمُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ أَنْ قَبْرَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ خَارِجًا عَنْ المَسْجِدِ ؛ لِأَنَّ بَيْتَهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِلَىٰ جَنْبِ المَسْجِدِ ، وَقَدْ دُفِنَ فِي بَيْتِهِ ، وَفِي عَهْدِ الوَلِيْدِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ أَمَرَ بِتَوْسِعَةِ المَسْجِدِ وَأُدْخِلَتْ الحُجْرَةُ فِي المَسْجِدِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ رِضَا

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٦٥) .

مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ العِلْمِ كَانُوا مَوْجُودِيْنَ فِي تِلْكَ الأَزْمِنَةِ كَرِهُوا ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ سَيِّدُ التَّابِعِيْنَ ، سَعِيْدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ -رَحِمَهُ اللهُ- .

وَأَمَّا القُبَّةُ الخَضْرَاءُ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَىٰ قَبْرِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ بُنِيَتْ فِي آخِرِ القَرْنِ السَّادِسِ ، بَنَاهَا مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ ، فَمَنْ احْتَجَّ بِوُجُودِ قَبْرِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَسْجِدِهِ ، فَلاَ حُجَّةَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَمَنْ احْتَجَّ عَلَىٰ البِنَاءِ عَلَىٰ القُبُورِ بِوُجُودِ تِلْكَ القُبَّةِ فَلاَ حُجَّةَ لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الأُمُورَ فُعِلَتْ مِنْ أُنَاسٍ يَكُونُ عِنْدَهُمْ جَهْلٌ ، وَلَهُمْ سُلْطَةٌ لاَ يَسْتَطِيْعُ النَّاسُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، فَعَمِلُوا ذَلِكَ بِزَعْمِهِمْ أَنَّهُ مَحَبَّةٌ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَعْظِيْمًا لَهُ .

وَالحُجَّةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَكُونُ فِي قَالَ اللهُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ هِيَ الحُجَّةُ ، وَقَدْ قَامَتْ الحُجَّةُ فِي نَهْيِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَكَرَّرَ النَّهْيَ عَنْ اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ وَخَاصَّةً فِي آخِرِ حَيَاتِهِ وَقُرْبَ مَوْتِهِ [1] -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) «الشَّـرْحُ الْمُوجَزُ الْمُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ الْمُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٨٨-٩٠) بِتَصَـرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ في قُبُورِ الصَّالِحِيْنَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰه

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُم -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي التَّغْلِيْظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللّٰه عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ**». وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِيْنَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰه**».

فَقَدْ أَخْرَجَ مَالِكُ فِي المُوَطَّأِ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «غَايَةِ المَرَامِ»[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ مَالِكُ فِي المُوَطَّأِ (٨٥)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مُرْسَلاً، وَوَصَلَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٢٤٦) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَالبَزَّارُ (٤٤٠)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «تَحْذِيرِ السَّاجِدِ» (١٨-١٩).

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ،بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» [(١)]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا ، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيْرٍ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ [(٢)] عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[النَّجْمُ: ١٩]، قَالَ: « **كَانَ يَلُتُّ السُّوَيْقَ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [(٣)]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ: « **كَانَ يَلُتُّ السُّوَيْقَ لِلحَاجِّ** » .

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «المِشْكَاةِ» مِنْ حَدِيْثِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**لَعَنْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَوَّاراتِ القُبُورِ** » .

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الأَحَادِيْثِ المُتَقَدِّمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ أَنَّ الغُلُوَّ سَبَبٌ فِي جَعْلِ قُبُورِ الصَّالِحِيْنَ أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَقَدْ خَافَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٢٤٦)، وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ المُسْنَدِ» (٢/ ٤٠٦).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ (٢٢/ ٥٢٠٣).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٥٩).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُتَّخَذَ قَبْرُهُ وَثَنًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ .

فَسَأَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَائِلًا : « **اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ** » .

وَقَدْ اسْتَجَابَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- دُعَاءَهُ ، كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي نُوْنِيَّتِهِ:

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلاَثَةِ الجُدْرَانِ

حَتَّىٰ غَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ ... فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانٍ [١]

وَ حَدِيْثُ مُجَاهِدٍ أَنَّ اللَّاةَ كَانَ يَلُتُّ السُّوَيْقَ لِلحَاجِّ أَيْ يُطْعِمُهُمْ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ لَتِّ السُّوَيْقَ ثُمَّ جَعَلُوهُ مِنَ الإِلَهِ وَغَلَوْا فِي قَبْرِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ فَصَارُ الغُلُوُّ فِي القُبُورِ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَيُسْتَفَادُ مِنَ ذَلِكَ التَّحْذِيْرُ مِنَ الغُلُوِّ فِي القُبُورِ [٢] .

وَيُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيْثِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «**لَعَنْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَوَّاراتِ القُبُورِ** » .

فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُنَّ يُكْثِرْنَ الزِّيَارَةَ الشِّرْكِيَّةَ ، وَلَهَذَا جَاءَ الحَدِيْثُ بِصِيْغَةِ المُبَالَغَةِ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ ذَهَبَ كَثِيْرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَهُوَ الرَّاجِحُ وَجَعُلُوا ذَلِكَ خَاصًّا بِالنِّسَاءِ اللَّاتِي يُكْثِرْنَ زِيَارَةَ القُبُورِ زِيَارَةَ شِرْكِيَّةً وَبِدْعِيَّةً .

---

(١) «الكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ» (٢٤٨) .

(٢) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٤٢٥) .

وَفِي تَخْصِيْصِ النِّسَاءِ بِذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ النِّسَاءَ أَكْثَرُ مَا يَقَعْنَ ضَحِيَّةً لِلخُرَافَاتِ، وَالعَقَائِدِ المُنْحَرِفَةِ المَبْنِيَّةِ عَلَىٰ الأَوْهَامِ، وَالتَّخْرِيْفِ[1].

لَكِنَّ الصَّحِيْحَ لاَ تُمْنَعَ النِّسَاءُ مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ فِيْهَا مَحْذُورٌ شَرْعِيٌّ.

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[2]، مِنْ حَدِيْث ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُوْرُوهَا** ».

فَيُفْهَمُ مِنَ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَخَّصَ بَعْدَ النَّهْيِ، وَالنَّهْيُ كَانَ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ رَخَّصَ بَعْدَ ذَلِكَ دُونَ تَخْصِيْصَ الرِّجَالِ مِنْ بَيْنَ النِّسَاءِ.

وَخُلَاصَةُ القَوْلِ فِي الزِّيَارَةِ لِلقُبُورِ -أَيُّهَا النَّاسُ-.

أَنَّ زِيَارَةَ القُبُورِ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

القِسْمُ الأَوَّلُ - زِيَارَةٌ بِدْعِيَّةٌ، وَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ فِيْهَا العِبَادَةُ وَالدُّعَاءُ عِنْدَ القَبْرِ، ظَنًّا بِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا لِمُضَاعَفَةِ الأَجْرِ، وَقَبُولِ العِبَادَةِ.

القِسْمُ الثَّانِي - زِيَارَةٌ شِرْكِيَّةٌ، وَهِيَ الَّتِي يُدْعَىٰ فِيْهَا المَقْبُورُ، وَيُطْلَبُ

---

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٩٤).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٧).

مِنْهُ الحَاجَاتُ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ .

القِسْمُ الثَّالِثُ - زِيَارَةٌ سُنِّيَّةٌ ، وَهِيَ المَقْصُودُ لِلدُّعَاءِ لِلمَيِّتِ فَهَذَا الظَّاهِرُ جَوَازُهَا لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عُمُومًا وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **قُولِي : السَّلَامُ عَلَىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ والمُسْلِمِيْنَ ، وَيَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِيْنَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِيْنَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ** » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ [١] .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ القَوْلُ الصَّحِيْحِ فِي المَسْأَلَةِ - إِنْ شَاءَ اللهُ - [٢].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ ، وَزِدْنَا عِلْمًا وَهُدَىً وَصَلَاحًا وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٤) .
(٢) «الشَّـرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٩٥) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ
مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ -صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التَّوْبَةُ : ١٢٨-١٢٩].

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « تَحْذِيرِ السَّاجِدِ»[1] ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** » .

فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَيْ : صَعْبٌ عَلَيْهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ

---

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٨٠٤) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٠٤٢) ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ «تَحْذِيرُ السَّاجِدِ» (ص ١٢٩) .

بِحَيْثُ إِنَّهُ لاَ يَرْضَاهُ أَبَدًا .

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أَيْ : حَرِيْصٌ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكُمْ .

وَمِنْ حِرْصِهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَىٰ أُمَّتِهِ –أَيُّهَا النَّاسُ– أَنَّهُ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَمَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ الَّذِي هُوَ إِفْرَادُ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَمَعَ هَذِهِ الحِمَايَةِ لَمْ يَدَعْ الأَبْوَابَ مَفْتُوحَةً لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا مَنْ شَاءَ وَلَكِنَّهُ سَدَّ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوْصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النِّسَاء:٤٨] .

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَةَ –رَحِمَهُ اللهُ– : « الشِّرْكُ الأَصْغَرُ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ ؛ لِعُمُومِ قَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ وَعَلَىٰ هَذَا فَجَمِيْعُ الذُّنُوبِ دُوْنَهُ لِقَوْلِهِ–تَعَالَىٰ–: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ فَيَشْمَلُ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرَهَا ، فَالشِّرْكُ –أَيُّهَا النَّاسُ– لَيْسَ بِالشَّيْءِ الهَيِّنِ الَّذِي يُتَهَاوَنُ بِهِ ؛ فَالشِّرْكُ يُفْسِدُ القَلْبَ وَالقَصْدَ ، وَإِذَا فَسَدَ القَصْدُ فَسَدَ العَمَلُ ؛ إِذِ العَمَلُ مَبْنَاهُ عَلَىٰ القَصْدِ ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هُودُ : ١٥-١٦].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** » .

إِذَنْ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَالرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَمَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ حِمَايَةً مُحْكَمَةً ، وَسَدَّ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ وَلَوْ مِنْ بَعِيْدٍ؛ لِأَنَّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ الدَّرْبِ وَصَلَ ، وَالشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لِلإِنْسَانِ أَعْمَالَ السُّوْءِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ الغَايَةِ ، فَمِنْ تَمَامِ حِرْصِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ سَدَّ أَبْوَابَ الشِّرْكِ .

وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ حَدِيْثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [(٢)] ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا - يَعْنِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ - فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيْهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تُفْلِتُونَ مَنْ يَدِيَّ** » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٣)]، مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ،**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٨) ، ومُسْلِمٌ (١٥١٥) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٨٥) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٤٦٠) ، ومُسْلِمٌ (١٧٩٣) .

مَنْ وَرَدَ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » .

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ فَالرَّأْفَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ وَأَرَقُّهَا ، وَالرَّحْمَةِ هِيَ رِقَّةُ القَلْبِ، وَتَتَضَمَّنُ الحُنُوَّ عَلَىٰ المَرْحُومِ وَالعَطْفَ عَلَيْهِ بِجَلْبِ الخَيْرِ لَهُ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ ، فَهَلْ يَلِيْقُ بِمَنْ هَذِهِ صِفَاتِهِ أَنْ يَتْرُكَ الأُمَّةَ تَقَعُ فِي الشِّرْكِ الَّذِي يُبْعِدُهَا عَنِ اللهِ، وَيُسَبِّبُ لَهَا دُخُولَ النَّارِ ؟، وَهَلْ يَلِيْقُ بِمَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ أَنْ يَتَسَاهَلَ بِأَمْرِ الشِّرْكِ؟، أَوْ أَنْ يَتْرُكَهُ وَلاَ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ التَّحْذِيْرِ مِنْهُ .

لِأَنَّ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ أَعْظَمُ الخَطَرِ عَلَىٰ الأُمَّةِ ، وَهَذَا هَوَ الَّذِي يَشُقُّ عَلَىٰ الأُمَّةِ ؛ لِأَنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْهَا حَيَاتَهَا ، وَلاَ يَجْعَلُ لَهَا مُسْتَقْبَلاً عِنْدَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لأَنَّ المُشْرِكَ مُسْتَقْبَلُهُ النَّارُ فَهَلْ يَلِيْقُ بِهَذَا الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي هَذِهِ صِفَاتُهُ أَنْ يَتَسَاهَلَ فِي أَمْرِ الشِّرْكِ ؟، لاَ، بَلِ اللاَّئِقُ بِهِ أَنْ يُبَالِغَ أَشَدَّ المُبَالَغَةِ فِي حِمَايَةِ الأُمَّةِ مِنَ الشِّرْكِ ، وَقَدْ فَعَلَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَدَّ كُلَّ الطُّرُقِ المُوصِلَةَ إِلَىٰ الشِّرْكِ .

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ - أَيُّهَا النَّاسُ- تَقُولُ : لاَ تَذْكُرُوا الشِّرْكَ ، وَلاَ تَذْكُرُوا العَقَائِدَ ، يَكْفِي التَّسَمِّي بِالإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّ هَذَا يُنَفِّرُ النَّاسَ ، وَيُفَرِّقُ النَّاسَ .

يَا سُبْحَانَ اللهِ أَلَيْسَ الشِّرْكِ هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ النَّاسَ، أَلَيْسَ المَعَاصِي وَالذُّنُوبُ ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الشِّرْكُ بِاللهِ ، كُلِّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الفُرْقَةِ وَحُلُولِ عَذَابِ اللهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ .

فَلَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَّا عَلَىٰ التَّوْحِيْدِ وَلاَ يُوَحِّدُ النَّاسَ إِلَّا كَلِمَةُ التَّوْحِيْدِ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَادًا ؟!! .

هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ النَّاسَ وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ النَّاسَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَهُوَ الَّذِي يَجْمَعُهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ .

فَالتَّوْحِيْدِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ النَّاسَ ، إِنَّمَا الَّذِي يُفَرِّقُ النَّاسَ هُوَالشِّرْكُ وَالعَقَائِدُ الفَاسِدَةُ ، وَالبِدَعُ وَالمَعَاصِي ، وَلاَ يَصْلُحُ آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا .

وَيُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** » .

هُوَ سَدُّ الأَبْوَابِ وَالذَّرَائِع المُوْصِلَةِ إِلَىٰ الشِّرْكِ فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ أَلَّا يَجْعَلُوا بُيُوتَهُمْ قُبُورًا .

لِأَنَّ القُبُورَ - أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يُصَلَّىٰ فِيْهَا ، وَلاَ يُقْرَأُ القُرْآنُ فِيْهَا ، فَيَنْبَغِي

لَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ وَيَقْرَأُوا فِيهَا القُرْآنَ ، ثُمَّ قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا** » وَنَهَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُجْعَلَ قَبْرُهُ عِيْدًا ، فَيَذْهَبُوا إِلَيْهِ كُلَّمَا ذَهَبُوا وَجَاءُوا ، فَهُوَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَلَّا يَجْعَلُوا قَبْرَهُ عِيْدًا .

وَالعِيْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ- مَا اعْتَادَ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مِنَ الأَعْيَادِ الزَّمَانِيَّةِ كَعِيْدِ الأَضْحَىٰ، وَعِيْدِ الفِطْرِ ، وَمَا اعْتَادَ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ كَالأَعْيَادِ المَكَانِيَّةِ، فَنَهَىٰ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ المَجِيْءِ إِلَىٰ قَبْرِهِ مُتَّخِذِيْنَهُ عِيْدًا، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ : « **وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ** »[١] .

وَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ حِمَايَتِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِجَنَابِ التَّوْحِيْدِ فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَىٰ عَنْ اتِّخَاذِ قَبْرِهِ عِيْدًا ، أَيْ : مَكَانًا يُجْتَمَعُ عِنْدَهُ لِلعِبَادَةِ ؛ فَالعِبَادَةُ لاَ تُشْرَعُ عِنْدَ القُبُورِ، لاَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ، وَلاَ قُبُورِ غَيْرِهُمْ مِنَ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ أَبَدًا ، فَالمَقَابِرُ - أَيُّهَا النَّاسُ- لَيْسَتْ مَحَلًّا لِلعِبَادَةِ ، فَمَنْ تَرَدَّدَ عَلَيْهَا ،وَجَلَسَ عِنْدَهَا ، أَوْ وَقَفَ عِنْدَهَا لِلتَبَرُّكِ بِهَا، أَوْ الدُّعَاءِ عِنْدَهَا، أَوْ لِلصَّلَاةِ عِنْدَهَا ، أَوْ سَافَرَ إِلَيْهَا فَقَد اتَّخَذَهَا عِيْدًا جَاهِلِيًّا وَعِيْدًا مُحَرَّمًا ، وَلِهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ- لَمَّا جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُهُ بِأَنَّهُ نَذَرَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ - اسْمُ مَكَانٍ - فَقَالَ

(١) انْظُرْ: « الشَّـرْحَ المُجزُ المُمَهَّدَ» (٩٧) .

النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : « **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» - يَعْنِي مَكَانًا لاجْتِمَاعِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ -، قَالُوا : لَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**». وَالحَدِيْثُ صَحِيْحٌ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» [١] ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

وَالشَّاهِدُ - أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ**» [٢].

وَذَلِكَ خَوفًا مِنْهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ كُلِّ مَا يَكُونُ سَبَبًا إِلَىٰ الشِّرْكِ وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ حِرْصِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَتَحْذِيْرِهَا مِنْ كُلِّ وَسَائِلِ الشِّرْكِ ، وَحِمَايَةً لِجَنَابِ التَّوْحِيْدِ .

جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٣١٣) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيْحِ الجَامعِ» (٢٥٥١) ، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) انْظُرْ: «إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ لِشَـرْحِ التَّوْحِيْدِ» (٢٩٩) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَنَابَ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ**» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : «**مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ**» .

وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ كَلِمَةِ «بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ » أَيْ : لاَ كُلَّهَا ؛ لِأَنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ طَائِفَةٌ لاَ تَزَالُ مَنْصُورَةً وَعَلَىٰ الحَقِّ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النِّسَاءُ:٥١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ

مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المَائِدَةُ:٦٠].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكَهْفُ: ٢١].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟، قَالَ : « **فَمَنْ ؟!** » .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »[2] ، مِنْ حَدِيْثِ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُم ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُم، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا** » .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٣١٩)، ومُسْلِمٌ (٢٠٥٤) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٨٩) .

وَفِي رِوَايَةٍ(١) : « **وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَةَ الْمُضَلِّيْنَ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ السَّيْفُ ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِيْنَ ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدُ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونَ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثَونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّنَ ، لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةً ، لاَ يَضُرُّهَمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ –** » .

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ تِلْكَ الأَدِلَّةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ وُجُودُ الشِّرْكِ فِي أَهْلِ الكِتَابِ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَعْمَلُ مَا عَمَلَهُ أَهْلُ الكِتَابِ ،وَمِنْ ذَلِكَ الشِّرْكُ . وَدَلَّتْ الأَدِلَّةُ -أَيْضًا- عَلَىٰ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ بَنَوا المَسَاجِدَ عَلَىٰ القُبُورِ، كَمَا فِي سُورَةِ الكَهْفِ ، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكَهْفِ:٢١] .

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَعْمَلُ مَا عَمِلَهُ أَهْلُ الكِتَابِ ، فَسَتَبْنَىٰ المَسَاجِدَ عَلَىٰ القُبُورِ، وَسَتُعْبَدُ أَصْحَابَهَا فِي النِّهَايَةِ كَمَا دَلَّتْ الأَدِلَّةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتُحَاوِلُ مُشَابَهَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ فِي عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحِقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِيْنَ ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ** » .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيِّ (٢٢٠٢) .

وَالفِئَامُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ الجَمَاعَاتُ الكَبِيْرَةُ، وَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ الشِّرْكَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ، لَكِنْ لا تَزَالُ هُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِيْنَ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -** ».

وَهَذِهِ الطَائِفَةُ المَنْصُورَةُ هِيَ الَّتِي قَالَ فِيْهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِيْنَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الجَمَاعَةُ** »[1]. أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الجَامِعِ الصَّغِيْرِ»، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «ظِلَالِ الجَنَّةِ»، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فَالطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ هِيَ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ لَفْظَانِ فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ وَطَائِفَةٌ مَنْصُورَةٌ اسْمَانِ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ تَنَوُّعِ الصِّفَاتِ، فَقَالَ عَنْهَا طَائِفَةٌ مَنْصُورَةٌ لِأَنَّهَا مَوْعُودَةٌ بِالنَّصْرِ.

وَقَالَ عَنْهَا: الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ؛ لِأَنَّهَا مَوْعُودَةٌ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الجَامعِ الصَّغِيْرِ» (٧٢٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامعِ» (٢٠٤٢)، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**» .

وَالسِّحْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ المَقْدَسِيُّ : السِّحْرُ عَزَائِمُ وَرُقَىٰ، وَعُقَدُ يُؤَثِّرُ فِي القُلُوبِ وَالأَبْدَانِ فَيُمْرِضُ ، وَيَقْتُلُ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ**﴾[البَقَرَةُ : ١٠٢].

وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿**وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ**﴾[الفَلَقُ : ٤].

يَعْنِي السَّوَاحِرَ اللَّاتِي يَعْقِدْنَ فِي سِحْرِهِنَّ وَيَنْفُثْنَ فِي عُقَدِهِنَّ ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلسِّحْرِ حَقِيْقَةً لَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ »[١] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ**﴾[البَقَرَةُ : ١٠٢].

وَمَعْنَىٰ ﴿**ٱشْتَرَىٰهُ**﴾ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَيْ فَعَلَهُ وَمَارَسَهُ وَتَعَلَّمَهُ .

وَمَعْنَىٰ قَوْلُهُ : ﴿**مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ**﴾ أَيْ نَصِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ .

قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَقَدْ عَلِمَ أَهْلُ الكِتَابِ فِيْمَا عَهِدَ إِلَيْهِمْ أَنَّ السَّاحِرَ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ » .

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٣٢) .

أَيْ أَنَّهُ كَافِرٌ حَلاَلُ الدَّمِ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ العُلَمَاءِ وَهُوَ أَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ السِّحْرَ ، أَوْ سَحَرَ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ وَهُوَ تَرْجِيْحُ ابْنِ بَازٍ ، وَابْنِ عُثَيْمِيْنَ، وَالوَادِعِيِّ وَالفَوْزَانِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- .

وَذَلِكَ أَنَّ السِّحْرَ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِعِبَادَةِ الجِنِّ وَالشَّيَاطِيْنِ .

وَقِيْلَ يُسْتَفْصَلُ فَمَنْ اسْتَخْدَمَ عَزَائِمَهِ وَرُقَىٰ وَعُقَدَ يُؤَثِّرُ فِي القُلُوبِ وَالأَبْدَانِ، فَهَذَا النَّوْعُ لاَ يَتَعَلَّمُهُ صَاحِبُهُ إِلَّا بَعْدَ الكُفْرِ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البَقَرَةُ : ١٠٢].

فَيَصْرِفُونَ العِبَادَةَ لِلشَّيَاطِيْنَ ، وَيَسْتَمْتِعُ كُلُّ وَاحِدٍ بَالآخَرِ ، فَالإِنْسِي يَسْتَمْتِعُ بِالجِنِّ بِأَنْ يَخْدِمُوهُ وَيُعِيْنُوهُ ، وَالجِنُّ يَسْتَمْتِعُونَ بَالإِنْسِ بِتَعْظِيْمِهِمْ، وَصَرْفِ عِبَادَاتٍ لَهُمْ .

وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ السِّحْرِ ، وَهُوَ أَنْ يَسْحَرَهُ بِخِفَّةِ الحَرَكَةِ أَوْ بَاسْتِخْدَامِ الأَعْشَابِ أَوْ بَعْضِ العَقَاقِيْرِ، فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَخْتَلِفُ حُكْمُهُ ، فَقَدْ يَكُونُ كُفْرًا، وَذَلِكَ إِذَا اعْتَقَدَ إِبَاحَةَ ذَلِكَ ،وَقَدْ يَكُونُ فُسُوقًا وَظُلْمًا ، وَذَلِكَ إِذَا اعْتَقَدَ تَحْرِيْمَهُ ، وَآذَىٰ النَّاسَ بِهِ ، أَوْ أَكَلَ أَمْوَالَهُمْ بِالبَاطِلِ [١] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النِّسَاءُ:٥١].

---

(١) انْظُرْ: «حَاشِيَةَ فَتْحِ المَجِيْدِ» (٤٣٢) لأَخِيْنَا الشَّيْخِ/ مُحَمَّدٍ بْنِ حِزَامٍ.

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» مُعَلَّقًا وَوَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَعْلِيقِ التَّعْلِيْقِ» (١): «الطَّوَاغِيْتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ».

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «... السَّحَرَةُ وَالكُهَّانُ طَوَاغِيْتُ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ الطَّرِيْقِ وَآذَوا النَّاسَ بِمَا يَتَعَاطَوْنَهُ».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوْبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ ؟، قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالَ اليَتِيْمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**».

قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: -أَيُّهَا النَّاسُ- «**اجْتَنِبُوا**»، أَيْ ابْتَعِدُوا وَهُوَ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ: دَعُوا أَوْ اتْرُكُوا، لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ القُرْبَانِ أَبْلَغُ كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٥١].

وَقَوْلُهُ: «**المُوْبِقَاتِ**» أَيْ المُهْلِكَاتُ، وَسُمِّيَتْ مُهْلِكَاتٍ؛ لِأَنَّهَا تُهْلِكُ فَاعِلَهَا فِي الدُّنْيَا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ العُقُوبَاتِ، وَفِي الآخِرَةِ مِنَ العَذَابِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا (٨/ ٢٥١)، وَوَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيْرِهِ» (٣/ ٩٧٤).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٦٧)، وَمُسْلِمٌ (٧٩).

وَقَوْلُهُ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ**» وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ للهِ نِدًّا يَدْعُوهُ كَمَا يَدْعُو اللهَ، وَيَرْجُوهُ كَمَا يَرْجُو اللهَ، وَيَخَافُهُ كَمَا يَخَافُ اللهَ، وَبَدَأَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**».

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَالسِّحْرُ**» أَيْ مِنَ الْمُوبِقَاتِ، «وَظَاهِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بِوَاسِطَةِ الشَّيَاطِيْنِ، أَوْ بِوَاسِطَةِ الأَدْوِيَةِ وَالعَقَاقِيْرِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِوَاسِطَةِ الشَّيَاطِيْنِ، فَالَّذِي لَا يَأْتِي إِلَّا بِالإِشْرَاكِ بِهِمْ، فَهُوَ دَاخِلاً فِي الشِّرْكِ بِاللهِ.

وَإِنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ بِالأَدْوِيَةِ وَالعَقَاقِيْرِ فَهُوَ جُرْمٌ عَظِيْمٌ، لِأَنَّ السِّحْرَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ فِي الجِنَايَةِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ، فَهُوَ يُفْسِدُ عَلَىٰ الْمَسْحُورِ أَمْرَ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ» [٢].

وَقَوْلُهُ: «**وَقَتْلُ النَّفْسِ**» أَيْ حَرَّمَ قَتْلَهَا.

وَقَوْلُهُ: «**إِلَّا بِالحَقِّ**» أَيْ بِأَنْ تَفْعَلَ مَا يُوجِبُ قَتْلَهَا، كَالشِّرْكِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالزِّنَىٰ بَعْدَ الإِحْصَانِ.

وَقَوْلُهُ: «**وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ**» أَيْ نَفْسَ الْمُسْلِمِ الْمَعْصُومِ، وَقَتْلَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٤٧٧)، ومُسْلِمٌ (٨٦).
(٢) «القَوْلُ الْمُفِيْدُ» (١/ ٥٢٢).

المُعَاهِدِ ، كَمَا فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [(١)] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ** » .

وَقَوْلُهُ: «**وَأَكْلُ الرِّبَا** » أَيْ تَنَاوُلُهُ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ ، كَمَا قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ** ﴾ [البَقَرَةُ : ٢٧٥] .

قَالَ ابْنُ دَقِيْقِ العِيْدِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « هُوَ مُجَرَّبٌ لِسُوءِ الخَاتِمَةِ ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ ».

وَقَوْلُهُ:«**وَأَكْلُ مَالَ اليَتِيْمِ** » يَعْنِي التَّغَذِّي فِيْهِ وَعَبَّرَ بِالأَكْلِ ؛لِأَنَّهُ أَعَمُّ وُجُوهِ الانْتِفَاعِ،كَمَا قَالَ اللهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)** ﴾ [النِّسَاءِ:١٠] .

وَقَوْلُهُ:«**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ** » أَيْ :الإِدْبَارُ عَنْ الكُفَّارِ وَقْتَ الْتِحَامِ القِتَالِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَبِيْرَةً إِذَا فَرَّ إِلَىٰ غَيْرِ فِئَةٍ ، أَوْ غَيْرِ مُتَحَرِّفٍ لِقِتَالٍ .

وَقَوْلُهُ:«**وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ** » فَالمُحْصَنَاتُ أَيْ : العَفِيْفَاتُ ، وَ الغَافِلَاتُ أَيْ : البَرِيْئَاتُ ، وَالقَذْفُ المُرَادُ رَمْيُهُنَّ بِزِنًا ؛لِأَنَّهُ

---

(١)رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٦٦) .

مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَحِقُّ القَاذِفُ إِقَامَةَ حَدِّ القَذْفِ فَمَنْ قَذَفَهُنَّ حُدَّ[١] .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ «واللَّفْظُ لَهُ » [٢] ، عَنْ بَجَالَةَ بْن عَبْدَةَ قَالَ : كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « **أَنْ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ ، قَالَ : فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ** » .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدَ فِي مَسَائِلِ عَبْدِ اللهِ [٣] ، عَنْ حَفْصَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ ، وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ أَحْمَدُ عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ عَزْمِ عُمَرَ بْنُ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَعَزْمِهِ إِذْ أَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ ، لَمَّا سَبَقَ مِنْ ضَرَارِهِمْ الَّذِي لاَ يُزَالُ إِلَّا بِقَتْلِهِمْ ، وَلَرُبَّمَا يُظْهِرُونَ التَّوْبَةَ ، كَذِبًا كَالمُنَافِقِيْنَ ، وَالسَّاحِرُ يُقْتَلُ كُفْرًا لاَ يُسْتَتَابُ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ - [٤].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ ؛ لِأَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّهَا تَتَعَاطَىٰ السِّحْرَ ، فَقَتَلَتْهَا .

قَالَ أَحْمَدُ : صَحَّ عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(١) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٤٣٦) بِتَصَرفٍ.
(٢)أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣١٥٦)وَأَخْرَجَهُ بِاللَّفْظِ المَذْكُورِ أَحْمَدُ (١/ ١٩)،وَأَبُو دَاوُدَ (٣٠٤٣).
(٣)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسَائِلِ وَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ (١٥٤٣) .
(٤) « شَـرْحُ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ - (١٨٩) .

أَيْ : صَحَّ قَتْلُ السَّاحِرِ وَالثَّلَاثَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ-هُمْ :عُمَرُ ، وَحَفْصَةَ ، وَجُنْدُبُ الخَيْرِ .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ - : « وَالقَوْلُ بِقَتْلِهِمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُوَافِقٌ لِلقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ ، لِأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ، وَفَسَادُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ المَفَاسِدِ ، فَقَتْلُهُمْ وَاجِبٌ عَلَىٰ الإِمَامِ، وَلاَ يَجُوزُ لِلإِمَامِ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ قَتْلِهِمْ، لِأَنَّ مِثلَ هَؤُلاَءِ إِذَا تُرِكُوا وَشَأْنَهُمْ انْتَشَرَ فَسَادُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَفِي أَرْضِ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا قُتِلُوا سَلِمَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَارْتَدَعَ النَّاسُ عَنْ تَعَاطِي السِّحْرِ »[١].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٥١٠) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
بَيَانُ شَيْءٍ مِنَ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**بَيَانُ شَيْءٍ مِنَ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**».

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ**».

قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ**» أَيْ تَعَلَّمَ وَهُوَ أَخْذُ الطَّالِبِ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَقْتَبِسُ مِنْ صَاحِبِ النَّارِ شُعْلَةً.

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٠٥)، وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ المُسْنَدِ» (١/ ٤٦٦).

قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مِنَ النُّجُوم** » المُرَادُ هُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- عِلْمُ النُّجُوم ، وَلَيْسَ المُرَادُ النُّجُومَ أَنْفُسَهَا ؛ لِأَنَّ النُّجُومَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُقْتَبَسَ وَتُتَعَلَّمَ ، وَالمُرَادُ بِهِ هُنَا عِلْمُ النُّجُوم الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَىٰ الحَوَادِث الأَرْضِيَّةِ، فَيُسْتَدَلُّ مَثَلاً بِاقْتِرَانِ النَّجْمِ الفُلَانِيِّ بِالنَّجْمِ الفُلَانِيِّ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَحْدُثُ كَذَا وَكَذَا .

وَيُسْتَدَلُّ بِوِلَادَة إِنْسَان فِي هَذَا النَّجْم عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكُونُ سَعِيْدًا، وَفِي النَّجْم الآخَرِ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَكُونُ شَقِيًّا ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِاخْتِلَاف أَحْوَالِ النُّجُومَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، قَدْ تَكُونُ أَسْبَابُهَا مَعْلُومَةً لَنَا ، وَقَدْ تَكُونُ مَجْهُولَةً ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِلنُّجُوم بِهَا عِلاَقَةٌ ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْن» [١]، مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِد الجُهَنِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي غَزْوَةالحُدَيْبِيَةِ قَالَ : صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : « **قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَمَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بَنَوْءِ كَذَا وَكَذَا** ،- وَبِنَوْءِ يَعْنِي بِنَجْم أَيْ هَذَا المَطَرُ مِنَ النَّجْمِ - **فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِبِ ، وَمَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوَاكِب** » .

وَقَوْلُهُ : « **زَادَ مَا زَادَ** » . أَيْ كُلَّمَا زَادَ شُعْبَةً مِنْ تَعَلُّمِ النُّجُوْمِ ازْدَادَ شُعْبَةً

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨١٠) ، ومُسْلِمٌ (٧١) .

مِنَ السِّحْرِ [١].

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضَّةُ ؟، هِيَ النَّمِيْمَةُ ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**».

فَقَوْلُهُ: «**أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ**» الاسْتِفْهَامُ هُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- لِلتَّشْوِيْقِ، فَهِيَ مِثْلُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصَّفُّ: ١٠].

فَقَوْلُهُ: «**العَضَّةُ**» هِيَ التَّفْرِيْقُ وَتَتَضَمَّنُ قَطْعًا وَتَفْرِيْقًا، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: هِيَ النَّمِيْمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسُ فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا القَضَّةُ لِأَنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنْ الكَذِبِ والبُهْتَانِ غَالِبًا كَمَا قَالَ ذَلِكَ القُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- [٣].

وَقَدْ عَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ النَّمِيْمَةَ نَوْعًا مِنَ السِّحْرِ.

قَالَ أَبُو الخَطَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «مِنَ السِّحْرِ السَّعْيُ بِالنَّمِيْمَةِ وَالإِفْسَادُ بَيْنَ النَّاسِ» [٤].

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ» [٥]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-

---

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (٥٢٠) بِتَصَرُّفٍ.
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٠٦).
(٣) «المُفْهِمُ» (٦/ ٥٩٠).
(٤) انْظُرْ: «الفُرُوعَ» (٦/ ١٧٩).
(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٤٦).

أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا** » .

وَالبَيَانُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ البَلَاغَةُ وَالفَصَاحَةُ .

قَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانُ : صَدَقَ نَبِيُّ اللهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ عَلَيْهِ الحَقُّ وَهُوَ أَلْحَنُ بِالحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الحَقِّ » .

قَوْلُهُ : « **إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا** » هَذَا مِنَ التَّشْبِيْهِ البَلِيْغِ ؛ لِكُونِ ذَلِكَ يَعْمَلُ عَمَلَ السِّحْرِ ، فَيَجْعَلُ الحَقَّ فِي قَالِبِ البَاطِلَ ، وَالبَاطِلَ فِي قَالِبِ الحَقِّ، فَيَسْتَمِيْلُ بِهِ قُلُوبَ الجُهَّالِ حَتَّىٰ يَقْبَلُوا البَاطِلَ وَيُنْكِرُوا الحَقَّ ، وَأَمَّا البَيَانُ الَّذِي يُوَضِّحُ الحَقَّ وَيُقَرِّرُهُ وَيُبْطِلُ البَاطِلَ وَيُبَيِّنُهُ، فَهَذَا هُوَ المَمْدُوحُ [٦]؛ لِأَنَّ اللهَ مَدَحَ البَيَانَ ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ لِرَجُلٍ سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَحْسَنَ المَسْأَلَةَ فَأَعْجَبَهُ قَوْلُهُ : قَالَ : هَذَا وَاللهِ السِّحْرُ الحَلَالُ [٧].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(٦) انْظُرْ : « فَتْحَ المَجِيْدِ » (٤٥٥-٤٥٦) .

(٧) انْظُرْ : « التَّمْهِيْدَ » (١٦/ ٣٤٠) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي الكُّهَانِ وَنَحْوِهِمْ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي الكُّهَّانِ وَنَحْوِهِمْ**» .

وَالكَاهِنُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ عَنْ مُسْرِقِ السَّمْعِ وَكَانُوا قَبْلَ المَبْعَثِ كَثِيْرًا ، وَأَمَّا بَعْدَ المَبْعَثِ فَإِنَّهُمْ قَلِيْلٌ ؛ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَرَسَ السَّمَاءَ بِالشُّهُبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَا يُخْبِرُ الجِنُّ مَوَالِيْهُمْ مِنَ الإِنْسِ عَنْ الأَشْيَاءِ الغَائِبَةِ مِمَّا يَقَعُ فِي الأَرْضِ مِنَ الأَخْبَارِ ، فَيَظُنُّهُ الجَاهِلُ كَشْفًا وكَرَامَةَ ، وَقَدْ اغْتَرَّ بِذَلِكَ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ ذَلِكَ المُخْبِرَ لَهُمْ عَنْ الجِنِّ وَلِيًّا للهِ، وَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ،كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأَنْعَامُ : ١٢٨] (١).

وَنَحْوَهُمْ مِنَ العَرَّافِيْنَ وَالرَّمَّالِيْنَ وَالسَّحَرَةِ وَمَنْ يَدَّعِي عِلْمَ الغَيْبِ ، وَحُكْمُهُمْ أَنَّهُ يَجِبُ القَضَاءُ عَلَيْهِمْ وَتَعْزِيْرُهُمْ وَتَكْذِيْبُهُمْ وَعَدَمُ سُؤَالِهِمْ (٢).

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٥٧) .

(٢) « شَرْحُ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٢٠١) .

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم»[١]،عَنْ بَعْض أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « **مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا** ».

فَقَوْلُهُ: « عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » هِيَ حَفْصَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- كَمَا قَالَ المُخْرِّجُونَ، وَزِيَادَةُ: « **فَصَدَّقَهُ** » لَيْسَتْ عِنْدَ مُسْلِم، بَلْ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالَّذِي عِنْدَ مُسْلِم فَسَأَلَهُ؛ فَرِوَايَةُ مُسْلِم تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ السُّؤَالَ المُجَرَّدَ لاَ يَجُوزُ؛ لأَنَّ فِيهِ رِفْعًا مِنْ شَأْنِهِمْ وَسُؤَالُهُمْ وَسِيْلَةٌ إِلَىٰ تَصْدِيْقِهِمْ وَتَعْظِيْمٌ لِقَدْرِهِمْ لِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الشَّعْوَذَةِ[٢].

قَوْلُهُ: «**فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ،لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا**».

قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ -رَحِمَهُمَ اللهُ-:

«مَعْنَاهُ أَنَّهُ لاَ ثَوَابَ لَهُ فِيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً بِسُقُوطِ الفَرْضِ عَنْهُ، وَلاَبُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ فِي الحَدِيْثِ، فَإِنَّ العُلَمَاءَ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ لاَ يَلْزَمُ مِنْ أَتَىٰ العَرَّافَ إِعَادَةُ صَلاَةِ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً »[٣].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٣٠) بِدُونِ قَوْلِهِ: «**فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ**» وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ أَحْمَدَ (٤/ ٦٨)، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

(٢) « شَرْحُ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٢٠١).

(٣) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ » (١٤/ ٢٢٧).

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ -رَحِمَهُ اللهُ- :

« وَظَاهِرُ الحَدِيْثِ أَنَّ مُجَرَّدَ سُؤَالِهِ يُوجِبُ عَدَمُ قُبُولِ صَلاتِهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ إِطْلَاقِهِ ، فَسُؤَالُ العَرَّافِ وَنَحْوِهِ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ :

القِسْمُ الأَوَّلُ- أَنْ يَسْأَلَهُ سُؤَالاً مُجَرَّدًا ، فَهَذَا حَرَامٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ......** » فَإِثْبَاتُ العُقُوبَةِ عَلَىٰ سُؤَالِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ تَحْرِيْمِهِ ، إِذْ لاَ عُقُوبَةَ إِلَّا عَلَىٰ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ .

القِسْمُ الثَّانِي- أَنْ يَسْأَلَهُ فَيُصَدِّقَهُ ، وَيُعْتَبَرُ قَوْلَهُ : فَهَذَا كُفْرٌ ؛ لِأَنَّ تَصْدِيْقَهُ فِي عِلْمِ الغَيْبِ تَكْذِيْبٌ لِلقُرْآنِ ، حَيْثُ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾** ﴾ [النَّمْلُ: ٦٥].

القِسْمُ الثَّالِثُ- أَنْ يَسْأَلَهُ لِيَخْتَبِرَهُ : هَلْ هُوَ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ ، لَا لِأَجْلِ أَنْ يَأْخُذَ بِقَوْلِهِ فَهَذَا لاَ بَأْسَ بِهِ ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الحَدِيْثِ ، وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابْنَ صَيَّادٍ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، قَالَ : « **مَاذَا خَبَّأْتُ لَكَ؟** » ، قَالَ : الدُّخَّ ، فَقَالَ : « **اخْسَأْ ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ** » .

فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَضْمَرَهُ ، لِأَجْلِ أَنْ يَخْتَبِرَهُ فَأَخْبَرَهُ بِهِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٠٥٥) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٤) .

القِسْمُ الرَّابِعُ -أَنْ يَسْأَلَهُ لِيُظْهِرَ عَجْزَهُ وَكَذِبَهُ ، فَيَمْتَحِنَهُ فِي أُمُورٍ يَتَبَيَّنَ بِهَا كَذِبُهُ وَعَجْزُهُ ، وَهَذَا مَطْلُوبٌ وَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا [١] .

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «تَحْقِيْقِ الطَّحَاوِيَّةِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** » .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** » .

قَالَ الفَوْزَانُ -حَفِظَهُ اللهُ- :

قَوْلُهُ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا**» هَذَا الحَدِيْثُ فِيْهِ شَيْئَانِ :

الشَّيْءُ الأَوَّلُ : المَجِيءُ إِلَىٰ الكَاهِنِ .

الشَّيْءُ الثَّانِي : تَصْدِيْقُهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الكِهَانَةِ .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٥٣٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (١٠٠٠٥) ،صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «تَحْقِيْقِ الطَّحَاوِيَّةِ» (١/ ٣٦٠) .

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٣٥) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٩٣٩) .

وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونُ كَافِرًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَنَّهُ لاَ يَجْتَمِعُ التَّصْدِيْقُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالتَّصْدِيْقُ بِمَا عِنْد الكُهَّانِ - ضِدَّان لاَ يَجْتَمِعَانِ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ بِالقُرْآنِ وَيُصَدِّقَ بِالكِهَانَةِ، وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ [١].

وَأَخْرَجَ البَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ [٢] بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ: فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ».

قَالَ العَلاَّمَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: «وَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَىٰ كُفْرِ الكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ، لأَنَّهُمَا يَدَّعِيَانِ عِلْمَ الغَيْبِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ أَيْضًا » [٣].

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » [٤]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** ».

---

(١) « إِعَانَةُ المُسْتَفِيْدِ» (١/ ٣٩٨).
(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ البَزَّارُ فِي «كَشْفِ الأَسْتَارِ» (٢/ ٤٤٣).
(٣) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٦٢).
(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٤١٨٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٥٤٣٥).

قَوْلُهُ : « **لَيْسَ مِنَّا** » فِيْهِ وَعِيْدٌ شَدِيْدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ مِنَ الكَبَائِرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الكِهَانَةَ وَالسِّحْرَ كُفْرٌ فَلاَ نُعِيْدُ .

قَوْلُهُ : « **مَنْ تَطَيَّرَ** » أَيْ فَعَلَ الطِّيَرَةَ ،« **أَوْ تُطَيِّرَ لَهُ** » ، أَيْ قَبِلَ قَوْلَ المُتَطَيِّرِ لَهُ، وَتَابَعَهُ ، وَالتَّطَيُّرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ التَّشَاؤُمُ بِالمَرْئِيِّ أَوْ المَسْمُوعِ أَوْ المَعْلُوم أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَصْلَهُ مِنَ الطَّيْرِ ، لِأَنَّ العَرَبَ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ أَوْ يَتَفَاءَلُونَ بِهَا ، وَمِنْهُ مَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ إِذَا شَرَعَ فِي عَمَلٍ ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ تَعَثُّرٌ تَرَكَهُ وَتَشَاءَمَ ، فَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ بَلْ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ اللهِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ .

وَمَعْنَىٰ « **تُطُيِّرَ لَهُ** » أَيْ أَمَرَ مَنْ يَتَطَيَّرَ لَهُ مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ شَخْصًا وَيَقُولَ لَهُ: سَأُسَافِرُ إِلَىٰ المَكَانِ الفُلَانِيِّ ، وَأَنْتَ صَاحِبُ طَيْرٍ ، وَأُرِيْدُ أَنْ تَزْجُرَ طَيْرَكَ لِأَنْظُرَ هَلْ هَذِهِ الوَجْهَةُ مُبَارَكَةٌ أَمْ لاَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُ الرَّسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَمَعْنَىٰ « **تَكَهَّنَ** » أَيْ فَعَلَ الكِهَانَةَ وَمَعْنَىٰ «**تُكُهِّنَ لَهُ**» فُعِلَتْ الكِهَانَةُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَهُنَا فَائِدَةٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- .

قَالَ البَغَوِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « العَرَّافُ :الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَىٰ المَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَقِيْلَ هُوَ الكَاهِنُ وَالكَاهِنُ هُو الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقْبَلِ ، وَقِيْلَ : الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا

فِي الضَّمِيْرِ» [١] .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رحمه الله- : «العَرَّافُ : اسْمٌ لِلكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ» [٢] .

قَوْلُهُ : «العَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُورِ» .

ظَاهِرُهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ العَرَّافَ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْ الوَاقِعِ كَالسَّرِقَةِ، وَسَارِقِهَا، وَالضَّالَّةِ وَمَكَانِهَا .

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ العَرَّافُ طَرَفٌ مِنَ السِّحْرِ وَالسَّاحِرُ أَخْبَثُ [٣]، وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ [٤] ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ عَنْ قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَاجَادٍ وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ «مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلاقٍ» .

وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -أَيُّهَا النَّاسُ- جَاءَ عَلَىٰ مَا وَرَدَ فِي الآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِيْهَا عَنْ السِّحْرِ، وَالسَّحَرَةِ وَقَالَ فِي خَاتِمَتِهَا: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البَقَرَة:١٠٢] .

---

(١) انْظُرْ : «شَرحَ السُّنَّةِ» (١٢/ ١٨٢) .

(٢) انْظُرْ : «مَجْمُوعَ الفَتَاوَىٰ» (٣٥/ ١٧٣) .

(٣) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٦٤) .

(٤) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١١/ ٢٦) ، مِنْ طَرِيْقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- .

أَيْ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ وَلاَ نَصِيبٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَجِّمِينَ يَقُولُونَ إِذَا اقْتَرَنَ النَّجْمُ الْفُلَانِيُّ بِالقَمَرِ حَصَلَ كَذَا ، وَهَذَا ادِّعَاءٌ لِعِلْمِ الغَيْبِ ، وَإِضْلَالٌ لِخَلْقِ اللهِ، وَإِيْهَامٌ لَهُمْ بِصِحَّةِ مَا ادَّعَوْهُ . وَكِتَابَةُ أَبِي جَادٍ وَتَعَلُّمُهَا لِمَنْ يَدَّعِي بِهَا عِلْمَ الغَيْبِ هُوَ الَّذِي يُسَمَّىٰ عِلْمَ الحُرُوفِ ، وَهُوَ الَّذِي فِيْهِ الوَعِيْدُ ، فَأَمَّا تَعَلُّمُهَا لِلتَّهَجِّي وَحِسَابِ الجُمَلِ؛ فَلاَ بَأْسَ .

وَأَبَا جَادٍ كَلِمَاتٌ حَوَتْ حُرُوفًا، وَهِيَ الحُرُوفُ الثَّمَانِيَةُ والعِشْرُونَ، فَجَعَلُوا لِكُلِّ حَرْفٍ رَقَمًا ، فَالأَلِفُ مَثَلاً وَاحِدٌ ، وَالبَاءُ اثْنَانِ والجِيْمُ ثَلَاثَةٌ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ عَشَرَةٍ عَدُّوا بِالعَشَرَاتِ ، فَجَعَلُوا بَعْدَ العَشَرَةِ عِشْرِيْنَ إِلَىٰ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ مَائَةٍ فَإِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ مَائَةٍ عَدُّوا بِالمَائَةِ إِلَىٰ الأَلْفِ هَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «يَكْتُبُونَ أَبَاجَادٍ» .

فَاسْتِعْمَالُ هَذِهِ الحُرُوفِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ اسْتِعْمَالُ الْمُنَجِّمِيْنَ[1] .

وَهُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- ، قَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « لاَ يَجُوزُ تَعَلُّمُ السِّحْرِ أَبَدًا حَتَّىٰ إِذَا قَصَدَ بِهِ فَكَّ السِّحْرِ ؛ لِأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ لِغَيْرِ اللهِ ، أَوْ فِعْلُ مُحَرَّمٍ أَوْ تَرْكُ وَاجِبٍ »[2] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «الشَّرْحُ الْمُوجَزُ الْمُمَهَّدُ لِتَوْحِيدِ الخَالِقِ الْمُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (١١٩) .
(٢) « شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » (٢٠٧) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةُ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ**» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ مَا جَاءَ فِي : « **النُّشْرَةُ** » .

وَالنُّشْرَةُ نَوْعٌ مِنْ العِلَاجِ يُعَالَجُ بِهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الجِنِّ .

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « وَالنُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ ، وَلَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ السِّحْرَ » [(١)].

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ [(٢)] عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ؟، فَقَالَ : « **هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** » .

---

(١) « غَرِيْبُ الحَدِيْثِ» (٢/ ٤٠٨) .
(٢) (حَسَنٌ لِغَيْرِهِ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٢٩٤) ، وَأَبُو دَاوُدُ (٣٨٦٨) .

وَسُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا ؟ ، فَقَالَ : ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنْ النُّشْرَةِ المَعْرُوفَةِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَهِيَ حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، لأَنَّ السَّاحِرَ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ الشَّيَاطِيْنِ بِمَا يُحِبُّوْنَهُ مِنْ عِبَادَتِهِمْ ، وَالنَّذْرُ لَهُمْ فَيُسْعِفُهُمْ بِإِعْطَائِهِمْ الإِجَابَاتِ عَمَّا يَسْأَلُونَهُ مِمَّا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ مِنْ عَمَلِ السَّاحِرَ ، وَمَا يَفْعَلَهُ فِي المَسْحُورِ فَهَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

وَسُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا ؟ ، فَقَالَ : ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ . أَيْ : النُّشْرَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَالَّتِي يُتَقَرَّبُ فِيْهَا إِلَىٰ الشَّيَاطِيْنِ [١] .

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الإِمَامَ -رَحِمَهُ اللهُ- أَخَذَ هَذَا الأَثَرَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ «**الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمُ وَالتِّوْلَةُ شِرْكٌ** » .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» مُعَلَّقًا وَوَصَلَهُ الطَّبَرِيُّ فِي « تَهْذِيْبِ الآثَارِ» [٢] ، عَنْ قَتَادَةَ : قُلْتُ لابْنِ المُسَيَّبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَيُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ . قَالَ : لاَ بَأْسَ بِهِ ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلاَحَ ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنَهَ عَنْهُ » .

فَقَوْلُهُ : «رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ» أَيْ سِحْرٌ ، وَكَانُوا يُكَنُّونَ عَنْ السِّحْرِ بِالطِّبِّ تَفَاؤُلًا ، كَمَا يُقَالُ لِلَّدِيغِ : سَلِيْمٌ ، وَلِلأَعْمَىٰ بَصِيْرٌ .

---

(١) « شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٢١٠) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا بَابُ (٢٩) مِنْ كِتَابِ الطِّبِّ .

قَوْلُهُ : «يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ » أَيْ يُحْبَسُ عَنْ امْرَأَتِهِ فَلاَ يَصِلُ إِلَىٰ جِمَاعِهَا وَذَلِكَ بِسَبَبِ السِّحْرِ .

قَوْلُهُ : « أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ » أَيْ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُحَلَّ عَنْ هَذَا المَسْحُورِ أَوْ هَذَا الَّذِي أَصَابَهُ .

فَأَجَابَهُ ابنُ المُسَيَّبِ –رَحِمَهُ اللهُ – بِأَنَّ هَذَا لاَ بَأْسَ بِهِ ، أَيْ النُّشْرَةِ لاَ بَأْسَ بِها ، لِأَنَّهُمْ يُرِيْدُونَ بِهَا الإِصْلاَحَ أَيْ إِزَالَةَ السِّحْرِ وَلَمْ يُنْهَ عَمَّا يُرَادُ بِهِ الإِصْلاَحُ وَهَذَا مِنْ ابْنِ المُسَيَّبِ –رَحِمَهُ اللهُ – يُحْمَلُ عَلَىٰ نَوْعٍ مِنَ النُّشْرَةِ لاَ يُعْلَمُ أَنَّهُ سِحْرٌ [1] .

قَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللّهُ - : « هَذَا الكَلاَمُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ الحَلِّ الَّذِي لاَ بَأْسَ بِهِ ، وَهُوَ الحَلُّ بِالرُّقْيَةِ وَالمُعَوَّذَاتِ ، وَالأَشْيَاءِ المُبَاحَةِ ، لِأَنَّ هَذَا مِنَ الإِصْلاَحُ ، وَ الإِصْلاَحُ مَأْمُورٌ بِهِ وَالمُنْكَرُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ » [2].

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللّهُ-: «النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنْ المَسْحُورِ وَهِيَ نَوْعَانِ :

أَحَدُهُمَا : حَلُّ سِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَهَذَا الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنْتَشِرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُ ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنْ المَسْحُورِ .

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٧٢) .
(٢) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » (٢١١) .

وَالثَّانِي : النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ والتَّعوذَاتِ ، وَالأَدْوِيَةِ وَالدَّعوَاتِ المُبَاحَةِ ، فَهَذَا جَائِزٌ [١].

وَمُرَادُ ابْنِ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- « أَنَّ حَلَّ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ وَعِنْدَ السَّحَرَةِ فَذَلِكَ لاَ يَجُوزُ لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

حَلُّ السِّحْرِ بِغَيْرِ السِّحْرِ مِمَّا أَبَاحَهُ اللهُ كَالرُّقْيَةِ المُبَاحَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَصِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ ، وَهُنَاكَ أَدْوِيَةٌ مُبَاحَةٌ يَعْرِفُهَا الحُذَّاقُ وَأَهْلُ التَّجْرِبَةِ وَأَهْلُ العَقِيْدَةِ السَّلِيْمَةِ تَنْفَعُ بِإِذْنِ اللهِ فِي إِزَالَةِ السِّحْرِ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « زَادُ المَعَادِ» (٤/ ١٢٤-١٨١) . بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ** » .

وَالطِّيَرَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ- : ﴿ تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ [يس:١٨] ، أَيْ تَشَاءَمْنَا بِكُمْ .

وَهِيَ مِنَ الشِّرْكِ المُنَافِي لِكَمَالِ التَّوْحِيْدِ الوَاجِبِ ، لِكَوْنِهَا مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ وَتَخْوِيْفِهِ وَوَسْوَسَتِهِ .

وَأَصْلُ التَّطَيُّرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَأْخُوذُ مِنَ الطَّيْرِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ يَتَشَاءَمُونَ بِالطُّيُورِ فِي طَيَرَانِهَا ، إِذَا رَأَوْهَا تَطِيرُ عَلَىٰ جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ عِنْدَهُمْ تَشَاءَمُوا بِهَا وَرَجَعُوا عَمَّا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ الأَسْفَارِ أَوْ الزَّوَاجِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ عَمَّ هَذَا وَصَارُوا يَتَطَيَّرُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ فَيَتَطَيَّرُونَ بِالبِقَاعِ ، وَيَتَطَيَّرُونَ بِالآدَمِيِّيْنَ ، وَيَتَطَيَّرُونَ بِالبَهَائِمِ ، وَيَتَطَيَّرُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ .

فَالطِّيَرَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَقِيْدَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، بَلْ وَمَوْجُودَةٌ فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ فَهُؤُلَاءِ قَوْمُ فِرْعَوْنَ تَطَيَّرُو بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ، أَيْ : تَشَاءَمُوا بِمُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمَنْ مَعَهُ مَنَ المُسْلِمِيْنَ [١].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ

(١) « إِعَانَةُ المُسْتَفِيْدِ» (٢/ ٥) .

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأَعْرَافُ:١٣١].

وَالمَعْنَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ كَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمْ الحَسَنَةُ أَيْ الخِصْبُ وَالسَّعَةُ وَالعَافِيَةُ كَمَا فَسَّرَهَا مُجَاهِدٌ [١] ، وَغَيْرُهُ قَالُوا : ﴿لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أَيْ نَحْنَ الجَدِيْرُونُ والحَقِيْقُونَ بِهِ ، وَنَحْنُ أَهْلُهُ ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أَيْ : بَلَاءٌ وَقَحْطٌ ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ فَيَقُولُونَ هَذَا بِسَبَبِ مُوْسَىٰ وَأَصْحَابِهِ ، أَصَابَنَا بِشُؤْمِهِمْ ، فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ : مَا قَضَىٰ عَلَيْهِمْ وَقَدَّرَ لَهُمْ .

أَيْ : إِنَّمَا جَاءَهُمْ الشُّؤْمُ مِنْ قِبَلِهِ بِكُفْرِهِم ، وَتَكْذِيْبِهِم بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ [٢] .

قَوْلُهُ : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أَيْ: أَنَّ أَكْثَرَهُمْ جُهَّالٌ لا يَدْرُون، وَلَوْ فَهِمُوا وَعَقَلُوا ؛ لَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَت فِيْمَا جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِلَّا الخَيْرُ وَالبَرَكَةُ وَالسَّعَادَةُ والفَلَاحُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ [٣] .

لِأَنَّ الرُّسُلَ -عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هُمْ سَبَبُ الخَيْرَاتِ وَهُمْ سَبَبُ البَرَكَاتِ، لِأَنَّهُمْ يُصْلِحُونَ فِي الأَرْضِ بِالطَّاعَاتِ فَتَنْزِلُ الخَيْرَاتُ ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ

---

(١) أَثَرُ مُجَاهِدٍ صَحِيْحٌ ابْنُ جَرِيْرٍ عِنْدَ تَفْسِيرُ [الأَعْرَافُ:١٣١].
(٢) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٧٥) .
(٣) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٧٥) .

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَكَذَلِكَ ثَمُودُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَطَيَّرُوا بِصَالِحٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النَّمْلُ: ٤٧].

وَكَذَلِكَ أَهْلُ القَرْيَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللهُ فِي سُورَةِ [يس]، لَمَّا جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ [يس:١٣-١٨].

أَيْ تَشَاءَمْنَا بِكُمْ، وَمَا جِئْتُمُونَا بِخَيْرٍ ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس:١٨].

أَيْ: أَنَّهُمْ هَدَّدُوا الرُّسُلَ وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِنكُمْ إِلَّا الشَّرَّ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ الرُّسُلُ: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس:١٩] أَيْ: مَا أَصَابَكُمْ فَأَنْتُمْ وَسَبَبُهُ؛ لِأَنَّ سَبَبَهُ الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي الَّتِي تَصْدُرُ مِنْكُمْ والكُفْرُ، فَأَنْتُمْ السَّبَبُ وَنَحْنُ سَبَبُ الخَيْرِ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ والشُّؤْمُ سَبَبُهُ المَعَاصِي وَالكُفْرُ وَالشِّرْكُ.

وَكَذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَطَيَّرُوا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ [النِّسَاءُ: ٧٨].

يُخَاطِبُونَ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أَيْ خَيْرٌ وَخِصْبٌ وَنَبَاتٌ وَزُرُوعٌ وَخَيْرَاتٌ ، يَقُولُوا ﴿ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ نَعَمْ صَحِيْحٌ هِيَ مِنْ عِنْدَ اللهِ، فَاللهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهَا ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أَيْ: قَحْطٌ وَجَدْبٌ وَشُحٌّ فِي الأَرْزَاقِ ﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ ﴾ أَيْ بِسَبَبِكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَبِسَبَبِ أَتْبَاعِكَ، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ كُلُّ كُل ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ الخِصْبُ والخَيْرَاتُ وَالجَدْبُ وَالقَحْطُ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ [١].

وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ تِلْكَ الآيَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ أَنَّ التَّطَيُّرَ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَقَدْ ذَمَّهُمْ اللهُ بِهِ وَمَقَتَهُمْ ، وَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ التَّطَيُّرِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ شِرْكٌ [٢].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٣]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَّةَ ، وَلَا صَفَرَ**» .

---

(١) «إِعَانَةُ الْمُسْتَفِيْدِ» (٢/ ٥) .

(٢) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٧٦) .

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٧٥٧) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٢٠) .

« وَزَادَ مُسْلِمٌ »[١] ، « وَلَا نَوْءَ وَلَا غُوْلَ » .

فَقَوْلُهُ : «**لَا عَدْوَىٰ**» أَيْ عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ إِضَافَةِ الفِعْلِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَنَّ هَٰذِهِ الأُمُورَ تُعْدِي بِطَبْعِهَا وَإِلَّا فَقَدْ يَجْعَلُ اللهُ بِمَشِيْئَتِهِ مُخَالَطَةَ الصَّحِيْحِ مَنْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ سَبَبًا لِحُدُوثِ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَ فِي الطَّاعُونِ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : « **مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدُمْ عَلَيْهِ**» وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَقْدِيْرِ اللهِ .

وَقَوْلُهُ : «**وَلَا طِيَرَةَ** » أَيْ لَا تَطَيَّرُوا ، وَالنَّفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ لِأَنَّ النَّفِيَ يَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِ ذَلِكَ وَعَدَمِ تَأْثِيْرِهِ ، وَالنَّهْيَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَىٰ المَنْعِ .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »[٣] ، مِنْ حَدِيْثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : وَمِنَّا أُنَاسٌ يَتَطَيَّرُونَ. قَالَ: «**ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ ؛ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ** » .

فَأَخْبَرَ أَنَّ تَأَذِّيَهُ وَتَشَاؤُمَهُ بِالطِّيَرَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي نَفْسِهِ وَعَقِيْدَتِهِ لَا فِي المُتَطَيَّرِ بِهِ، فَوَهْمُهُ وَخَوْفُهُ ، وَإِشْرَاكُهُ هُوَ الَّذِي يُطَيِّرُهُ ، وَيَصُدُّهُ لَا مَا رَآهُ وَسَمِعَهُ، فَأَوْضَحَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُمَّتِهِ الأَمْرَ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ فَسَادَ الطِّيَرَةِ ،

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٢٢) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٧٣) ، ومُسْلِمٌ (٢٢١٨) .
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٣٧) .

لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ عَلَيْهِمَا عَلامَةً وَلاَ فِيْهَا دَلاَلَةً، كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-[1].

وَقَوْلُهُ: «**وَلاَ هَامَّةَ**» الهَامَّةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- طَائِرٌ يُسَمَّىٰ البُوْمَة، وَكَانَ العَرَبُ يَتَشَاءَمُونَ بِهِ إِذَا وَقَعَ عَلَىٰ بَيْتِ أَحَدِهِمْ، قَالَ: نَعَىٰ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِي، وَكَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِهَا، وَيَقُولُونَ: البُومُ لاَ يَقَعُ إِلَّا عَلَىٰ الخَرَابِ، فَهَذَا مِنْ عَقِيْدَةِ الجَاهِلِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: «**وَلاَ صَفَرَ**» هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- فِيْهِ قَوْلاَنِ لِأَهْلِ العِلْمِ:

القَوْلُ الأَوَّلُ - أَنَّ المُرَادَ بِالصَّفَرَ: شَهْرُ صَفَرَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ يَتَشَاءَمُونَ بِهَذَا الشَّهْرِ، فَلَا يَتَزَوَّجُونَ فِيْهِ، وَلاَ يُسَافِرُونَ، وَلاَ يُتَاجِرُونَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَشْئُومٌ.

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ صَفَرٌ مَشْئُومٌ، وَإِنَّمَا صَفَرٌ شَهْرٌ مِنْ أَشْهُرِ اللهِ، لَيْسَ فِيْهِ شُؤْمٌ وَلاَ شَرٌّ.

القَوْلُ الثَّانِي - أَنَّ المُرَادَ بِصَفَرٍ مَرَضٌ يَكُونُ فِي المَعِدَةِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُعْدِي غَيْرَ المُصَابِ وَسَوَاءً أَكَانَ هَذَا أَوْ هَذَا فَالحَدِيْثُ نَهَىٰ عَنْ التَّشَاؤُمِ مِنَ الشَّهْرِ أَوْ المَرَضِ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ[2].

---

(١) «مُفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٣٤).

(٢) «إِعَانَةُ المُسْتَفِيْدِ» (٢/ ٨).

وَقَوْلُهُ : «**وَلاَ نَوْءَ**» وَهُوَ وَاحِدُ الأَنْوَاءِ ، وَالأَنْوَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ مَنَازِلُ القَمَرِ وَهِيَ ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلَةً كُلُّ مَنْزِلَةٍ لَهَا نَجْمٌ تَدُورُ بِمَدَارِ السَّنَةِ ، فَالعَرَبُ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِالأَنْوَاءِ وَيَتَفَاءَلُونَ بِهَا ، فَبَعْضُ النُّجُومِ يَقُولُونَ عَنْهَا : نَجْمٌ نَحْسٌ ، وَبَعْضُهَا : نَجْمٌ مَسْعُوْدٌ ، فَإِذَا أُمْطِرُوا قَالُوا مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا ، وَلاَ يَقُولُونَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ ، وَهَذَا غَايَةُ الجَهْلِ [(١)].

وَقَوْلُهُ : «**وَلاَ غُوْلَ**» .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين -رَحِمَهُ اللهُ- : أَيْ جَمْعُ غَوْلَةٍ أَوْ غُوْلَةٍ ، وَنَحْنُ نُسَمِّيْهَا بِاللُّغَةِ العَامِيَّةِ (الهُوْلَةَ) لأَنَّهَا تَهُوْلُ الإِنْسَانَ ، والعَرَبُ كَانُوا إِذَا سَافَرُوا أَوْ ذَهَبُوا يَمِينًا وَشِمَالاً ، تَلَوَّنَتْ لَهُمْ الشَّيَاطِيْنُ بِأَلْوَانٍ مُفْزِعَةٍ مُخِيْفَةٍ ، فَتُدْخِلُ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ وَالخَوْفَ فَتَجِدُهُمْ يَكْتَئِبُونَ وَيَسْتَحْسِرُونَ مِنَ الذِّهَابِ إِلَىٰ هَذِهِ الوُجْهَةِ الَّتِي أَرَادُوا وَهَذَا لاَ شَكَّ أَنَّهُ ضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ ، وَالشَّيْطَانُ حَرِيْصٌ عَلَىٰ إِدْخَالِ القَلَقِ وَالحُزْنِ عَلَىٰ الإِنْسَانِ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيْعُ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [المُجَادَلَةُ : ١٠] [(٢)] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» لابْنِ عُثَيْمِيْـنَ (١/ ٥٦٨) .
(٢) انْظُرْ : «القَوْلَ المُفِيْدَ» (١/ ٥٦٩) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ** » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لاَ عَدْوَىٰ ، وَلاَ طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ** » ، قَالُوا : وَمَا الفَأْلُ ؟ ، قَالَ : « **الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ** » .

قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَإِنَّمَا أَحَبَّ الفَأْلَ ؛ لأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَّلُوا فَائِدَةَ اللهِ وَرَجَوا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيْفٍ أَوْ قَوِيٍّ فَهُمْ عَلَىٰ خَيْرٍ، وَإِذَا قَطَعُوا آمَالَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ مِنَ اللهَ -تَعَالَىٰ- كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَمَّا الطِّيَرَةُ فَإِنَّ فِيْهَا سُوْءَ ظَنٍّ بِاللهِ ، وَتَوَقُّعَ البَلَاءِ » (٢).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٧٧٦) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٢٤) .
(٢) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٨٦) .

قَوْلُهُ : « قَالُوا : وَمَا الفَأْلُ ؟ ، قَالَ : « **الكَلِمَةُ الطِّيِّبَةُ** » .

أَيْ أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً طَيِّبَةً انْشَرَحَ صَدْرُهُ ، أَوْ رَأَىٰ شَخْصًا طَيِّبًا جَاءَ إِلَيْهِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَأَمَّلَ خَيْرًا ، وَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَىٰ .

وَكَانَ الفَأْلُ يُعْجِبُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِذَا سَمِعَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْمًا حَسَنًا ، أَوْ كَلِمَةً طَيِّبَةً أَوْ مَرَّ بِمَكَانٍ طَيِّبٍ ، انْشَرَحَ صَدْرُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنَّ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَلَمَّا أَقْبَلَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرُو فِي قِصَّةِ الحُدَيْبِيَةِ لِيَتَفَاوَضَ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَآهُ مُقْبِلاً قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**سُهِّلَ عَلَيْكُمْ**» ، وَكَانَ كَمَا أَمَّلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكَانَ مَجِيئُهُ سَبَبَ خَيْرٍ (١) .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « لَيْسَ فِي الإِعْجَابِ بِالفَأْلِ وَمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ ، بَلْ ذَلِكَ إِبَانَةٌ عَنْ مُقْتَضَىٰ الطَّبِيعَةِ ، وَمُوجِبُ الفِطْرَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَمِيلُ إِلَىٰ مَا يُوَافِقُهَا وَيُلَائِمُهَا » (٢) .

-أَيُّهَا النَّاسُ- قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَقُولُ : إِنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ .

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي

---

(١) « إِعَانَةُ المُسْتَفِيدِ» لِلفَوْزَانِ (٢/ ١٣) .

(٢) « مُفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٣/ ٣٠٦) .

«صَحِيْحِ الجَامِعِ »[١] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا ، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ** » .

قَوْلُهُ : « **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** » .

قَالَ فِي « شَرْحِ السُّنَنِ» : « وَإِنَّمَا جَعَلَ الطِّيَرَةَ مِنَ الشِّرْكِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الطِّيَرَةَ تَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا ، أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضُرًّا إِذَا عَمِلُوا بِمُوجِبِهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا مَعَ اللهِ » [٢].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَهُوَ الصَّوَابُ: «فَإِنَّ الطِّيَرَةَ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٣].

وَقَوْلُهُ : « **وَمَا مِنَّا إِلَّا** » .

قَالَ أَبُو القَاسِمُ الأَصْبَهَانِيُّ وَالمُنْذِيُّ : « فِي الحَدِيْثِ إِضْمَارٌ ، والتَّقْدِيْرُ: «وَمَا مِنَّا إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ ذَلِكَ » [٤].

وَهُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَوْلَ حَدِيْثٍ جَاءَ فِي«الصَّحِيْحَيْنِ»[٥]، عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ (٣٧١٩) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٣٩٦٠) .

(٢) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٩١) .

(٣) « مُفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٣/ ٢٨١) .

(٤) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٤٩١) .

(٥) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٠٩٣) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٢٥) .

وَسَلَّمَ- : «**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَةِ وَالدَّارِ** » . فَهَذَا الحَدِيْثُ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ الطِّيَرَةِ وَهَذَا فِهْمٌ خَاطِئٌ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « إِخْبَارُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالشُّؤْمِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَيْسَ فِيْهِ إِثْبَاتُ الطِّيَرَةِ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَدْ يَخْلُقُ مِنْهَا أَعْيَانًا مَشْؤُومَةً عَلَىٰ مَنْ قَارَبَهَا ، وَسَكَنَهَا، وَأَعْيَانًا مُبَارَكَةً لاَ تَلْحِقُ مَنْ قَارَبَهَا مِنْهَا شُؤْمٌ، وَلاَ شَرٌّ، وَهَذَا كَمَا يُعْطِي اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الوَالِدَيْنِ وَلَدًا مُبَارَكًا الخَيْرَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، وَيُعْطِي غَيْرَهُمَا وَلَدًا مَشْؤُومًا يرِيَانِ الشَّرِّ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا يُعْطَاهُ العَبْدُ مِنْ وَلَايَةٍ وَغَيْرِهَا ، فَكَذَلِكَ الدَّارُ وَالمَرْأَةُ وَالفَرَسُ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَالِقُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالسُّعُودِ وَالنُّحُوسِ، فَخَلَقَ بَعْضَ هَذِهِ الأَعْيَانِ سُعُودًا مُبَارَكَةً ، وَيَقْضِي بِسَعَادَةِ مَنْ قَارَبَهَا وَحُصُولِ اليُمْنِ وَالبَرَكَةِ لَهُ ، وَيَخْلُقُ بَعْضَهَا نُحُوسًا يَتَخَسَّسُ بِهَا مَنْ قَارَبَهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ »[1] .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « مُفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٣/ ٣٤٢) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيْمِ وَالاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ وَالاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ** » .

أَمَّا التَّنْجِيْمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَكَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ-: «هُوَ الاسْتِدْلَالُ بِالأَحْوَالِ الفَلَكِيَّةِ عَلَىٰ الحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ [١]» .

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « عِلْمُ النُّجُوم المَنْهِيُّ عَنْهُ هُوَ مَا يَدَّعِيْهِ أَهْلُ التَّنْجِيْمِ مِنْ عِلْمِ الكَوَائِنِ وَالحَوَادِثِ الَّتِي سَتَقَعُ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، كَأَوْقَاتِ هُبُوبِ الرِّيَاحِ ، وَمَجِيءِ المَطَرِ وَتَغْيِيْرِ الأَسْعَارِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَزْعَمُونَ أَنَّهَا تُدْرَكُ مَعْرِفَتُهَا بِمَسِيْرِ الكَوَاكِبِ فِي مَجَارِيْهَا ، وَاجْتِمَاعِهَا، وَافْتِرَاقِهَا يَدَّعُونَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيْرًا فِي السُّفْلِيَّاتِ ، وَهَذَا مِنْهُمْ تَحَكُّمٌ عَلَىٰ الغَيْبِ ، وَتَعَاطٍ لِعِلْمٍ قَدْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ الغَيْبَ سِوَاهُ »[٢] .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [٣] ، عَنْ قَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ : زِيْنَةً لِلسَّمَاءِ ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِيْنِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا ، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ ، وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا

---

(١) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ » (٣٥/ ١٩٢) .

(٢) « مَعَالِمُ السُّنَنِ» (٤/ ٢١٢-٢١٣) .

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٦٥٦) مُعَلَّقًا فِي كِتَابِ «بِدْءِ الخَلْقِ» بَابِ (٣) .

عِلْمَ لَهُ بِهِ » .

أَيْ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَلَقَ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ ، يَعْنِي لِثَلَاثِ حِكَمٍ:

الفَائِدَةُ الأُولَىٰ : زِينَةً لِلسَّمَاءِ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [المُلْكُ:٥].

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهَا رُجُومٌ لِلشَّيَاطِينِ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المُلْكُ:٥]. أَيْ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَلَيْسُوا شَيَاطِينَ الإِنْسِ .

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ : عَلَامَةً يُهْتَدَىٰ بِهَا ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النَّحْلُ:١٦].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأَنْعَامُ:٩٧].

وَاعْلَمُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

الأَوَّلُ : عِلْمُ التَّيْسِيرِ .

الثَّانِي : عِلْمُ التَّأْثِيرِ .

فَعِلْمُ التَّيْسِيرِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ عِلْمُ المَنَازِلِ ؛ وَذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ الزِّرَاعَةِ وَغَيْرِهَا ، فَالمَنَازِلُ الثَّمَانِيَةُ والعِشْرُونَ تُقَسَّمُ عَلَىٰ الفُصُولِ الأَرْبَعَةِ لِكُلِّ فَصْلٍ مِنْهَا سَبْعُ مَنَازِلَ مَضْرُوبَةٌ عَلَىٰ ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَيْ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ لِكُلِّ فَصْلٍ مِنَ الفُصُولِ ، فَصْلُ الخَرِيفِ سَبْعُ مَنَازِلَ ، وَفَصْلُ الشِّتَاءِ سَبْعُ

مَنَازِلَ ، وَفَصْلُ الرَّبِيْعِ سَبْعُ مَنَازِلَ ، وَفَصْلُ الصَّيْفِ سَبْعُ مَنَازِلَ ، سَبْعُ مَنَازِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الفُصُولِ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ، فَهَذَا العِلْمُ الَّذِي هُوَ عِلْمُ التَّيْسِيْرِ لاَ شَيْءَ فِيْهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْكَرَهُ بَعْضُ السَّلَفِ كَقَتَادَةَ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ -رَحِمَهُمَا اللهُ- ؛ لِأَنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ لاَ شَيْءَ فِيْهِ إِلَّا أَنَّهُ وَسِيْلَةٌ لِأَنْ يُعْتَقَدَ فِيْهَا مَا لاَ يَجُوزُ فَهَذَا مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرَائِعِ فَلَا يَتَعَلَّمُ مَنَازِلُ القَمَرِ حَتَّىٰ لاَ يَنْدَرِجَ إِلَىٰ اعْتِقَادِ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي الكَوْنِ .

وَالقَوْلُ الصَّحِيْحُ : أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِتَعَلُّمِ مَنَازِلِ القَمَرِ الَّذِي يُسَمَّىٰ بِعِلْمِ التَّيْسِيْرِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ وَقَوْلُ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ لِأَجْلِ مَا فِيْهِ مِنَ الفَوَائِدِ وَعَدَمِ المَحْذُورِ .

والقِسْمُ الثَّانِيِّ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ عِلْمُ التَّأْثِيْرِ : فَهُوَ اعْتِقَادُ تَأْثِيْرُ النُّجُومِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ ، وَرَبْطُ حَيَاتِهِمْ وَمَوْتِهِمْ ، وَصِحَّتِهِمْ وَمَرَضِهِمْ، وَسِلْمِهِمْ وَحَرْبِهِمْ ، وَرَاحَتِهِمْ وَشَقَاهُمْ ، وَفَقْرِهِمْ وَغِنَاهِمْ ، كُلِّ ذَلِكَ مُرْتَبِطٌ فِي زَعْمِ هَؤُلاَءِ بِعِلْمِ النُّجُومِ ، وَبِالنُّجُومِ وَتَأْثِيْرِهَا ، وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ ، وَاعْتِقَادٌ فَاسِدٌ مَنْ اعْتَقَدَهُ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ ، وَمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ مَاتَ كَافِرًا مُسْتَحِقًّا لِلخُلُودِ فِي النَّارِ .

فَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يُطْلِعِ عَلَىٰ الغَيْبِ أَحَدًا سِوَاهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدِ المَخْلُوقِيْنَ تَأْثِيْرًا فِي حَيَاةِ عِبَادِهِ ، بَلْ إِنَّ اللهَ وَحْدَهُ المُتَصَرِّفُ فِي أُمُورِ

عِبَادِهِ فَهُوَ الخَالِقُ لَهُمْ ، وَهُوَ الرَّازِقُ لَهُمْ،حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ بِيَدِهِ، وَصِحَّتَهُمْ وَمَرَضُهُمْ بِيَدِهِ،وَفَقْرُهُمْ وَغِنَاهُمْ بِيَدِهِ، وَسَعَادَتُهُمْ وَشَقَاوَتُهُمْ بِيَدِهِ ، وَتَمْلِيْكُهُمْ وَسَلْبُهُمْ بِيَدِهِ، وَإِعْزَازُهُمْ وَإِذْلاَلُهُمْ، لاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ،وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَىٰ؛ كُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ،هَذِهِ هِيَ العَقِيْدَةُ الصَّحِيْحَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الإِسْلاَمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَمَنْ خَالَفَهَا وَاعْتَقَدْ تَأْثِيْرَ النُّجُومِ فِي الكَوْنِ وَفِي حَيَاةِ النَّاسِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ [(١)].

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ سَمِعْتُمْ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيْمِ ، فَاسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ ، وَالأَنْوَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ مَنَازِلُ القَمَرِ ، وَقَدْ سَبَقَ الحَدِيْثُ عَنْ تِلْكَ المَنَازِلِ ، وَأَنَّهَا تُسَمَّىٰ بِعِلْمِ التَّيْسِيْرِ ، وَأَنَّ تَعَلُّمَهَا جَائِزٌ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ لَكِنْ أَنْ تُنْسَبَ السُّقْيَا وَمَجِيءُ المَطَرِ إِلَيْهَا فَتِلْكَ هِيَ الطَّامَّةُ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الوَاقِعَةُ :٨٢].

أَيْ : تَجْعَلُونَ شُكْرَ رِزْقِكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَهُ بِإِسْنَادِ نُزُولِ المَطَرِ أَوْ صَلاَحِ الثَّمَرِ إِلَىٰ النَّوْءِ ، وَاللهُ هُوَ الفَاعِلُ لِذَلِكَ كُلِّهِ ؟!!،فَيَكُونُ فِيْهِ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ - شِرْكٌ أَكْبَرُ ، وَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ الأَنْوَاءَ بِالسُّقْيَا أَوْ يُنْسِبَ حُصُولَ الأَمْطَارِ إِلَىٰ هَذِهِ الأَنْوَاءِ عَلَىٰ أَنَّهَا هِيَ الفَاعِلَةُ بِنَفْسِهَا دُونَ اللهِ

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهَّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (١٢٨-١٢٩) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

والقِسْمُ الثَّانِيِّ -شِرْكٌ أَصْغَرُ وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الأَنْوَاءَ سَبَبًا مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الفَاعِلُ ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ جَعَلَ سَبَبًا لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ سَبَبًا لاَ بِوَحْيِهِ وَلاَ بِقَدَرِهِ ، فَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا أَصْغَرَ [١].

وَفِي «صَحِيْح مُسْلِم » [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **أَرْبَعَةٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ : الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَقَالَ : النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ** » .

وَمَوْضُعُ الشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ : « **وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ** » .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْن -رَحِمَهُ اللهُ - : « أَيْ نِسْبَةُ المَطَرِ إِلَىٰ النُّجُومِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الفَاعِلَ هُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَّا إِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ النُّجُومَ هِيَ الَّتِي تَخْلُقُ المَطَرَ وَالسَّحَابَ أَوْ دَعَاهَا مِنْ دُونِ اللهِ لِتُنْزِلَ المَطَرَ فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ» [٣].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْن» [٤]، مِنْ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ:

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ١٩) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٣٤) .
(٣) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٤) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٤٦) ، ومُسْلِمٌ (٧١) .

صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصُّبْحَ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ ، فَقَالَ : « **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** » ، قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- :« **قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِبِ** » .

قَوْلُهُ : -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟** » الاسْتِفْهَامُ يُرَادُ بِهِ التَّنْبِيْهُ وَالتَّشْوِيْقُ لِمَا سَيُلْقِي عَلَيْهِمْ ، وَإِلَّا فَالرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا قَالَ اللهُ! ، لِأَنَّ الوَحْيَ لاَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ : «**هَلْ تَدْرُونَ**» أَيْ : هَلْ تَعْلَمُونَ .

وَالمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ : «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» تَفْوِيْضُ العِلْمِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ .

وَقَوْلُهُ:«**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ** »أَيْ : عَبْدٌ مُؤْمِنٌ وَعَبْدٌ كَافِرٌ.

وَقَوْلُهُ : «**فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ** » أَيْ : قَالَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالفَضْلُ وَالعَطَاءُ وَالزِّيَادَةُ وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ يَكُونُ بِهَا الإِنْعَامُ وَالإِحْسَانُ إِلَىٰ الخَلْقِ .

وَقَوْلُهُ : « **فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ**» لِأَنَّهُ نَسَبَ المَطَرَ إِلَىٰ اللهِ وَلَمْ

يَنْسُبُهُ إِلَىٰ الكَوْكَبِ .

وَأَمَّا مَنْ قَالَ : «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» والنَّوْءُ سَبَقَ لَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ النَّجْمُ إِذَا طَلَعَ مِنَ المَشْرِقِ وَقْتَ الفَجْرِ ، أَوْ غَابَ فِي المَغْرِبِ وَقْتَ الفَجْرِ كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَنْسِبُونَ المَطَرَ إِلَىٰ طُلُوعِ النَّجْمِ أَوْ غُرُوبِهِ .

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ نِسْبَةَ الأَمْطَارِ إِلَىٰ الأَنْوَاءِ كُفْرٌ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَشِرْكٌ ، وَأَنَّ نِسْبَةَ الأَمْطَارِ إِلَىٰ اللهِ إِيمَانٌ بِاللهِ وَتَوْحِيدٌ لَهُ .

لِهَذَا يُشْرَعُ لَنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ نَقُولَ بَعْدَ نُزُولِ المَطَرِ « **مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ** » .

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ » [١] ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾** ﴾ [الوَاقِعَةُ:٧٥-٨٢] .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٣) .

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

أَيْ: تُكَذِّبُونَ إِنْزَالَ اللهِ لِلمَطَرِ وَإِغَاثَتِهِ لَكُمْ وَتَسْأَلُونَ النُّجُومَ، وَتَسْتَغِيثُونَ بِهَا أَوْ تَزْعُمُونَ أَنَّهَا سَبَبُ المَطَرِ وَهِيَ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ وَلاَ تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الأَمْرِ [1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) « شَرْحُ التَّوْحِيدِ » لابْنِ بَازٍ - (١٢٣) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

إِثْبَاتُ مَحَبَّةِ اللهِ وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ العِبَادَاتِ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

تَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ وَالاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : « **إِثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ العِبَادَاتِ** » .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ﴾ [البَقَرَةُ: ١٦٥].

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَصْلُ التَّوْحِيْدِ وَرُوْحُهُ : إِخْلَاصُ المَحَبَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَهِيَ أَصْلُ التَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدِ لَهُ ، بَلْ هِيَ حَقِيْقَةُ العِبَادَةِ ، وَلَا يَتِمُّ التَّوْحِيْدُ حَتَّىٰ تَكْمُلَ مَحَبَّةُ العَبْدِ لِرَبِّهِ ، وَتَسْبِقُ مَحَبَّتُهُ جَمِيْعَ المَحَابِّ وَتَغْلِبَهَا ، وَيَكُونُ لَهَا الحُكْمُ عَلَيْهَا بِحَيْثُ تَكُونُ سَائِرُ مَحَابِّ العَبْدِ تَبَعًا لِهَذِهِ المَحَبَّةِ الَّتِي

بِهَا سَعَادَةُ العَبْدِ وَفَلَاحُهُ ، وَمِنْ تَفْرِيْعِهَا وَتَكْمِيْلِهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- الحُبُّ فِي اللهِ ، فَيُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَشْخَاصِ ، وَيَبْغَضُ مَا يَبْغَضُهُ اللهُ مِنَ الأَشْخَاصِ وَالأَعْمَالِ، وَيُوَالِي أَوْلِيَاءَهُ وَيُعَادِي أَعْدَاءَهُ وَبِذَلِكَ يَكْمُلُ إِيمَانُ العَبْدِ وَيَكْمُلُ تَوْحِيْدُهُ .

أَمَّا اتِّخَاذُ الأَنْدَادِ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الخَلْقِ يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، وَيُقَدِّمُ طَاعَتَهُمْ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ ، وَيَلْهَجُ بِذِكْرِهِمْ وَدُعَائِهِمْ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ الَّذِي لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ ، وَصَاحِبُ هَذَا الشِّرْكِ قَدْ انْقَطَعَ قَلْبُهُ عَنْ وِلَايَةِ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ، وَتَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ مِمَّنْ لاَ يَمْلِكُ لَهُ شَيْئًا وَهَذَا السَّبَبُ الوَاهِي الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ المُشْرِكُونَ سَيَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ العَبْدُ لِعَمَلِهِ ، وَسَتَنْقَلِبُ هَذِهِ المَوَدَّةُ وَالمَوَالاَةُ بُغْضًا وَعَدَاوَةً »[1].

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « المَحَبَّةُ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ – مَحَبَّةُ عِبَادَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي تُوجِبُ التَّذَلُّلَ وَالتَّعْظِيْمَ ، وَأَنْ يَقُومَ بِقَلْبِ الإِنْسَانِ مِنْ إِجْلَالِ المَحْبُوبِ وَتَعْظِيْمِهِ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَهُ وَيَجْتَنِبَ نَهْيَهُ ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِاللهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مَعَ اللهِ غَيْرَهِ مَحَبَّةَ عِبَادَةٍ فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرَ ، وَيُعَبِّرُ العُلَمَاءُ عَنْهَا بِالمَحَبَّةِ الخَاصَّةِ .

القِسْمُ الأَوَّلُ – مَحَبَّةٌ لَيْسَتْ بِعِبَادَةٍ ، فِي ذَاتِهَا ، وَهَذِهِ أَنْوَاعٌ :

---

(١) « القَوْلُ السَّدِيْدُ » (٩٨-٩٩) .

النَّوْعُ الأَوَّلُ : المَحَبَّةُ للهِ وَفِي اللهِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الجَالِبُ لَهَا مَحَبَّةَ اللهِ .

النَّوْعُ الثَّانِي : مَحَبَّةُ إِشْفَاقٍ وَرَحْمَةٍ ، وَذَلِكَ كَمَحَبَّةِ الوَلَدِ ، وَالصِّغَارِ ، والضُّعَفَاءِ وَالمَرْضَىٰ .

النَّوْعُ الثَّالِثُ : مَحَبَّةُ إِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ لاَ عِبَادَةٍ ، كَمَحَبَّةِ الإِنْسَانِ لِوَالِدِهِ ، وَلِمُعَلِّمِهِ وَالكَبِيرِ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ .

النَّوْعُ الرَّابِعُ : مَحَبَّةٌ طَبِيْعِيَّةٌ كَمَحَبَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالمَلْبَسِ ، وَالمَرْكَبِ وَالمَسْكَنِ .

وَأَشْرَفُ هَذِهِ الأَنْوَاعِ النَّوْعُ الأَوَّلُ ، وَالبَقِيَّةُ مِنْ قِسْمِ المُبَاحِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِهَا مَا يَقْتَضِي التَّعَبُّدَ صَارَتْ عِبَادَةً .

وَكَذَلِكَ المَحَبَّةُ الطَبِيْعِيَّةُ ، كَالأَكْلِ والشُّرْبِ والمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ إِذَا قُصِدَ بِهَا الاسْتِعَانَة عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ صَارَتْ عِبَادَةً وَلِهَذَا حُبِّبَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « **النِّسَاءُ والطِّيْبُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا** »[١] .

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٢٤] .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٤٥) .

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ قَدَّمَ مَحَبَّةَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ فَإِنَّهُ مُتَوَعَّدٌ بِهَذَا الوَعِيْدِ ﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ أَيْ انْتَظِرُوا ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ حَتَّىٰ يَأْتِيَكُمْ اللهُ بِالعُقُوبَةِ [١].

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « فَدَلَّتْ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَحَبَّةَ هَؤُلَاءِ - وَإِنْ كَانَتْ مِنْ غَيْرِ العِبَادَةِ - إِذَا فُضِّلَتْ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ ، صَارَتْ سَبَبًا لِلعُقُوبَةِ [٢].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ** » .

أَيْ : لاَ يَكْمُلُ إِيْمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِهَذَا بِأَنْ يُقَدِّمَ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ مَحَبَّةِ النَّاسِ جَمِيْعًا ، وَطَاعَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ النَّاسِ جَمِيْعًا .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٤] ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ**

---

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيْدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (١٣٨).
(٢) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٤٨) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١) ، ومُسْلِمٌ (٤٤) .
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦) ، ومُسْلِمٌ (٤٣) .

الإِيْمَان : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » .

فَقَوْلُهُ : «**ثَلاثٌ**» أَيْ ثَلاثُ خِصَالٍ .

فَقَوْلُهُ : «**مَنْ كُنَّ فِيْهِ**» أَيْ اجْتَمَعْنَ فِيْهِ وَوُجِدْنَ فِيْهِ .

فَقَوْلُهُ : «**وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ** » هَذَا مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَحَلَاوَةُ الإِيْمَانِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ لِذَّتُهُ ؛ لأَنَّ الإِيْمَانَ الصَّادِقَ لَهُ لَذَّةٌ فِي النُّفُوسِ ، وَلَهُ طُمَأْنِيْنَةٌ فِي القُلُوبِ ، هَذَا هُوَ الإِيْمَانُ الصَّادِقُ .

فَالخَصْلَةُ الأُوْلَىٰ - أَيُّهَا النَّاسُ- «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**» أَيْ : أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ حَتَّىٰ مِنْ نَفْسِهِ ، وَهَذَا يَقْتَضِي تَقْدِيْمَ قَوْلِهِمَا عَلَىٰ كُلِّ قَوْلٍ وَمَحَابِّهِمَا عَلَىٰ كُلِّ مَحَابٍّ .

وَالخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ - «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ** » أَيْ : لاَ يُحِبُّ الإِنْسَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ « **لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ** » لاَ يُحِبُّهُ مِنْ أَجْلِ طَمَعِ دُنْيَا أَوْ عَرَضٍ عَاجِلٍ ، إِنَّمَا يُحِبُّهُ للهِ ؛ لِأَنَّه مُطِيْعٌ للهِ ، لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ ، لِأَنَّهُ تَقِيٌّ .

وَالخَصْلَةُ الثَّالِثَة - «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» أَيْ المُؤْمِنُ الَّذِي تَمَكَّنَ الإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ لاَ يُسَاوِمُ

عَلَيْهِ، كَمَا لاَ يُسَاوِمُ عَلَى دُخُولِ النَّارِ،لِأَنَّ الكُفْرَ مُوجِبٌ لِلقَذْفِ فِي النَّارِ[1].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ العَمَلِ الَّذِي يُبَلِّغُنَا حُبَّكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ٤٤) بِتَصَرُّفٍ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٧٥] .

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَهَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- المُؤْمنيْنَ أَنْ يَخافُوا غَيْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْصُرُوا خوفَهُمْ عَلَىٰ اللهِ ، فَلاَ يَخَافُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَهَذَا هُوَ الإِخْلَاصُ الَّذي أَمَرَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ فَإِذَا أَخْلَصُوا لَهُ الخَوْفَ وَجَمِيْعَ العِبَادَةِ ، أَعْطَاهُمْ مَا يَرْجُونَ وَأَمَّنَهُمْ مِنْ مَخَاوُفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ [١].

وَالخَوْفُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ :

القَسَمُ الأَوَّلُ : خَوْفُ السِّرِّ وَهُوَ الخَوْفُ الَّذي يَكُونُ مَعَهُ عِبَادَةٌ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ تَرَكٌ لِمَا أَوْجَبَ اللهُ ، وَمَعْنَاهُ : أَنْ يَخَافَ الإِنْسَانُ مِنْ غَيْرِ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ وَمَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنَ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ، أَوْيَخَافَ الشَّيَاطِيْنَ والجِنَّ .

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الخَوْفِ يُسَمَّىٰ خَوْفَ السِّرِّ وَهُوَ خَوْفُ العِبَادَةِ بِأَنْ يَخَافَ

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٥٤٧) .

المَعْبُودَاتِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَالمُؤْمِنُ لاَ يَخَافُ هَذهِ المَعْبُودَاتِ أَبَدًا لاَ يَخَافُ مِنَ الأَصْنَامِ ، وَلاَ يَخَافُ مِنَ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلاَ يَخَافُ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ والجِنِّ أَنْ تُصِيْبَهُ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَكَذَلِكَ الخَوْفُ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يُصِيْبَهُ بِمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنَ الإِصَابَةِ بِالمَرَضِ ، أَوْ قَطْعِ الرِّزْقِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا أَحَدُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ .

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ الخَوْفِ : -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ أَنْ يَتْرُكَ الإِنْسَانُ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ، وَبَيَانِ الحَقِّ خَوفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يُؤْذُوهُ أَوْ يُضَايِقُوهُ أَوْ يُعَذِّبُوهُ فَيَتْرُكَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنْ المُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ ، وَبَيَانَ الحَقِّ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ ، فَهَذَا شِرْكٌ أَصْغَرٌ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ ، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ القَادِرَ عَلَىٰ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ ، أَمَّا الَّذِي لاَ يَقْدِرُ فَهُوَ مَعْذُورٌ .

النَّوْعُ الثَّالِثُ : الخَوْفُ الطَّبِيْعِيُّ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ عِبَادَةٌ لِلمَخُوفِ وَلاَ تَرْكُ وَاجِبٍ ، كَأَنْ يَخَافَ مِنَ العَدُوِّ ، أَوْ مِنَ السَّبْعِ ، أَوْ مِنَ الحَيَّةِ ، وَيَخَافُ الإِنْسَانُ مِنْ أَعْدَائِهِ أَوْ يَخَافُ مِنَ الهَوَامِّ ، فَهَذَا الخَوْفُ خَوْفٌ طَبِيْعِيٌّ لاَ

يُلامُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِبَادَةٌ ، وَلاَ تَرْكًا لِوَاجِبٍ ، وَلاَ يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ (١).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التَّوْبَةُ : ١٨].

فَأَخْبَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ مَسَاجِدَ اللهِ لاَ يَعْمُرُهَا إِلَّا أَهْلُ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ ، وَعَمِلُوا بِجَوَارِحِهِمْ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الخَشْيَةَ الَّتِي دُونَ مَنْ سِوَاهُ ، فَأَثْبَتَ لَهُمْ عِمَارَةَ المَسَاجِدِ بِالطَّاعَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَالمُشْرِكُ وَإِنْ عَمِلَ فَعَمَلُهُ ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إِبْرَاهِيمُ:١٨] .

أَوْ ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّورُ:٣٩] .

وَمَا كَانَ كَذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَالعَدَمُ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَلَا تَكُونُ المَسَاجِدُ عَامِرَةً إِلَّا بِالإِيْمَانِ الَّذِي مُعْظَمُهُ التَّوْحِيْدُ مَعَ العَمَلِ الصَّالِحِ الخَالِصِ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ وَالبِدَعِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي مُسَمَّىٰ الإِيْمَانِ المُطْلَقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ .

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ٥١) بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- : يُرِيْدُ خَشْيَةَ التَّعْظِيْم وَالعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ ، وَلاَ مَحَالَةَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَخْشَىٰ المَحَاذِيْرَ الدُّنْيَوِيَّةَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْشَىٰ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ قَضَاءَ اللهِ وَتَصْرِيْفَهُ .

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « الخَوْفُ عُبُودِيَّةُ القَلْبِ ، فَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلهِ ، كَالذُّلِّ وَالإِنَابَةِ ، وَالمَحَبَّةِ ، وَالتَّوَكُّلِ، وَغَيْرِهَا مِنْ عُبُودِيَّةِ القَلبِ »[(١)].

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ .

أَيْ : ﴿ فَعَسَىٰٓ ﴾ أُوْلَيكَ المُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِيْنَ ، وَكُلُّ عَسَىٰ مِنَ اللهِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[العَنْكَبُوتُ: ١٠].

هَذِهِ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي المُنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ يُظْهِرُونَ الإِيْمَانَ وَيُبْطِنُونَ الكُفْرَ.

فَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ : يَقُولُ مُجَرَّدَ قَوْلٍ وَيَدَّعِي ، مَا لَيْسَ لَهُ حَقِيْقَةٌ ﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ إِذَا جَاءَ الامْتِحَانُ لِأَنَّ المُؤْمِنِيْنَ يُمْتَحَنُونَ وَلاَ يُتْرَكُونَ عَلَىٰ قَوْلِ : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ فَيَظْهَرُ الصَّادِقُ

(١) « طَرِيْقُ الهِجْرَتَيْنِ » (١/ ٢٩٢) .

فِي إِيْمَانِهِ مِنَ الكَاذِبِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[العَنْكَبُوتُ : ٢]. أَيْ يُخْتَبَرُونَ وَيُمْتَحَنُونَ .

﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[العَنْكَبُوتُ : ٣] فَإِذَ قَالَ : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ فَإِنَّهُ يُمْتَحَنُ بِأَنْ يُصَابَ بِالأَذَىٰ مِنَ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِيْنَ وَالفُسَّاقِ ، فَإِنْ صَبَرَ وَثَبَتَ عَلَىٰ إِيْمَانِهِ وَتَحَمَّلَ الأَذَىٰ فِي سَبِيْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ صِدْقِ إِيْمَانِهِ ، أَمَّا إِنْ انْحَرَفَ وَذَهَبَ مَعَ الفِتْنَةِ فَإِنَّ هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ نِفَاقِهِ .

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ ﴾ أَيْ : نَالَهُ أَذًى بِسَبَبِ إِيْمَانِهِ بِاللهِ.

وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ : أَذَاهُمْ .

﴿ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ : مُسَاوِيًّا لِعَذَابِ اللهِ مَعَ الفَرْقِ العَظِيْمِ ، لِأَنَّ فَتْنَةَ النَّاسِ زَائِلَةٌ وَمُنْتَهِيَّةٌ وَخَفِيْفَةٌ بِخِلَافِ عَذَابِ اللهِ -والعِيَاذُ بِاللهِ- فَإِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌ وَبَاقٍ وَمُسْتَمِرٌّ .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَيْفَ سَوَّىٰ بَيْنَ عَذَابِ اللهِ وَفِتْنَةِ النَّاسِ، أَلَيْسَ هَذَا دَلِيْلاً عَلَىٰ جَهْلِهِ وَعَدَمِ إِيْمَانِهِ ؟!!. وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- طَاعَةُ الكُفَّارِ وَالانْسِلَاخُ مِنَ الدِّيْنِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ دِيْنٌ أَصْلاً ، وَإِنَّمَا تَظَاهَرَ بِهِ ، فَإِذَا جَاءَتْ المِحَنْ انْكَشَفَ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانٌ أَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانٌ

ضَعِيْفٌ ، ثُمَّ زَالَ .

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ : أَنَّهُ يَخْشَىٰ النَّاسَ وَلاَ يَخْشَىٰ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- [١] ، فَلَوْ كَانَ يَخْشَىٰ اللهَ لاسْتَهَانَ بِفِتْنَةِ النَّاسِ وَعَذَابِهِمْ ، وَلَكِنَّ الْمُوَفَّقَ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ، والْمُهْتَدي مَنْ هَدَاهُ اللهُ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[٢] مَوْقُوفٍ عَلَىٰ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: « **مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ ، وَ مَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ ، سَخَطِ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ** » .

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الفِتْنَةِ فِي الدِّيْنِ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَرْضَىٰ اللهَ بِسَخَطِهِمْ ، كَانَ قَدْ اتَّقَاهُ ، وَكَانَ عَبْدَهُ الصَّالِحَ ، وَاللهُ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِيْنَ ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَافٍ عَبْدَهُ ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطَّلَاق: ٢-٣].

وَاللهُ يَكْفِيْهِ مُؤْنَةَ النَّاسِ بِلاَ رَيْبٍ أَمَّا كَوْنُ النَّاسِ كُلِّهِمْ يَرْضَوْنَ عَنْهُ قَدْ لاَ يَحْصُلُ ذَلِكَ ، لَكِنْ يَرْضَوْنَ عَنْهُ إِذَا سَلِمُوا مِنَ الأَغْرَاضِ ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ الْمُسْتَفِيْدِ» لِلفَوْزَانِ .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ(١/ ٢٤٨)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٦٠١٠) .

العَاقِبَةُ ، وَمَنْ أَرْضَىٰ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ ؛ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا كَالظَّالِمِ الَّذِي يَعَضُّ يَدَيْهِ ، أَمَّا كَوْنُ حَامِدِهِ يَنْقَلِبُ ذَمًّا ، فَهَذَا يَقَعُ كَثِيْرًا ، وَيَحْصُلُ فِي العَاقِبَةِ ، فَإِنَّ العَاقِبَةَ لِلتَّقْوَىٰ لاَ تَحْصُلُ ابْتِدَاءً عِنْدَ أَهْوَائِهِمْ » (١) .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

إِذَا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ يَا غَايَةَ المُنَىٰ ... فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ (٢)

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « فَمَنْ تَحَقَّقَ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ فَوْقَ التُّرَابِ؛ فَهُوَ تُرَابٌ ، فَكَيْفَ تُقَدَّمُ طَاعَةُ مَنْ هُوَ تُرَابٌ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّ الأَرْبَابِ »(٣) .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ » (١/ ٥٢) .

(٢) « مِنْ رَحِيْقِ الشِّعْرِ » (١/ ١٧٣) .

(٣) « رَسَائِلُ ابْنِ رَجَبٍ » (٣/ ١٤٢) مِنْ رَحِيْقِ الشِّعْرِ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ قَوْلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ١٧٥ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:١٧٥] .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ قَوْلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المَائِدَةُ :٢٣] .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيْرِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ : فَجَعَلَ التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ شَرْطًا فِي الإِيْمَانِ فَدَلَّ عَلَىٰ انْتِفَاءِ الإِيْمَانِ عِنْدَ انْتِفَائِهِ ، وَفِي الآيَةِ الأُخْرَىٰ : ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ** ٨٤ ﴾[يُونُسُ:٨٤] .

فَجَعَلَ دَلِيْلَ صِحَّةِ الإِسْلَامِ التَّوَكُّلَ ، وَكُلَّمَا قَوِيَ إِيْمَانُ العَبْدِ ، كَانَ تَوَكُّلُهُ

أَقْوَىٰ، وَإِذَا ضَعُفَ الإِيْمَانُ ضَعُفَ التَّوَكُّلُ ، وَإِذَا كَانَ التَّوَكُّلُ ضَعِيْفًا كَانَ دَلِيْلاً عَلَىٰ ضَعْفِ الإِيْمَانِ ، وَلاَ بُدَّ ، واللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - يَجْمَعُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ والعِبَادَةِ ، وَبَيْنَ التَّوَكُّلِ وَالإِيْمَانِ ، وَبَيْنَ التَّوَكُّلِ وَالهِدَايَةِ ، فَظَهَرَ أَنَّ التَّوَكُّلَ أَصْلٌ لِجَمِيْعِ مَقَامَاتِ الإِيْمَانِ ، وَالإِحْسَانِ ، وَلِجَمِيْعِ أَعْمَالِ الإِسْلَامِ، وَأَنَّ مَنْزِلَتَهُ مِنْهَا كَمَنْزِلَةِ الجَسَدِ مِنَ الرَّأْسِ فَكَمَا لاَ يَقُومُ الرَّأْسِ إِلَّا عَلَىٰ البَدَنِ فَكَذَلِكَ لاَ يَقُومُ الإِيْمَانُ وَمَقَامَاتُهُ وَأَعْمَالُهُ إِلَّا عَلَىٰ سَاقِ التَّوَكُّلِ[1].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ -: « وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا، وَلاَ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيْهِ ؛ فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١] »[2].

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -رَحِمَهُ اللهُ -: « التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ قِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا : التَّوَكُّلُ فِي الأُمُورِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ ، كَالَّذِيْنَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ الأَمْوَاتِ وَالطَّوَاغِيْتِ فِي رَجَاءِ مَطَالِبِهِمْ مِنْ نَصْرٍ ، أَوْ حِفْظٍ ، أَوْ رِزْقٍ، أَوْ شَفَاعَةٍ ؛ فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ .

الثَّانِي : التَّوَكُّلُ فِي الأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ ؛ كَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ أَمِيْرٍ ، أَوْ سُلْطَانٍ فِيْمَا أَقْدَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ - مِنْ رِزْقٍ أَوْ دَفْعِ أَذًى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَهَذَا نَوْعُ شِرْكٍ أَصْغَرُ .

---

(١) « طَرِيْقُ الهِجْرَتَيْنِ » (٣١٨-٣٢١) .

(٢) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ » (١٠/ ٢٥٧) .

وَالوَكَالَةُ الجَائِزَةُ هِيَ تَوْكِيْلُ الإِنْسَانِ فِي فِعْلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ نِيَابَةً عَنْهُ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي حُصُولِ مَا وُكِّلَ فِيْهِ بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ فِي تَيْسِيْرِ أَمْرِهِ الَّذِي يَطْلُبُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ نَائِبِهِ، وَذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الأَسْبَابِ الَّتِي يَجُوزُ فِعْلُهَا، وَلاَ يُعْتَمَدَ عَلَيْهَا، بَلْ يُعْتَمَدُ عَلَىٰ المُسَبِّبِ الَّذِي أَوْجَدَ السَّبَبَ وَالمُسَبْبَ »[1].

وَمَا مِنْ شَكٍّ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ السَّبَبِ قَدْ يُوصِلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وَذَلِكَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ السَّبَبَ هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ مَعَ اللهِ، أَوْ مِنْ دُونِ اللهِ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ بِدُونِ تَفْوِيْضِ الأُمُورِ إِلَىٰ اللهِ، وَالأَمْرُ الثَّانِي يُعْتَمَدَ عَلَيْهَا اعْتِمَادًا بَالِغًا، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ مِنَ اللهِ، لَكِنْ جَاوَزَ الحَدَّ فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَ يَخْشَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْ يَتَضَجَّرُ إِذَا فَاتَهُ هَذَا السَّبَبُ فَهَذَا قَدْ يُوصِلُ صَاحِبَهُ إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ وَإِلَّا فَهُوَ مَعْصِيَةٌ[2].

وَهُنَا فَائِدَةٌ عَظِيْمَةٌ، قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ-: « يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ لاَ يُعَلِّقَ نَفْسَهُ بِالسَّبَبِ، بَلْ يُعَلِّقُهَا بِاللهِ، فَالمُوَظَّفُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِمُرَتَّبِهِ تَعَلُّقًا كَامِلاً مَعَ الغَفْلَةِ عَنِ المُسَبِّبِ وَهُوَ اللهُ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ »[3].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ» (٣٥٣).

(٢) انْظُرْ: « حَاشِيَةَ فَتْح المَجِيْدِ» حَاشِيَةَ رَقَم (٨/ ٥٦١-٥٦٢).

(٣) « مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ العُثَيْمِيْن» المُجَلَّدُ الأَوَّلُ، بَابُ العِبَادَةِ.

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأَنْفَالُ: ٢].

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أَيْ: يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ بِقُلُوبِهِمْ، مُفَوِّضِينَ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، فَلَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَقْصُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَرْغَبُونَ إِلَّا إِلَيْهِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمُلْكِ وَحْدَهُ، وَالْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ »[١].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأَنْفَال: ٦٤].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَيْ: اللهُ وَحْدَهُ كَافِيكَ وَكَافِي أَتْبَاعِكَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَىٰ أَحَدٍ »[٢].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطَّلَاقُ: ٣].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَيْ: كَافِيهِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ كَافِيهِ وَوَاقِيهِ فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِعَدُوِّهِ، وَلَا يَضُرُّهُ إِلَّا أَذًىٰ لَا بُدَّ مِنْهُ، كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْجُوعِ

---

(١) انْظُرْ: « فَتْحَ الْمَجِيدِ» (٥٦٣-٥٦٤).
(٢) انْظُرْ: « زَادَ الْمَعَادِ» (١/ ٣٥).

والعَطَشِ ، وَأَمَّا أَنْ يَضُرَّهُ بِهَا يَبْلُغُ مُرَادَهُ ؛ فَلاَ يَكُونُ أَبَدًا »[١].

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ »[٢] ،عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيْمُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيْنَ قَالُوا لَهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آلُ عِمْرَانَ:١٧٣] .

قَالَ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ - : « قَالَهَا إِبْرَاهِيْمُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ حِيْنَ أَلْقَاهُ النَّمْرُودُ ، وَقَالَ : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأَنْبِيَاءُ :٦٩] .

فَكَفَاهُ شَرَّهَا وَشَرَّهُمْ وَنَجَّاهُ مِنْهُمْ ، وَصَارَتْ آيَةً مُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَقَال مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ أُحُدٍ حِيْنَ قَالُوا لَهُ : إِنَّ المُشْرِكِيْنَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ لِيَكِرُّوا عَلَيْكُمْ ثَانِيَةً ؛ فَقَالَ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ فَكَفَاهُ اللهُ .

وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، لَكِنْ هَذَا لاَ يَمْنَعُ مِنَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَهَا وَقَدْ لَبِسَ الدِّرْعَ وَحَمَلَ السِّلاَحَ وَوَضَعَ الخُوذَةَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ أَصْحَابُهُ ، وَيَوْمَ الأَحْزَابِ حَفَرَ الخَنْدَقَ .

(١) انْظُرْ: « بَدَائِعَ الفَوَائِدِ» (٢/ ٢٣٩) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٥٦٣) .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النِّسَاء: ٧١] [(١)].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) انْظُرْ: « شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ » لابْنِ بَازٍ (٢٤٩) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ﴿ **أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾** ﴾ [الأَعْرَافُ:٩٩] .

وَالْمُرَادُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ تَحْرِيْمُ الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ والقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَبيَانُ بَعْضِ هَذِهِ الكَبَائِرِ .

فَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ مِنَ الكَبَائِرِ وَهُوَ يُفْضِي إِلَىٰ التَّسَاهُلِ فِي مَحَارِمِ اللهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ سَاءَتْ أَعْمَالُهُ ، وَأَخْلَاقُهُ وَتَصَرُّفَاتُهُ ، وَلَمْ يَخَفْ اللهَ ، والقُنُوطُ هُوَ اليَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَسُوءُ ظَنُّهُ بِاللهِ ، وَتَنْكَسِرُ نَفْسُهُ وَتَحْتَرِقُ، وَالوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ ؛ فَيَرْجُو اللهَ ، وَيَخَافُ ذُنُوبَهُ وَمَعَاصِيَهُ فَلاَ يُغْرِقُ فِي المَعَاصِي ، وَيأَمْنُ مَكْرَ اللهِ ، وَكَذَلِكَ لاَ تَيأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، بَلْ يَكُونُ كَالطَّيْرِ بَيْنَ الجَنَاحَيْنِ ، وَفَضَّلَ بَعْضُ العُلَمَاءِ جَانَبَ الخَوْفِ فِي حَالِ الصِّحَةِ ، لِأَنَّهُ أَقْدَرُ عَلَىٰ المَعَاصِي ، وَجَانِبَ الرَّجَاءِ فِي حَالِ المَرَضِ ؛ لِأَنَّهُ يَضْعُفُ عَنْ الأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالأَصْلُ أَنْ

يَكُونَ بَيْنَهُمَا »(١).

ومَعْنَىٰ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمَّا ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ القُرَىٰ المُكَذِّبِيْنَ لِلرُّسُلِ بَيَّنَ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ هُوَ الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَعَدَمُ الخَوْفِ مِنْهُ كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأَعْرَافُ: ٩٧-٩٩].

أَيْ الهَالِكُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَمِنُوا مَكْرَ اللهِ لَمَّا اسْتَدْرَجَهُمْ بِالسَّرَّاءِ والنِّعَمِ، فَاسْتَبْعَدُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَكْرًا(٢).

أَتَدْرُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا المَكْرُ؟، هُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْن -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ ﴾ دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ للهِ مَكْرًا، وَالمَكْرُ هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَىٰ الإِيْقَاعِ بِالخَصْمِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُ »(٣).

وَقَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ-: « بَغَتَ القَوْمَ أَمْرُ اللهِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا عِنْدَ سَلْوَتِهِمْ، وَعِرَّتِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ، فَلاَ تَغْتَرُّوا بِاللهِ »(٤).

---

(١) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٢٥١).
(٢) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٥٧٠).
(٣) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٣٥٨).
(٤)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيْرِ (تَفْسِيْـرُ آيَةِ ٩٥ مِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ).

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الصَّحِيْحَةِ » (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيْهِ مَا يُحِبُّ ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ** وَسَلَّمَ- : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأَنْعَامُ:٤٤] .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُتَابِعُ نِعَمَهُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ مُقِيْمٌ عَلَىٰ مَعَاصِيْهِ ، فَاحْذَرْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ يَسْتَدْرِجُكَ بِهِ » (٢).

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ تَفْسِيْرُ المَكْرِ فِي قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ يَسْتَدْرِجُهُمْ اللهُ بِالنِّعَمِ إِذَا عَصَوْهُ ، وَيُمْلِي لَهُمْ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ أَخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرٍ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ المَكْرِ والخَدِيْعَةِ » (٣).

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴿٥٦﴾ ﴾[الحِجْرُ: ٥٦].

والقُنُوطُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ اسْتِبْعَادُ الفَرَجِ ، وَاليَأْسُ مِنْهُ حَيْثُ يَسْتَبْعِدُ الإِنْسَانُ حُصُولَ مَطْلُوبِهِ أَوْ كَشْفَ مَكْرُوبِهِ وَهُوَ يُقَابِلُ الأَمْنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ،

---

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٤/ ١٤٥)،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«الصَّحِيْحَةِ» (٤١٣).

(٢)انْظُرْ: « الدَّاءَ وَالدَّوَاء» (٧٨) .

(٣) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٥٧١) .

وَكِلاهُمَا ذَنْبٌ عَظِيْمٌ لِمُنَافَاتِه لِكَمَالِ التَّوْحِيْدِ .

وَكَيْفَ يَقْنَطُ الإِنْسَانُ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَقُرْبِ رَحْمَتِهِ وَفَرَجِهِ مَا يَعْلَمُهُ، وَخُلاصَةُ القَوْلِ - أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩** ﴾ .

وَقَوْلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴾ .

وَفِي هَاتَيْنَ الآيَتَيْنِ : مَشْرُوعِيَّةُ الجَمْعِ بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، قَالَ أَهْلُ العِلْمِ : « فَيَجِبُ عَلَىٰ المُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلاً بَيْنَ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، لاَ يَرْجُو فَقَطْ حَتَّىٰ يَأْمَنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، وَلاَ يَخَافُ فَقَطْ حَتَّىٰ يَيأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، بَلْ يَكُونُ مُعْتَدِلاً »(١) .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ (٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: « **أَكْبَرُ الكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ** » .

فَقَوْلُهُ : « **أَكْبَرُ الكَبَائِرِ** » فِي هَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ الذُّنُوبَ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ ، وَ الكَبَائِرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَخْتَلِفُ ؛ بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ ، كَمَا

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (٢/ ١٧) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٤٦٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ (٨٧٨٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[(١)] ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟، قَالَ : «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** » ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ : « **أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ** » ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ : « **أَنْ تَزْنِي بِحَلِيْلَةِ جَارِكَ** » .

فَقَوْلُهُ : « **الإِشْرَاكُ بِاللهِ** » هُوَ أَكْبَرُ الكَبَائِرِ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ - : « الشِّرْكُ بِاللهِ هَضْمٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ ، وَتَنَقُّصٌ لِلإِلَهِيَّةِ وَسُوءُ ظَنٍّ بِرَبِّ العَالَمِيْنَ » .

وَقَالَ : « أَخْبَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَنَّ القَصْدَ بِالخَلْقِ وَالأَمْرِ أَنْ يُعْرَفَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَيُعْبَدَ وَحْدَهُ لا يُشْرَكَ بِهِ ، وَأَنْ يَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ، وَهُوَ العَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [الحَدِيْدُ : ٢٥].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسَلَهُ ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَهُوَ العَدْلُ ، وَمِنْ أَعْظَمِ القِسْطِ التَّوْحِيْدُ ، وَهُوَ رَأْسُ العَدْلِ وَقِوَامُهُ ، وَأَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لُقْمَانُ:١٣] .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٧٦١) ، ومُسْلِمٌ (٨٦) .

فَالشِّرْكُ أَظْلَمُ الظُّلْمِ ، وَالتَّوْحِيْدُ أَعْدَلُ العَدْلُ ، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا المَقْصُودِ فَهُوْ أَكْبَرُ الكَبَائِرِ ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ : « فَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ مُنَافِيًا بِالذَّاتِ لِهَذَا المَقْصُودِ كَانَ أَكْبَرَ الكَبَائِرِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ ، وَحَرَّمَ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ كُلِّ مُشْرِكٍ ، وَأَبَاحَ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ لِأَهْلِ التَّوْحِيْد ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ عَبِيْدًا لَهُمْ لَمَّا تَرَكُوا القِيَامَ بِعُبُودِيَّتِهِ ، وَأَبَىٰ اللهُ أَنْ يَقْبَلَ لِمُشْرِكٍ عَمَلاً ، أَوْ يَقْبَلَ فِيْهِ شَفَاعَةً أَوْ يُجِيْبَ لَهُ فِي الآخِرَةِ دَعْوَةً ، أَوْ يَقبَلَ لَهُ رَجَاءً ، فَإِنْ المُشْرِكَ أَجْهَلُ الجَاهِلِيْنَ بِاللهِ ، حَيْثُ جَعَلَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نِدًّا ، وَذَلِكَ غَايَةُ الجَهْلِ ، كَمَا أَنَّهُ غَايَةُ الظُّلْمِ ، وَإِنْ كَانَ المُشْرِكُ فِي الوَاقِعِ لَمْ يَظْلِمْ رَبَّهُ وَإِنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهِ »[1].

وَقَوْلُهُ : «**وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ** » .

وَهُوَ إِقَامَةُ العَبْدِ عَلَىٰ الذَّنْبِ يَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ المَغْفِرَةَ ، فَلَا يُبَالِي بِمَا تَرَكَ مِنَ الوَاجِبَاتِ وَفَعَلَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ لِعَدَمِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ بِمَا فَعَلَ أَوْ تَرَكَ .

كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩** ﴾ [الأَعْرَافُ:٩٩] .

وَمَعْنَىٰ الآيَاتِ أَنَّ اللهَ لَمَّا ذَكَرَ حَالَ أَهْلِ القُرَىٰ المُكَذِّبِيْنَ لِلرُّسُلِ المُتَمَادِيْنَ فِي الكُفْرِ وَالمَعَاصِي ، ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ هُوَ الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ وَعَدَمُ الخَوْفِ مِنْهُ ، وَمَكْرُ اللهِ هُوَ أَنَّهُ إِذَا عَصَاهُ العَبْدُ وَأَغْضَبَهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ

(١) انْظُرْ : « الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ» (١٠٩) .

بِأَشْيَاءَ يَظُنُّ العَبْدُ أَنَّهَا مِنْ رِضَا اللهِ عَنْهُ، وَهِيَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُ، فَهَؤُلَاءِ الكَفَرَةُ آمَنُوا مَكْرَ اللهِ بِهِمْ لَمَّا اسْتُدْرِجُوا بِالسَّرَّاءِ وَالنِّعَمِ وَعَصَوا رُسُلَهُمْ، وَتَمَادَوا فِي المَعَاصِي حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمُ اللهُ، وَحَذَّرَ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِمْ فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٠٠] (١).

وَقَوْلُهُ: «**وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».

وَالمُرَادُ بِالقُنُوطِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَسْتَبْعِدَ رَحْمَةَ اللهِ وَيَسْتَبْعِدَ حُصُولَ مَطْلُوبِهِ وَقَبُولَ تَوْبَتِهِ وَهُوَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ، وَجَهْلٌ بِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَهَذَا كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَقَوْلُهُ: «**وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**».

أَيْ قَطْعُ الرَّجَاءِ وَالأَمَلِ مِنَ اللهِ فِيمَا يَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ، وَذَلِكَ إِسَاءَةُ ظَنٍّ بِاللهِ، وَجَهْلٌ بِهِ وَبِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَجُودِهِ وَمَغْفِرَتِهِ (٢).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يُوسُفُ: ٨٧].

أَمَّا المُؤْمِنُونَ فَلَا يَيْأَسُونَ مِنْ رَوْحِ اللهِ مَهْمَا بَلَغَ بِهِمُ الكَرْبُ وَالشِّدَّةُ،

(١) «الإِرْشَادُ إِلَىٰ صَحِيحِ الاعْتِقَادِ» لِلْفَوْزَانِ (١/ ٧١).
(٢) انْظُرْ: «فَتْحَ المَجِيدِ» (٥٧٤).

لِعِلْمِهِمْ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَقُرْبِ فَرَجِهِ ، وَقُرْبِ رَحْمَتِه، فَهُمْ لاَ يَيْأَسُونَ مِنْ رَوْحِ اللهِ مَهْمَا اشْتَدَّتْ بِهِمْ الخُطُوبُ ، وَضَاقَ بِهِمْ الحَالُ، بَلْ كُلَّمَا اشْتَدَّ بِهِمْ الخَطْبُ عَظُمَ رَجَاؤُهُمْ بِاللهِ [1] .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ الْمُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ٧٦) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مِنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**تَحْرِيْمِ الأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ والقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مِنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ**».

الصَّبْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- الحَدِيْثُ عَنْهُ ذُو شُجُونٍ.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ-: «ذَكَرَ اللهُ الصَّبْرَ فِي تِسْعِيْنَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ»[1].

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[2]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**».

---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ» (٢/ ١٥٢).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٣).

وَالضِيَاءُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ النُّورُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيْهِ نَوْعُ حَرَارَةٍ وإِحْرَاقٌ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يُونُس:٥] ، وَلَمَّا كَانَ الصَّبْرُ شَاقًّا عَلَىٰ النُّفُوس كَانَ ضِيَاءً»[1].

وَلَيْسَ هُنَاكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَطَاءٌ يُعْطِيْهِ اللهُ لِعَبْدِهِ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ.

كَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْن»[2] ، مِنْ حَدِيْث أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** » .

وَالصَّبْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الإِيْمَانِ بِاللهِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التَّغَابُن:١١].

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «تَفْسِيْرِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[3]، عَنْ عَلْقَمَةَ تِلْمِيْذِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ : « هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ المُصِيْبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ » .

وَالآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ بَعْضُ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ التَّغَابُن ، وَأَوَّلُهَا قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

---

(١) «جَامِعُ العُلُوم وَالحِكَم» (٢٣) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٦٩) ، ومُسْلِمٌ (١٠٥٣) .

(٣) ذَكَرَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّغَابُنِ آيَةُ (١١)»، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيْرِهِ» (٢/ ٢٩٥).

يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التَّغَابُن:١١].

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾ يَعْنِي: أَنَّ جَمِيْعَ المَصَائِبِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالنَّاسِ مِنْ أَوَّلِ الخَلِيْقَةِ إِلَىٰ آخِرِهَا ، فَإِنَّ اللهَ قَدَّرَهَا ، لَيْسَ هُنَاكَ مُصِيْبَةٌ تَحْدُثُ فِي العَالَمِ إِلَّا وَقَدْ قَدَّرَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾، أَيْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ؛ لأَنَّ إِذْنَ اللهِ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : إِذْنٌ قَدَرِيٌّ كَوْنِيٌّ ، مِثْلُ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [البَقَرَةُ: ١٠٢] ، أَيْ : بِتَقْدِيْرِهِ وَمَشِيْئَتِهِ .

القِسْمُ الثَّانِي: الإِذْنُ الشَّرْعِيُّ مِثْلُ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾ [البَقَرَةُ: ٢١٣]، أَي : بِشَرْعِهِ [(١)].

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ**» .

فَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ** » أَيْ : الكُفْرُ الأَصْغَرُ .

---

(١) «إِعَانَةُ المُسْتَفِيْدِ» لِلفَوْزَانِ (٢/ ٨١) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٧) .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ** » أَيْ : عَيْبُهُ أَوْ نَفْيُهُ، وَيَدْخُلُ فِيْهِ أَنْ يُقَالَ : هَذَا لَيْسَ ابْنُ فُلَانٍ ، مَعَ ثُبُوتِ نَسَبِهِ شَرْعًا .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ** » أَيْ : يَبْكِي الإِنْسَانُ عَلَىٰ المَيِّتِ بُكَاءً عَلَىٰ صِفَةِ نَوْحِ الحَمَامِ ؛لِأَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّضَجُّرِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ [١].

وَيَدْخُلُ فِيْهِ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالنَّدْبِ وَتَعْدَادِ فَضَائِلِهِ ، لِمَا فِيْهِ مِنَ السَّخَطِ عَلَىٰ القَدَرِ المُنَافِي لِلصَّبْرِ ، كَقَوْلِ النَّائِحَةِ : (وَاعَضُدَاهُ وَانَاصِرَاهُ) وَنَحْوِ ذَلِكَ [٢].

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيْحَةِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَفَّىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » [٣].

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدِ - أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا** » .

---

(١) انْظُرْ: « القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ١١٣) .

(٢) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٥٨١) .

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٩٦) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٢١١٠) .

أَيْ: يَصُبُّ البَلَاءُ والمَصَائِبَ عَلَيْهِ، لِمَا فَرَّطَ مِنَ الذُّنُوبِ مِنْهُ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ يُوَافِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَفَّىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

أَيْ: أَخَّرَ عَنْهُ العُقُوبَةَ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُستَفَادُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- الرَّجَاءُ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ فِيْمَا يَقْضِيْهِ اللهُ لَنَا، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾**﴾ [البَقَرَةُ:٢١٦][١].

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»[٢].

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ -اخْتَبَرَ صَبْرَهُمْ- فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**».

---

(١) انْظُرْ: «فَتْحَ المَجِيْدِ» (٥٨٤-٥٨٥) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.
(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٩٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٢١١٠).

أَيْ : مَنْ رَضِيَ بِقَدَرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ تَسَخَّطَ مِنْ قَدَرِ اللهِ ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ - نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِ اللهُ (١) .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهَّدُ» (١٥٥) .

الخُطْبَةُ الأُولَى[1]

مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَمِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَلْمِهِ الدُّنْيَا

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ وَمِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا**» .

وَالرِّيَاءُ هُوَ إِظْهَارُ العِبَادَةِ لِقَصْدِ رُؤْيَةِ النَّاسِ لَهَا ، فَيَحْمَدُونَ صَاحِبَهَا، وَالفَرْقُ بَيْنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ، أَنَّ الرِّيَاءَ لِمَا يُرَىٰ ، كَالصَّلَاةِ والسُّمْعَةَ لِمَا يُسْمَعُ كَالقِرَاءَةِ ، وَالوَعْظِ وَالذِّكْرِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّحَدُّثُ بِمَا عَمِلَهُ » .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكَهْفُ:١١٠].

فَفِي هَذِهِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نَبِيَّهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ وَأَنَّهُ لَيْسَ رَبًّا وَلَا مَلَكًا .

وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الَّذِينَ يُغْلُونَ فِي حَقِّ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ مِنْ دُونِ اللهِ ، أَوْ يَقُولُونَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ

مِنْ نُورٍ ، وَهَذَا مِنَ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الغُلُوِّ .

وَأَكَّدَ هَذِهِ البَشَرِيَّةَ بِقُولِهِ : ﴿ مِّثْلُكُمْ ﴾ في أُمُورِ البَشَرِيَّةِ ، فَهُوَ بَشَرٌ ، يَجُوعُ، وَيَمْرَضُ وَيَتْعَبُ فِي السَّفَرِ مِثْلَ البَشَرِ وَتَجْرِي عَلَيْهِ العَوَارِضُ البَشَرِيَّةُ ، كَمَا تَجْرِي عَلَىٰ البَشَرِ ، فَيُصِيْبُهُ الهَمُّ ، وَيُصِيْبُهُ الحُزْنُ وَيُصِيْبُهُ مَا يُصِيْبُ البَشَرَ .

وَ قَوْلُهُ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ يَعْنِي مَعْبُودُكُمْ بِحَقٍّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ وَحْدَهُ وَمَا سِوَاهُ فَهُوَ مَعْبُودٌ بِالبَاطِلِ ، كَمَا قَالَ – تَعَالَىٰ – :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحَجُّ:٦٢] .

فَهَذَا –أَيْضًا– دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ خُلاصَةَ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالَّذِي جَاءَ بِهِ وَبَدَأَ بِهِ هُوَ التَّوْحِيْدُ وَإِنْكَارُ الشِّرْكِ [١] .

وَكُلُّ الرُّسُلِ أَوَّل مَا يَبْدَءُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ وَإِنْكَارِ الشِّرْكِ ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النَّحل: ٣٦].

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ أَيْ يَخَافُهُ ، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ رُؤْيَتَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – يَوْمَ القِيَامَةِ [٢] .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ أَيْ أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَحْصُلَ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا .

---

(١) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٥٩١) .

(٢) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَىٰ » (٦/ ٤٦٢) .

والعَمَلَ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يَكُونُ صَالِحًا إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَ فِيْهِ شَرْطَانِ :

الشَّرْطُ الأَوَّلُ : الإِخْلَاصُ للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنَ الرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ وَمِنْ جَمِيْعِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ .

الشَّرْطُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِسُنَّةِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَالِيًا مِنَ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ وَالخُرَافَاتِ (١).

وَلاَ خِلَافَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ الإِخْلَاصَ وَالمُتَابَعَةَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَرْطٌ لِصِحَّةِ العَمَلِ وَقُبُولِهِ ، كَمَا قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [المُلْكُ : ٢] .

قَالَ : أَخْلَصُهُ ، وَأَصْوَبُهُ . قِيْلَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ ؟ .

قَالَ :« إِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا ، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ ، وَ إِذَا كَانَ صَوَابًا ، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا ، فَالخَالِصُ مَا كَانَ للهِ ، وَالصَّوَابُ مَا كَانَ عَلَىٰ السُّنَّةِ » (٢).

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَيْ كَمَا أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ سِوَاهُ ، فَكَذَلِكَ

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ٩٣) .

(٢) «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَمِ » (١/ ٧٢) .

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ العِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، فَكَمَا تَفَرَّدَ بِالإِلَهِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يُفَرَّدَ بِالعُبُودِيَّةِ ، فَالعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الخَالِصُ مِنَ الرِّيَاءِ المُقَيَّدُ بِالسُّنَّةِ »(١).

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ »(٢)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **قَالَ - تَعَالَىٰ - : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيْهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** » .

قَوْلُهُ : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِيَ فِيْهِ غَيْرِي**» أَيْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ غَيْرِي مِنَ المَخْلُوقِيْنَ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ .

وَفِي لَفْظٍ : « **فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ** »(٣).

قَالَ الطِّيِّبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- : « الضَّمِيْرُ المَنْصُوبُ فِي قَوْلِهِ : «**تَرَكْتُهُ**» يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ العَمَلِ »(٤).

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَاعْلَمْ أَنَّ العَمَلَ لِغَيْرِ اللهِ أَقْسَامٌ: فَتَارَةً يَكُونُ رِيَاءً مَحْضًا كَحَالِ المُنَافِقِيْنَ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّسَاءُ : ١٤٢].

---

(١) انْظُرْ : « الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ » (١٠٩) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٥) .

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةْ (٤٢٠٢) .

(٤) « شَرْحُ المِشْكَاةِ» رَقَمُ الحَدِيْثِ (٥٣١٥) .

وَهَذَا الرِّيَاءُ المَحْضُ لاَ يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ ، وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الوَاجِبَةِ ، أَوْ الحَجِّ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ، أَوْ الَّتِي يَتَعَدَّىٰ نَفْعُهَا ؛ فَإِنَّ الإِخْلَاصَ فِيْهَا عَزِيْزٌ ، وَهَذَا العَمَلُ لاَ يَشُكُّ مُسْلَمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ المَقْتَ مِنَ اللهِ وَالعُقُوبَةَ .

وَتَارَةً يَكُونُ العَمَلُ للهِ وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ ؛ فَإِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ فَالنُّصُوصُ الصَّحِيْحَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ [(١)].

وَأَمَّا إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَبَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ فَهُوَ مَتَىٰ قَصَدَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ التَّوَصُّلَ إِلَىٰ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا مَثَلَ وَظِيْفَةٍ أَوْ مَرْتَبَةٍ أَوْ مَالٍ وَنَحْوِهِ ، وَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[هُودُ : ١٥-١٦].

فَقَدْ دَلَّتْ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا فَقَط ؛ بِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ رِدَّةً، وَهُوَ يُعْتَبَرُ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ ، لِقَوْلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هُودُ : ١٦].

فَهَذَا وَعِيدٌ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنْ يُشْرِكُ بِاللهِ شِرْكًا أَكْبَرَ ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حُبُوطُ

(١) «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَمِ» شَرْحُ حَدِيْثِ (١) .

العَمَلِ ، وَدُخُولُ النَّارِ وَالخُلُودُ فِيْهَا .

وأَمَّا مَنْ أَرَادَ قَصَدَ الدُّنْيَا لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالآخِرَةِ لِعِلْمِهِ أَنَّهَا هِيَ الحَيَاةُ البَاقِيَةُ ، فَهَذَا إِنَّمَا يَنَالُهُ الوَعِيْدُ وَيَبْطُلُ العَمَلُ الَّذِي قَارَنَهُ ، وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّيْنَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْلَةِ : إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسْ ، وَإِذَا شِيْكَ فَلاَ انْتَقَشَ ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، أَشْعَثٌ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ** » .

أَيْ مِنْ شِدَّةِ عِنَايَتِهِ وَانْشِغَالِهِ بِالجِهَادِ غَيْرِ مُتَفَرِّغٍ لِتَرْجِيْلِ شَعْرِهِ وَدَهْنِهِ وَنَحْوِهِ وَغَيْرِ مُتَفَرِّغٍ لِتَنْظِيْفِ بَدَنِهِ إِذَا كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ ، أَيْ مَغْمُورٌ فِي النَّاسِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ إِخْلاَصِهِ وَصِدْقِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، وَالمُرَادُ بِالسَّاقَةِ مُؤَخِّرَةُ الجَيْشِ ، وَصَاحِبُهَا يَتَتَبَّعُ العَاجِزِيْنَ ، وَيُسْعِفُهُمْ ، وَيُعِيْنُهُمْ لاَ يُكْثِرُ مِنَ الاسْتِئْذَانِ ، بَلْ إِنَّهُ قَدْ يَسْتَأْذِنُ فَلاَ يُؤْذَنُ لَهُ ، وَ يُشَفَّعْ فَلاَ يُشَفَّعُ ، وَيَعْرِضُ الأُمُورَ فَلاَ يُقْبَلُ رَأْيُهُ، وَلاَ تُتَّبَعُ مَشُورَتُهُ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٨٨٦) .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- حَالُ أَصْحَابِ الطَّاعَةِ الْمُتَطَلِّعِيْنَ لِلثَّوَابِ الأُخْرَوِيِّ فَلاَ يَتَحَرَّوْنَ مَنَاصِبَ الأُمُورِ وَمَعَالِيَهَا ، وَلاَ التَّقَدُّمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ وَالوُجَهَاءِ ، فَلِهَذَا لاَ يَعْرِفُونَهُمْ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ إِخْلاَصِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ بِعَمَلِهِمْ الآخِرَةِ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ في تَحْرِيْمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا وَالتَّحْذِيْرُ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ

الحَمْدَ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِيْ الرِّيَاءِ وَمِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَلْمِهِ الدُّنْيَا**» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : «**مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِيْ تَحْرِيْمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا وَالتَّحْذِيْرُ مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-**» .

أَخْرَجَ ابْنُ حَجَرٍ في «المَطَالِبِ العَالِيَةِ»[1] ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ رَدَّ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «المَطَالِبِ العَالِيَةِ» (٧/ ٩٦) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ .

وَاحْتَجَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : « **مِنْ هَا هُنَا تُؤْتَوْنَ نُجِيُئكُمْ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَجِيْئُونَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ** » .

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- :

وَالمُرَادُ بِالعُلَمَاءِ : العُلَمَاءُ بِشَرْعِ اللهِ ، وَبِالأَمَرَاءِ : أُولُوا الأَمْرِ المُنَفِّذُونَ لَهُ، وَهَذَانِ الصِّنْفَانِ هُمَا المَذْكُورَانِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النِّسَاءِ :٥٩] .

فَجَعَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- طَاعَتَهُ مُسْتَقِلَّةً ، وَطَاعَةَ رَسُولِهِ مُسْتَقِلَّةً، وَطَاعَةَ أُوْلِي الأَمْرِ تَابِعَةً ، وَلِهَذَا لَمْ يُكَرِّرْ الفِعْلَ ﴿ أَطِيعُواْ ﴾ فَلاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ .

وَقَوْلُهُ « فِي تَحْرِيْمِ مَا أَحَلَّ اللهُ » أَيْ فِي جَعْلِهِ حَرَامًا ، أَيْ : عَقِيْدَةً وَعَمَلاً أَوْ تَحْلِيْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ ، أَيْ : جَعْلُهُ حَلاَلاً عَقِيْدَةً أَوْ عَمَلاً (١).

وَأَمَّا أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فَهُوَ قَالَهُ لِمَنْ قَالَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لاَ يَرَيَانِ التَّمَتُّعَ بِالعُمْرَةِ إِلَىٰ الحَجِّ ، وَ يَرَيَانِ أَنَّ إِفْرَادَ الحَجِّ أَفْضَلُ ، أَوْ مَا هُوَ مَعْنَىٰ هَذَا ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَىٰ أَنَّ التَّمَتُّعَ

---

(١) « القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ١٥٠) .

بِالعُمْرَةِ إِلَىٰ الحَجِّ وَاجِبٌ ، وَيَقُولُ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] : « إِذَا طَافَ بِالبَيْتِ وَسَعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ فَقَدْ حَلَّ مِنْ عُمْرَتِهِ شَاءَ أَمْ أَبَىٰ » .

وَذَلِكَ لِحَدِيْثِ سُرَاقَةُ بْنِ مَالِكٍ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢]، حِيْنَ أَمَرَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً وَيُحِلُّوا إِذَا طَافُوا بِالبَيْتِ وَسَعَوا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ ، فَقَالَ سُرَاقَةُ : يَا رَسُولُ اللهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلأَبَدِ؟، قَالَ: « **بَلْ لِلأَبَدِ** » .

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ مُخَالَفَةُ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ ، فَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ أَلَّا يُطَاعُوا فِي مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللهُ- : « نَظَرْتُ فِي المُصْحَفِ فَوَجَدْتُ طَاعَةَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثَلاثٍ وَثَلاثِيْنَ مَوْضِعًا ، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ ﴾ [النُّورُ:٦٣] .

أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ ، الفِتْنَةُ الشِّرْكُ ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٣٩٦) ، ومُسْلِمٌ (١٢٤٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٧٨٥) ، ومُسْلِمٌ (١٢١٦) .

ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النِّسَاءُ:٦٥] [(١)] .

وَمَوْطِنُ الشَّاهِدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ تَرْكَ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالأَخْذَ بِأَقْوَالِ العُلَمَاءِ وَالأُمَرَاءِ المُخَالِفَةِ لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ سَبَبُ الفِتْنَةِ أَوْ العَذَابِ الأَلِيْمِ .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ حَذَّرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنَ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ غَيْرِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٠-٦١].

وَسَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِهِ بِسَنَدٍ مُرْسَلٍ صَحِيْحٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ : كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ : نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ؛

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي « الإِنَابَةِ » رَقَمْ (٩٧) ، بِإِسَنَادٍ صَحِيْحٍ .

لأَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرَّشْوَةَ ، وَقَالَ المُنَافِقُ نَتَحَاكَمْ إِلَىٰ اليَهُودِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُوْنَ الرَّشْوَةَ ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ ، فَنَزَلَتْ الآيَة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ... ﴾ .

فَهَذِهِ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَالإِيمَانَ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ بِدَلِيْلِ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ الحَوَادِثُ والخُصُومَاتُ طَلَبُوا التَّحَاكُمَ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ ، وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البَقَرَةُ : ١١].

فَدَلَّتْ الآيَةُ بِسِيَاقِهَا عَلَىٰ أَنَّ تَحْكِيْمَ شَرْعِ اللهِ مِنَ الإِصْلَاحِ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ تَحْكِيْمَ غَيْرِ شَرْعِ اللهِ مِنَ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ مَعَ إِفْسَادِهِمْ لِجَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ حَتَّىٰ انْقَلَبَتْ عَلَيْهِمْ الأُمُورُ فَصَارَ الفَسَادُ فِي نَظَرِهِمْ صَلَاحًا ، وَلِهَذَا قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأَعْرَافُ:٥٦].

وَصَلَاحُ الأَرْضِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ شَرْعِ اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَفَسَادُهَا بِمُخَالَفَةِ شَرْعِ اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المَائِدَةُ : ٥٠].

أَيْ : يُرِيْدُ هَؤُلاَءِ المُتَحَاكِمُونَ إِلَىٰ اليَهُودِ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّوَاغِيْتِ التَّحَاكُمَ إِلَىٰ حُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَهَلْ هُنَاكَ حُكْمٌ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللهِ ؟! ، فَهُوَ عَالِمٌ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ ، وَالعَالِمُ بِمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ ، فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ [١].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) انْظُرْ : « شَـرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- (٢٧٣) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]

مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**» .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ إِثْبَاتُ أَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِهِ عَلَىٰ الوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مِنْ غَيْرِ تَحْرِيْفٍ وَلاَ تَعْطِيْلٍ ، وَلاَ تَكْيِيْفٍ ، وَلاَ تَمْثِيْلٍ، وَأَلَّا يُغْتَرَّ بِأَقْوَالِ أَهْلِ الاعْتِزَالِ ، وَ أَهْلِ البَاطِلِ ، بَلْ تَجِبُ الأَخْذُ بِمَا قَالَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيْلَهُمْ وَهُوَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ؛ جَاؤُهُ بِإِثْبَاتِ أَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِهِ عَلَىٰ الوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ ، وَهَكَذَا فَعَلَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَتَابِعُوهُمْ أَمَرُّوا آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَهَا كَمَا جَاءَتْ وَأَثْبَتُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ عَمَلاً بِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإِخْلَاصُ].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤ ﴾ [النَّحْلُ: ٧٤].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشُّوْرَىٰ: ١١].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مَرْيَمُ : ٦٥] أَيْ: لاَ سَمِيَّ لَهُ وَلاَ كُفْءَ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، وَأَمَّا جَحْدُ شَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَالجَحْدُ هُوَ الإِنْكَارُ .

وَ الإِنْكَارُ أَنْوَاعٌ :

الأَوَّلُ : إِنْكَارُ تَكْذِيبٍ ، وَهَذَا كُفْرٌ بِلاَ شَكٍّ ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْكَرَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ أَوْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ الثَّابِتَةِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: لَيْسَ للهِ يَدٌ ، أَوْ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَسْتَوِ عَلَىٰ عَرْشِهِ ، أَوْ لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِيْنَ ؛ لِأَنَّ تَكْذِيبَ خَبَرِ اللهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ المِلَّةِ بِالإِجْمَاعِ .

النَّوْعُ الثَّانِي: إِنْكَارُ تَأْوِيلٍ وَهُوَ أَنْ لاَ يُنْكِرَهَا وَلَكِنْ يَتَأَوَّلَهَا إِلَىٰ مَعْنَىٰ يُخَالِفُ ظَاهِرَهَا ، وَهَذَا نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ لِلتَّأْوِيلِ مُسَوِّغٌ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَهَذَا لاَ يُوجِبُ الكُفْرَ .

النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ لاَ مُسَوِّغَ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ، فَهَذَا حُكْمُهُ الكُفْرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مُسَوِّغٌ صَارَ فِي الحَقِيْقَةِ تَكْذِيبًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ : المُرَادُ بِقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ- : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القَمَرُ:١٤] .

تَجْرِي بِأَرْضِنَا ، فَهَذَا كَافِرٌ لِأَنَّهُ نَفَاهَا نَفْيًا مُطْلَقًا ، فَهَذَا مُكَذِّبٌ ، وَلَوْ

قَالَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المَائِدَةُ:٦٤] المُرَادُ بِيَدَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، لِأَنَّهُ لاَ مُسَوِّغَ لَهُ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ، وَلاَ هُوَ مُقْتَضِي الحَقِيْقَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَهُوَ مُنْكِرٌ وَ مُكَذِّبٌ لَكِنْ إِنْ قَالَ: المُرَادُ بِاليَدِ النِّعْمَةُ أَوْ القُوَّةُ فَلاَ يَكْفُرُ ؛ لِأَنَّ اليَدَ فِي اللُّغَةِ تُطْلَقُ بِمَعْنَيْهِمَا (١) .

وَقَدْ أَنْكَرَتْ الجَهْمِيَّةُ الأَسْمَاءَ والصِفَاتِ ، وَتَأَوَّلُوا الأَسْمَاءَ حَتَّىٰ صَارُوا مُعَطِّلَةً ، وَمُقْتَضَىٰ قَوْلِهِمْ نَفْيُ وُجُودِ اللهِ بِالكُلِّيَّةِ ، وَلِهَذَا حَكَمَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالكُفْرِ ، وَالوَاجِبُ قَتْلُهُمْ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَيُسْتَتَابُوا ، ذَلِكَ لِإِنْكَارِهِمْ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ العَزِيْزِ وَالسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ وَالإِجْمَاعِ (٢) .

وَالفَرْقُ بَيْنَ أَسْمَاءِ اللهِ وصِفَاتِهِ –أَيُّهَا النَّاسُ– هُوَ أَنَّ الاسْمَ مَا تَسَمَّىٰ بِهِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– وَالصِّفَةَ مَا اتَّصَفَ بِهَا .

قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرَّعْدُ : ٣٠].

فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَهُمۡ ﴾ أَيْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ .

﴿ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ المُرَادُ –أَيُّهَا النَّاسُ– أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِهَذَا الاسْمِ لاَ بِالمُسَمَّىٰ ، فَهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ ، قَالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [لُقْمَانُ:٢٥].

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ١٨٤) .
(٢) انْظُرْ: « شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ –رَحِمَهُ اللهُ – (٢٧٧) .

وَفِي «صَحِيْح البُخَارِيِّ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ سُهَيْلِ بنْ عَمْرُو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَكْتُبَ الصُّلْحَ فِي غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ: « **اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ** »، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هِيَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ».

فَهَذَا الإِنْكَارُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِنْكَارُ جُحُودٍ وَعِنَادٍ وَتَعَنُّتٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)** ﴾ [الفُرْقَانُ: ٦٠].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ إِنْكَارَ قُرَيْشٍ -أَيُّهَا النَّاسُ- لِهَذَا الاسْمِ كَانَ جُحُودًا وَعِنَادًا وَتَعَنُّتًا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ هَذَا الاسْمَ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم** ﴾ [الزُّخْرُفُ: ٢٠].

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الاسْمُ -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي بَعْضِ أَشْعَارِ الجَاهِلِيَّةِ، كَقَوْلِ سَلَامَة بْنِ جُنْدُب الطَّهَوِي:

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا إِذْ عَجِلْنَا عَلَيْكُمْ ... وَمَا يَشَأْ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ [٢]

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ تَعَدُّدَ الأَسْمَاءِ يَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَةِ المُسَمَّىٰ، واللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لَهُ أَسْمَاءٌ كَثِيْرَةٌ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٨١).
(٢) «المَنْهَجُ الأَسْمَىٰ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ» مُحَمَّد النَّجْدِيُّ (١/ ٧٦).

ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٨٠].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طَهَ : ٨].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [طَهَ : ٨] ، فَاللهُ لَهُ أَسْمَاءٌ كَثِيْرَةٌ كُلُّهَا حُسْنَىٰ ، يَعْنِي تَامَّةً عَظِيْمَةً ، تَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَعَانٍ جَلِيْلَةٍ [(١)].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مَائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ** » ، وَفِي رُوَايَةٍ «**مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ** » .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الصَّحِيْحَة» [(٣)] ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَانَ يَدْعُو: « **اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابْنُ عَبْدِكَ**

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ الْمُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٤١) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٣٦) ، ومُسْلِمٌ (٢٦٧٧) .

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٣٩١) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «الصَّحِيْحَةِ » (٢٥٨) .

ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ... » .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ كَثِيْرَةٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، وَكَثْرَةُ الأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ تَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَةِ المُسَمَّىٰ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾[الأَعْرَافُ: ١٨٠]، أَيْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِهَا فِي دُعَاءِكُمْ كَأَنْ تَقُولُ : يَا رَحْمَنُ ارْحَمْنِي ، يَا غَفُور اغْفِرْ لِي ، يَا تَوَّابُ تُبْ عَلَيَّ ، يَا رَزَّاقُ ارْزُقْنِي ، وَهَكَذَا .

﴿ **وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ** ﴾أَيْ : اتْرُكُوا الَّذِيْنَ يُنْكِرُونَهَا ، أَوْ يُنْكِرُونَ مَعَانِيْهَا ، وَيُحَرِّفُونَهَا ، وَاهْجُرُوهُمْ للهِ حَتَّىٰ يَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ .

وَأَيْضًا - فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- تَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ **سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠** ﴾ .

وَلِهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ-يَجِبُ أَنْ نُحَدِّثَ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ وَ بِمَا يَعْرِفُونَ حَتَّىٰ لاَ يُكَذِّبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ؛ فَبَعْضُ النَّاسِ لاَ يَعْرِفُ العَرَبِيَّةَ فَيَفْهَمُ الكَلاَمَ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ المُرَادِ ، لِهَذَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [١]، مِنْ حَدِيْثِ عَلِيِّ بْنِ طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ : «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٧) .

يَفْهَمُونَ ، أَتُرِيْدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ » .

وَكَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَكُونُ فَهِمَ الأَمْرَ عَلَىٰ غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ لِعَجَمَتِهِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ حِيْنَ قَالَ : إِنَّ العُصَاةَ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، لِأَنَّ اللهَ أَوْعَدَهُمْ بِذَلِكَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ اللهَ يُخْلِفُ إِيْعَادَهُ ، وَلاَ يُخْلِفُ مَوْعِدَهُ ؛ لِإِنَّ إِخْلَافَ الإِيْعَادِ كَرَمٌ وَجُودٌ ، وَأَمَّا إِخْلَافُ المَوْعِدِ فَلؤْمٌ ، وَلِهَذَا يَتَنَزَّهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْهُ ، وَقَالُوا لَهُ : مِنْ عَجَمَتِكَ أُوتِيْتَ أَيْ ظَنَنْتَ إِخْلَافَ الإِيْعَادِ أَمْرًا مُسْتَقْبَحًا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ ... لَمُخْلِفُ إِيْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

فَهَذَا مَدْحٌ .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلاً انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيْثًا عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلاَءِ ؟ ، يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ » .

فَقَوْلُهُ : «مَا فَرَقُ هَؤُلاَءِ ؟» أَيْ : مَا خَوْفُهُمْ وَجَزَعُهُمْ ، أَيْ : مَا أَوْجَبَ لَهُمْ الخَوْفَ والجَزَعَ ؟؟!! .

وَقَوْلُهُ : «يَجِدُونَ رِقَّةً» أَيْ : أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الآيَاتِ المُحْكَمَةَ مِنَ القُرْآنِ

وَالسُّنَّةِ رِقَّةً وَخُشُوعًا ، وَ إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمْ ، وَهَلَكُوا عِنْدَهَا بِالجَزَعِ وَالإِنْكَارِ ، وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ قَدِيْمٌ وَأَنَّهُ وُجِدَ فِي زَمَنٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَيَهْلِكُونَ عِنْدَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ الَّتِي تَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ بِإِنْكَارِهَا ، وَالشَّكُّ فِيْهَا وَالرَّيْبِ ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ إِنْكَارَ مَا بَيَّنَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ أَوْ الشَّكُّ فِيْهِ هَلَاكٌ .

وَالحَقُّ -أَيُّهَا النَّاسُ- الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ فَهِمْتَهُ، فَالحَمْدُ للهِ ، وَإِلَّا فَكِلْهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ ،وَقُلْ اللهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ ، وَاسْأَلْ أَهْلَ العِلْمِ، وَإِيَّاكَ وَالإِنْكَارَ وَالجَزَعَ فَإِنَّهُ طَرِيْقُ المُنَافِقِيْنَ وَالهَالِكِيْنَ .

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ السُّنَّةِ وَيَرِقُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ ، وَإِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِمْ الآيَاتُ رَدُّوهَا إِلَىٰ المُحْكَمَاتِ وَالبَيِّنَاتِ، وَفَسَّرُوهَا بِمَا اتَّضَحَ مِنْ حُكْمِ اللهِ وَلَا يَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، وَلَا يَشُكُّونَ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ المُتَشَابِهِ ، لَا يُخَالِفُ المُحْكَمَ ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ المُحْكَمِ ، وَيَكِلُونَ مَا جَهِلُوا إِلَىٰ العَالِمِ بِالكَيْفِيَّةِ وَهُوَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَأَمَّا مَعَانِيْهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- فَمَعْلُومَةٌ مِنْ طَرِيْقِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي خَاطَبَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- النَّاسَ .

وَلِذَا قَالَ مَالِكٌ حِيْنَ سُئِلَ كَيْفَ اسْتَوىٰ؟،قَالَ: الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ ، أَيْ : عَنْ الكَيْفِيَّةِ [(١)] .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) «شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» لابْنِ بَازٍ، بَابُ : مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النَّحل: ٨٣].

وَمُنَاسَبَةُ هَذِهِ الآيَةِ لِلتَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ مَنْ أَضَافَ نِعْمَةَ الخَالِقِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، فَقَدْ جَعَلَ مَعَهُ شَرِيْكًا فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ لأَنَّهُ أَضَافَهَا إِلَىٰ السَّبَبِ عَلَىٰ أَنَّهُ فَاعِلٌ، هَذَا مِنْ وَجْهٍ، وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِالشُّكْرِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةٌ مِنَ العِبَادَاتِ وَتَرْكُ الشُّكْرِ مُنَافٍ لِلتَّوْحِيْدِ كَمَا قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ-[1].

وَمَعْنَىٰ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ -رَحِمَهُ اللهُ- هِيَ المَسَاكِنُ

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٠٢).

وَالأَنْعَامُ وَمَا يُرْزَقُونَ مِنْهَا ، وَالسَّرَابِيْلُ مِنَ الحَدِيْدِ ، والثِيَابِ يَعْرِفُونَ هَذَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهُ بِأَنْ يَقُولُوا : كَانَ لِآبَائِنَا فَوَرَّثُونَا إِيَّاهُ »[١] .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْن -رَحِمَهُ الله- : « ظَاهِرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ - أَيْ كَلِمَةُ مُجَاهِدٍ- أَنَّهُ لاَ شَيْءَ فِيْهَا ، فَلَو قَالَ لَكَ وَاحِدٌ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا البَيْتُ ؟ ، قُلْتُ : وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي ، فَلَيْسَ فِيْهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّهُ خَبَرٌ مَحْضٌ .

لَكِنَّ مُرَادَ مُجَاهِدٍ أَنْ يُضِيْفَ القَائِلُ تَمَلُّكَهُ لِلمَالِ إِلَىٰ السَّبَبِ الَّذِي هُوَ الإِرْثُ مُتَنَاسِيًا المُسَبِّبَ الَّذِي هُوَ اللهُ ، فَبِتَقْدِيْرِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْعَمَ عَلَىٰ آبَائِكَ وَمَلَكُوا هَذَا البَيْتَ ، وَبِشَرْعِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- انْتَقَلَ هَذَا البَيْتُ إِلَىٰ مُلْكِكَ عَنْ طَرِيْقِ الإِرْثِ ، فَكَيْفَ تَتَنَاسَىٰ المُسَبِّبَ لِلأَسْبَابِ القَدَرِيَّةِ ، فَتُضِيْفَ الأَمْرَ إِلَىٰ مُلْكِ آبَائِكَ وَإِرْثِكَ إِيَّاهُ ؟!! ، فَمِنْ هُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- صَارَ هَذَا القَوْلُ نَوْعًا مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ -[٢].

وَكَذَلِكَ إِذَا نَسَبَ الإِنْسَانُ رِزْقَهُ إِلَىٰ كَدِّهِ وَحِذْقِهِ ، فَإِنَّ هَذَا جُحُودٌ لِنِعْمَةِ اللهِ؛ لِأَنَّ المَالَ فَضْلٌ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَمَّا الحِذْقُ والكَسْبُ وَمَعْرِفَةُ الصَّنْعَةِ ، فَهَذِهِ أَسْبَابٌ قَدْ تُنْتِجُ مُسَبَّبَاتِهَا ، وَقَدْ لاَ تُنْتِجُ ، فَكَمْ مِنْ حَاذِقٍ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ ، وَكَمْ مِنْ صَانِعٍ يُحْرَمُ مِنَ الرِّزْقِ ، وَلا تُغْنِيْهِ صَنْعَتَهُ شَيْئًا ، فَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَمَّا هَذِهِ فَهِيَ أَسْبَابٌ إِنْ شَاءَ

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِهِ (١٤/ ٣٢٥) وَسَنَدَهُ صَحِيْحٌ إِلَىٰ مُجَاهِدٍ .
(٢) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٠٣) .

اللهُ نَفَعَتْ ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ تَنْفَعْ [١] .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين -رَحِمَهُ اللهُ - : « كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ والسُّنَّةِ -يَذُمُّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مَنْ يُضِيْفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا مَذْمُومًا ؛ لأَنَّهُ لَوْ أَتَىٰ إِلَيْكَ عَبْدُ فُلاَنٍ بِهَدِيَّةٍ مِنْ سَيِّدِهِ فَشَكَرَتَ العَبْدَ دُونَ السَّيِّدِ ، كَانَ هَذَا سُوءَ أَدَبٍ مَعَ السَّيِّدِ وَكُفْرَانًا لِنِعْمَتِهِ ، وَأَقْبَحُ مِنْ هَذَا لَوْ أَضَفْتَ النِّعْمَةَ إِلَىٰ السَّبَبِ دُونَ الخَالِقِ لِمَا يَأْتِي :

١ - أَنَّ الخَالِقَ لِهَذِهِ الأَسْبَابِ هُوَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يَشْكُرَ وَتُضَافَ النِّعْمَةُ إِلَيْهِ .

٢- أَنَّ السَّبَبَ قَدْ لاَ يُؤَثِّرُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ تُمْطَرُوا ، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئًا** » .

٣- أَنَّ السَّبَبَ قَدْ يَكُونُ لَهُ مَانِعٌ يَمْنَعُ مِنْ تَأْثِيْرِهِ ، وَبِهَذَا عُرِفَ بُطْلاَنُ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَىٰ سَبَبِهِ دُوْنَ الالْتِفَاتِ إِلَىٰ الْمُسَبِّبِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - [٣] .

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ الْمُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٤٩) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٠٤) .

(٣) « القَوْلُ الْمُفِيْدُ» (٢/ ٢٠٦) .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمُ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَةُ :٢٢] .

هَذِهِ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- آخِرُ جُزْءٍ مِنْ آيَةٍ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ ، وَأَوَّلُهَا قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البَقَرَةُ :٢١-٢٢] .

قَالَ العُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللهُ- : « هَذَا أَوَّلُ نِدَاءٍ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ذَكَرَ فِي مَطْلَعِ هَذِهِ السُّورَةِ انْقِسَامَ النَّاسِ أَمَامَ القُرْآنِ الكَرِيمِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : الَّذِينَ آمَنُوا بِالقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،وَهُمُ المُتَّقُونَ المَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ- تَعَالَىٰ-: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البَقَرَةُ :٢-٥] .

القِسْمُ الثَّانِي : الَّذِينَ كَفَرُوا بِالقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،وَهُمُ المَذْكُورُونَ فِي

قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة: ٦-٧].

القِسْمُ الثَّالِثُ: الَّذِينَ آمَنُوا بِالقُرْآنِ ظَاهِرًا وَكَفَرُوا بِهِ بَاطِنًا، وَهُمْ المُنَافِقُون، وَهُمْ شَرٌّ مِنَ الكُفَّارِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِالقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِيْهِمْ بِضْعَ عَشْرَةَ آيَةً، بَيْنَمَا ذَكَرَ الكُفَّارَ فِي آيَتَيْنِ، لِأَنَّهُمْ أَخْطَرُ مِنَ الكُفَّارِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٦ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ

وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

[البَقَرَةُ :٦-٢٠] .

هَذِهِ الآيَاتُ كُلُّهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- فِي المُنَافِقِيْنَ وَهُمْ القِسْمُ الثَّالِثُ ، ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بَعْدَ ذَلِكَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ نَادَىٰ النَّاسَ جَمِيْعًا، المُؤْمِنَ والكَافِرَ، والعَرَبِيَّ والعَجَمِيَّ، نَادَاهُمْ جَمِيْعًا، وَأَمَرَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَأَنَّهُ بُعِثَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾

[الأَعْرَافُ : ١٥٨].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفُرْقَانُ:١].

وَوَصَفَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- القُرْآنَ بِأَنَّهُ هُدًىً لِلنَّاسِ ، وَأَنَّهُ هُدَىً لِلعَالَمِيْنَ ، فَرِسَالَتُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَّةٌ لِجَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ ، وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ أَيْ : وَحِّدُوا رَبَّكُمْ ، وَأَفْرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ ؛ لِأَنَّ العَرَبَ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَقْتَ نُزُولِ القُرْآنَ كَثِيْرٌ مِنْهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ لَكِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ ، فَإِذَا كَانَتْ العِبَادَةُ غَيْرَ خَالِصَةٍ لِلهِ فَإِنَّهَا تَكُونُ

عِبَادَةً بَاطِلَةً، وَلِهَذَا أَمَرَهُمْ أَنْ يُفْرِدُهُ بِالعِبَادَةِ، وَيُخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ، ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنَ الدَّلِيْلِ عَلَىٰ وُجُوبِ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ لأَنَّ العِبَادَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلَّا لِلخَالِقِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَالَّذِي لاَ يَخْلُقُ لاَ يَصِحُّ أَنْ يُعْبَدَ.

ثُمَّ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أَيْ لَعَلَّ تَذَكُّرُكُمْ لِذَلِكَ يَبْعَثُكُمْ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَتَعْبُدُونَهُ وَتَتَّقُونَ عَذَابَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَقِي عَذَابَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إِلَّا عِبَادَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- [(١)].

ثُمَّ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَةُ: ٢١-٢٢].

وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ اسْتَدَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُ رَبُّكُمْ الَّذِي رَبَّاكُمْ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، فَخَلَقَكُمْ بَعْدَ العَدَمِ، وَخَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، فَجَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا، وَتَنْتَفِعُونَ بِالأَبْنِيَةِ وَالزِّرَاعَةِ وَالحِرَاثَةِ، وَالسُّلُوكِ مِنْ مَحَلٍّ إِلَىٰ مَحَلٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الانْتِفَاعِ بِهَا، وَجَعَلَ السَّمَاءَ بِنَاءً لِمَسْكَنِكُمْ، وَأَوْدَعَ فِيْهَا مِنَ المَنَافِعِ مَا هُوَ مِنْ ضَرُورَاتِكُمْ وَحَاجَاتِكُمْ، كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنُّجُومِ.

---

(١) انْظُرْ: «إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٥٦).

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ وَالسَّماءُ هُوَ كُلُّ مَا علاَ فَوْقَكَ فَهُوَ سَماءٌ ، وَلِهَذَا قَالَ المُفَسِّرُونَ : المُرَادُ بِالسَّماءِ هَا هُنَا : السَّحَابُ ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - مَاءً ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ كَالحُبُوبِ وَالثِّمارِ مِنْ نَخِيْلٍ وَفَوَاكِهَ وَزُرُوعٍ وَغَيْرِهَا ﴿ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ بِهِ تُرْزَقُونَ ، وَتَقُولُونَ وَتَعِيْشُونَ وَتَفَكَّهُونَ.

ثُمَّ قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ وَبَيْتُ القَصِيْدُ وَمَرْبَطُ الفَرَسِ، إِذْ نَهَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَنْ الشِّرْكِ بَعْدَ الأَمْرِ بِالتَّوْحِيْدِ .

وَالأَنْدَادُ -أَيُّهَا النَّاسُ- جَمْعُ نِدٍّ أَيْ : نُظَرَاءَ وَأَشْبَاهًا مِنَ المَخْلُوقِيْنَ ، فَتَعْبُدُونَهُمْ كَما تَعْبُدُونَ اللهَ ، وَتُحِبُّونَهُمْ كَما تُحِبُّونَ اللهَ ، وَهُمْ مِثْلُكُمْ مَخْلُوقُوْنَ مَرْزُوقُونَ مُدَبَّرُونَ ، لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماءِ وَلَا فِي الأَرْضِ ، وَلاَ يَنْفَعُوْنَكُمْ وَلاَ يَضُرُّونَ ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ وَلاَ نَظِيْرٌ ، لاَ فِي الخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيْرِ ، وَلاَ فِي العِبَادَةِ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَىٰ مَعَ عِلْمِكُمْ بِذَلِكَ ؟، هَذَا مِنْ أَعْجَبِ العُجَبِ وَأَسْفَهِ السَّفَهِ .

وَهَذِهِ الآيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- جَمَعَتْ بَيْنَ الأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، والنَّهْيِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَبَيَانِ الدَّلِيْلِ البَاهِرِ عَلَىٰ وُجُوبِ عِبَادَتِهِ وَبُطْلَانِ عِبَادَةِ

مَا سِوَاهُ ، وَهُوَ ذِكْرُ تَوْحِيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُتَضَمِّنِ لِانْفِرَادِهِ بِالخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالتَّدْبِيْرِ، فَإِذَا كَانَ كُلُّ أَحَدٍ مُقِرًّا بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ فِي ذَلِكَ ، فَكَذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَلْيَكُنْ إِقْرَارُهُ بِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِي العِبَادَةِ ، وَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيْلٍ عَقْلِيٍّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ البَارِي [١] .

أَيُّهَا النَّاسُ- الحِلْفُ بِغَيْرِ اللهِ قَدْ عَمَّ وَطَمَّ ، وَالوَاجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ أَنْ لاَ يَحْلِفَ إِلَّا بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتَ .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[٢] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيْهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَ قَالَ : « **أَلَاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتَ** » .

كَمَا لاَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ ، وَلَكِنْ يَقُولُ : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ .

لِمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، وَسُنَنِ النِّسَائِي بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ فِي« الصَّحِيْحَةِ »[٣]،مِنْ حَدِيْثِ قتيلَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ

(١) انْظُرْ : «تَفْسِيـرَ السَّعْدِيِّ» رَحِمَهُ اللهُ (٤٥).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٥٢) ، ومُسْلِمٌ (١٨٦٥) .
(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/ ٣٧١) ، وَالنِّسَائِيُّ (٧/ ٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ » (١٣٦) .

النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ : وَالكَعْبَةِ ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا : «**وَرَبِّ الكَعْبَةِ**» ،وَأَنْ يَقُولُوا: «**مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ**».

وَهَذَا الحَدِيْثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- نَفْهَمُ مِنْهُ ثَلاثَ مَرَاتِبَ :

المَرْتَبَةُ الأُوْلَىٰ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ ،أَوْ لَوْلاَ اللهُ وَحْدَهُ وَهَذَا أَفْضَلُ المَرَاتِبِ.

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ ، أَوْ لَوْلاَ اللهُ ثُمَّ لَوْلاَ فُلاَنٌ ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ لاَ بَأْسَ بِهَا .

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلَانٌ ، أَوْ لَوْلاَ اللهُ ولَوْلاَ فُلاَنٌ ، وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ لاَ تَجُوزُ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلْفِ بِاللّهِ وَقَوْلِ مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَةُ : ٢٢] .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : «**مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلْفِ بِاللّهِ ، وَقَوْلِ مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ**» .

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللّهُ- :

« إِنَّ الاقْتِنَاعَ بِالحَلِفِ بِاللهِ مِنْ تَعْظِيْمِ اللهِ ؛ لِأَنَّ الحَالِفَ أَكَّدَ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ بِالتَّعْظِيْمِ بِاليَمِيْنِ ، وَهُوَ تَعْظِيْمُ المَحْلُوفِ بِهِ ، فَيَكُونُ مِنْ تَعْظِيْمِ المَحْلُوفِ بِهِ أَنْ تُصَدِّقَ الحَالِفَ وَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ عَدَمُ الاقْتِنَاعِ بِالحَلْفِ بِاللهِ فِيْهِ شَيْءٌ

مِنْ نَقْصِ التَّعْظِيْمِ لِلهِ وَهَذَا يُنَافِي كَمَالَ التَّوْحِيْدِ »[١].

وَالأَكْمَلُ لِلمُؤْمِنِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَقُولَ : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ ، وَإِنْ قَالَ: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ فَلَا بَأْسَ ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ فُلَانٌ ، لِأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ وَمِنْ نَوَاقِضِ التَّوْحِيْدِ .

لِمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ، وَسُنَنِ النِّسَائِي بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي« الصَّحِيْحَةِ »[٢]،مِنْ حَدِيْثِ قتيلَةَ بِنْتَ صِيْفِيٍّ الجُهَيْنِيَّةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : أَتَىٰ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، نِعْمَ القَوْمُ أَنْتُمْ ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **سُبْحَانَ اللهِ ، وَمَا ذَاكَ ؟!** » ، قَالَ : تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ: وَالكَعْبَةِ .

قَالَتْ : « **فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَالَ ، فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الكَعْبَةِ** » .

قَالَ : يا مُحَمَّدُ ، نِعْمَ القَوْمُ أَنْتُمْ ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلهِ نِدًّا ، قَالَ : «**سُبْحَانَ اللهِ وَمَا ذَاكَ ؟!** » ، قَالَ : تَقُولُون : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ .

قَالَتْ : **فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ**

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٢٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦/ ٣٧١-٣٧٢) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحَةِ» (١٣٦) .

قَالَ ، فَمَنْ قَالَ : مَا شَاءَ اللهُ ، فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ » .

وَأَخْرَجَ النِّسَائِي فِي الكُبْرَىٰ وَابْنُ مَاجَةْ فِي سُنَنِه بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ »[1] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : مَا شَاءَ اللهُ وَشَئْتَ ، فَقَالَ : « **أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا ؟، قُلْ : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** » .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِين -رحِمَهُ الله- : « قَوْلُهُ : « إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ » : أَيْ تَقَعُونَ فِي الشِّرْكِ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ .

وَقَوْلُهُ : «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ » الشِّرْكُ هُنَا أَنَّهُ جَعَلَ المَعْطُوفَ مُسَاوِيًا لِلمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- حَيْثُ كَانَ العَطْفُ بِالوَاوِ المُفِيْدَةِ لِلتَّسْوِيَةِ .

وَقَوْلُهُ : «وَالكَعْبَةِ » الشِّرْكُ هُنَا أَنَّهُ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ ، وَلَمْ يُنْكِرْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا قَالَ اليَهُودِيُّ ، بَلْ أَمَرَ بِتَصْحِيْحِ الكَلَامِ ، فَأَمَرَهُمْ إِذَا حَلَفُوا أَنْ يَقُولُوا : « وَرَبِّ الكَعْبَةِ » فَيَكُونُ القَسَمُ بِاللهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ » فَيَكُونُ التَّرْتِيْبُ بِثُمَّ بَيْنَ مَشِيْئَةِ اللهِ وَمَشِيْئَةِ المَخْلُوقِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ التَّرْتِيْبُ صَحِيْحًا .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ فِي «الكُبْرَىٰ » (١٠٨٢٥)، وَابْنُ مَاجَةْ (٢١١٧)، وَأَحْمَدُ (١٨٣٩) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيْحِ ابْنِ مَاجَةْ » (١٧٢٠) .

وَقَوْلُهُ : « **أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا ؟** » الاسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ ، وَقَدْ ضُمِّنَ مَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ وَمَنْ جَعَلَ لِلخَالِقِ نِدًّا ، فَقَد أَتَىٰ شَيْئًا عُجَابًا .

وَالنِّدُّ هُوَ النَّظِيْرُ وَالمُسَاوِي ، أَيْ جَعَلْتَنِي لِلهِ مُسَاوِيًا فِي هَذَا الأَمْرِ؟ .

وَقَوْلُهُ : « **مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** » أَرْشَدَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ مَا يَقْطَعُ عَنْهُ الشِّرْكَ وَلَمْ يُرْشِدْهُ إِلَىٰ أَنْ يَقُولُ : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ حَتَّىٰ يَقْطَعَ عَنْهُ كُلَّ ذَرِيْعَةٍ عَنْ الشِّرْكِ وَإِنْ بَعُدَتْ »[1] .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٣٠) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ اللهَ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ :«**مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ اللّٰه**» .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدَّهْرَ هُوَ الزَّمَانُ وَالوَقْتُ فَسَبُّهُ مِنْ جُمْلَةِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُنَاقِضُ التَّوْحِيْدَ وَتُضْعِفُهُ ، وَتُنَافِي كَمَالَهُ ، فَيَجِبُ الحَذَرُ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تُضْعِفُ التَّوْحِيْدَ ، مِثْلَ سَبِّ الدَّهْرِ وَسَبِّ الرِّيحِ ، وَسَبِّ مَا لاَ يَسْتَحِقُّ السَّبِّ [1].

وَ الدَّهْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَخْلُوقٌ مُدَبَّرٌ لَيْسَ فِي يَدِهِ تَصَرُّفٌ ، فَهُوَ مُدَبَّرٌ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَهُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَسَبُّهُ إِيْذَاءٌ للهِ ، واللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ ، وَلَكِنَّ المَعَاصِي تُؤْذِي اللهَ ؛ لِأَنَّهَا تُغْضِبُهُ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾** ﴾ [الأَحْزَابُ : ٥٧].

فَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ وَلاَ تَضُرُّهُ المَعْصِيَةُ، وَلَكِنَّهُ يَتَأَذَّىٰ بِبَعْضِ أَفْعَالِ عِبَادِهِ ، وَأَقْوَالِهِمْ الَّتِي فِيْهَا إِسَاءَةٌ فِي حَقِّهِ ، وَلَكِنَّهُ لاَ يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللهَ لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن**

---

(١) انْظُرْ : « شَـرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣٠٣) .

يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ [آلُ عِمْرَان: ١٧٧].

وَفي «صَحِيح مُسْلِم»(١)، مِنْ حَدِيْث أَبِي ذرٍّ الغِفَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنَّهُ قَالَ: «**... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّيْ فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ...**».

وَوَجْهُ كَوْنِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَتَأَذَّىٰ بِسَبِّ الدَّهْرِ لِأَنَّ السَّبَّ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ المُتَصَرِّفُ الَّذِي يَجْرِي فِي قَدَرِهِ وَقَضَائِهِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَالمَكْرُوهُ وَالمَحْبُوبُ(٢).

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾**﴾ [الجَاثِيَةُ: ٢٤].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: «يُخْبِرُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْ دَهْرِيَّةِ الكُفَّارِ وَمَنْ رَافَقَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ فِي إِنْكَارِ المَعَادِ ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾ [الجَاثِيَةُ: ٢٤] مَا ثَمَّ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيْشُ آخَرُونَ وَمَا ثَمَّ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُوا العَرَبِ المُنْكِرُونَ لِلمَعَادِ وَيَقُولُهُ الفَلَاسِفَةُ الإِلَهِيُّونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ البَدْأَةَ وَالرَّجْعَةَ، وَتَقُولُهُ الفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ الدَّوْرِيَّةُ المُنْكِرُونَ لِلصَّانِعِ المُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٩٤).

(٢) انْظُرْ: «إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٧٤).

سِتَّةٍ وَثَلاثِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لاَ تَتَنَاهَىٰ، فَكَابَرُوا المَعْقُولَ، وَكَذَّبُوا المَنْقُولَ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثِيَةُ:٢٤]، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثِيَةُ:٢٤] أَيْ: يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ»[1].

فَذَكَرَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَيُّهَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الآيَاتِ عَنِ المُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ البَعْثَ وَيَسْتَبْعِدُونَهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ حُصُولُ البَعْثِ؛ لِأَنَّ الأَجْسَامَ تَتَفَتَّتُ وَتَضِيعُ وَتَذْهَبُ، فَمِنْ أَيْنَ الإِعَادَةُ لِشَيْءٍ قَدْ ضَاعَ وَتَفَتَّتَ وَذَهَبَ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٨-٧٩].

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإِسْرَاءُ:٤٩-٥١].

فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أَيْنَ العُقُولُ؟!!، فَالَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْ لاَ شَيْءَ، وَأَوْجَدَهُمْ مِنَ العَدَمِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ؛ أَلاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعَادَتِهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً؟، بَلْ مِنْ نَاحِيَةِ

---

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٣/ ٢٤٩).

العُقُولِ: أَنَّ الإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ البَدَاءَةِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرُّوْمُ : ٢٧].

مَعَ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ الإِعَادَةُ وَلاَ البَدَاءَةُ ، الكُلُّ سَهْلٌ عَلَيْهِ وَيَسِيْرٌ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْثٌ وَنُشُورٌ -أَيُّهَا النَّاسُ- لَكَانَ خَلْقُ الخَلْقِ عَبَثًا لاَ نَتِيْجَةَ لَهُ - تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ [١] .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾** ﴾[المُؤْمِنُونَ : ١١٥-١١٦].

أَيْ : تَعَاظَمَ وَتَقَدَّسَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَلِيْقُ بِكَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ وَمِنْهُ خَلْقُكُمْ عَبَثًا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيْرًا [٢] .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **يَقُولُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِيَ الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ».

---

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ المُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٧٥) .

(٢) «تَفْسِيرُ الشِّنْقِيطِيِّ» (٥/ ٣٦٣).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٢٦) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٤٦) .

وَفِي «رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ» [(١)] : « **لاَ تَسَبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ** » .

وَفِي «رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ» [(٢)] : « **لاَ يَقُلْ ابْنُ آدَمَ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فَإِنِّيَ أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا** » .

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ العَرَبِ ذَمُّ الدَّهْرِ ، أَيْ سَبُّهُ عِنْدَ النَّوَازِلِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسِبُونَ إِلَيْهِ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ المَصَائِبِ وَالمَكَارِهِ ، فَيَقُولُونَ : أَصَابَتْهُمْ قَوَارِعُ الدَّهْرِ ، فَإِذَا أَضَافُوا إِلَىٰ الدَّهْرِ مَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ سَبُّوا فَاعِلَهَا ، فَكَانَ مَرْجِعُ سَبِّهَا إِلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إِذْ هُوَ الفَاعِلُ فِي الحَقِيْقَةِ لِلأُمُورِ الَّتِي يَصْنَعُوْنَهَا ، فَنُهُو عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ » [(٣)].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٤)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ :« **قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-** : **يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرَ، بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ** ».

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ « زَادُ المَعَادِ » : [(٥)] « وَفِي هَذَا ثَلاثُ مَفَاسِدَ :

إِحْدَاهُمَا: سَبُّهُ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَبَّ ؛ فَإِنَّ الدَّهْرِ خَلْقٌ مُسَخَّرٌ مِنْ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٤٦) (٥) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٤٦) (٣).
(٣) « شَرْحُ السُّنَّةِ » (١٢/ ٣٥٧).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦١٨١) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٤٦) .
(٥) « زَادُ المَعَادِ » (٢/ ٣٢٣) .

خَلْقِ اللهِ ، مُنْقَادٌ لِأَمْرِهِ ، مُذَلَّلٌ لِتَسْخِيرِهِ ، فَسَابُّهُ أَوْلَىٰ بِالذَّمِّ وَالسَّبِّ مِنْهُ .

الثَّانِيَةُ : أَنَّ سَبَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلشِّرْكِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَبَّهُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ظَالِمٌ قَدْ ضَرَّ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ الضَّرَرَ ، وَأَعْطَىٰ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ العَطَاءَ وَرَفَعَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ الرِّفْعَةَ ، وَحَرَمَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ الحِرْمَانَ، وَهُوَ عِنْدَ شَاتِمِيْهِ مِنْ أَظْلَمِ الظَّلَمَةِ ، وَأَشْعَارُ هَؤُلاءِ الظَّلَمَةِ الخَوَنَةِ فِي سَبِّهِ كَثِيْرَةٌ جِدًا ، وَ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَالِ يُصَرِّحُ بِلَعْنِهِ وَتَقْبِيْحِهِ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ السَّبَّ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ مَنْ فِعْلِ هَذِهِ الأَفْعَالِ الَّتِي لَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَإِذَا وَقَعَتْ أَهْوَاؤُهُمْ حَمِدُوا الدَّهْرَ ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ ، وَفِي حَقِيْقَةِ الأَمْرِ فَرَبُّ الدَّهْرِ هُوَ المُعْطِي المَانِعُ ، الخَافِضُ الرَّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ .

فَمَسَبَّتُهُمْ لِلدَّهْرِ مَسَبَّةٌ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ مُؤْذِيَةً لِلرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ** » .

فَسَابُّ الدَّهْرِ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا : إِمَّا سَبُّهُ للهِ أَوْ الشِّرْكُ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ الدَّهْرَ فَاعِلٌ مَعَ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٨٢٦) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٤٦) .

وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَسُبُّ مَنْ فَعَلَهُ ، فَقَدْ سَبَّ اللهَ » .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ
« التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ واحْتِرَامُ أَسْمَاءَ اللهِ وَتَغْيِيْرُ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ »

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ اللّه**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : « **التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ واحْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللّهِ وَتَغْيِيْرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ** » .

فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلَاكِ ، لاَ مَلِكَ إِلَّا اللهُ** » .

قَالَ سُفْيَانُ : مِثْلُ «شَاهَان شَاه» وَقَرَأْتهَا : « شَاهٍ شَاهْ » أَيْ: مَلِكُ المُلُوكِ، وَمَقْصُودُ التَّرْجَمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا يَقُولُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- «بَيَانُ النَّهْيِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٠٦) ، ومُسْلِمٌ (٢١٤٣) وَكَلَامُ سُفْيَانَ عِنْدَ الحَدِيْثِ فِيهِمَا.

عَنْ الأَسْمَاءِ الَّتي يَكُونُ لَهَا تَعَلُّقٌ بِمُشَابَهَةِ أَسْمَاءِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَهُ أَسْمَاءٌ يَخْتَصُّ بِهَا لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَسَمَّىٰ بِهَا مِثْلُ: الرَّحْمَنِ، وَمَالِكِ المُلْكِ، وَالخَلَّاقِ، وَرَبِّ العَالَمِيْنَ، وَحَاكِمِ الحُكَّامِ، وَسُلْطَانِ السَّلَاطِيْنِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِأَنَّ مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيْدِ عَدَمَ التَّسَمِّي بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ، وَالتَّسَمِّي بِهَا يُنْقِصُ التَّوْحِيْدَ وَالإِيْمَانَ، وَدُخُولٌ فِيْمَا لاَ يَنْبَغِي.

وَكَذَلِكَ قَاضِي قُضَاةِ مِصْرَ أَوْ مَكَّةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا أَسْهَلُ، وَتَرْكُهُ أَوْلَىٰ كَأَنْ يُسَمَّىٰ: رَئِيْسَ القُضَاةِ أَوْ أَمِيْنَ القُضَاةِ، مِمَّا يَبْتَعِدُ بِهِ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ المُطْلَقَةِ »[1].

وَقَوْلُهُ: « **إِنَّ أَخْنَعَ** » أَيْ: أَوْضَعُ اسْمٍ، والمُرَادُ بِالاسْمِ المُسَمَّىٰ فَأَوْضَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلَاكِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ فِي مَرْتَبَةٍ عُلْيَا.

وَقَوْلُ سُفْيَانَ (هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ) مِثْلُ (شَاهَان شَاه) هَذَا بِاللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ وَمَعْنَاهَا (مَلِكَ الأَمْلَاكِ).

وَجَاءَ الحَدِيْثُ فِي «رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ»[2]: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ، وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لاَ مَلِكَ إِلَّا اللهُ**».

فَقَوْلُهُ: «**أَغْيَظُ**» مِنَ الغَيْظِ وَهُوَ الغَضَبُ، أَيْ أَغْضَبُ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَخْبَثُهُ هُوَ هَذَا الاسْمِ وَإِذَا كَانَ سَبَبًا لِغَضَبِ اللهِ

(١) انْظُرْ: « شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣٠٦).
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٤٣) (٢١).

وَخَبِيْثًا ، فَإِنَّ التَّسَمِّي بِهِ مِنَ الكَبَائِرِ »[١].

وَكَمَا أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَإِنَّهُ يَجِبُ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَتَغْيِيْرُ الاسْمِ لِغَيْرِ ذَلِكَ .

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي «صَحِيْحِ المُسْنَدِ »[٢] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي شُرَيْحٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يُكْنَىٰ أَبَا الحَكَمِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ** » ، فَقَالَ : إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلاَ الفَرِيْقَيْنِ ، فَقَالَ : « **مَا أَحْسَنَ هَذَا ، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟** » ، قَالَ : شُرَيْحٌ ، وَمُسْلِمٌ ، وَعَبْدُ اللهِ ، قَالَ : « **فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟** » ، قَالَ : شُرَيْحٌ، قَالَ : « **فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ** » .

وَمَقْصُودُ التَّرْجَمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- كَمَا يَقُولُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ - «بَيَانُ وُجُوبِ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ ، وَالحَذَرِ مِنِ امْتِهَانِهَا أَوِ احْتِقَارِهَا ، أَوْ تَسْمِيَةِ غَيْرِ اللهِ بِهَا مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي اخْتَصَّ اللهُ بِهَا ، وَلِهَذَا شُرِعَ تَغْيِيْرُ الاسْمِ لِأَجْلِ احْتِرَامِهَا وَتَعْظِيْمِهَا .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٥٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٥٥) ، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ المُسْنَدِ» (١١٨١) .

وَالأَسْمَاءُ قِسْمَانِ :

الأَوَّلُ : أَسْمَاءٌ لاَ يُسَمَّىٰ بِهَا سِوَىٰ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَالرَّحْمَنْ وَالخَلَّاقِ ، وَرَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَغَيْرِهِ مِمَّا اخْتَصَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- بِهَا .

الثَّانِي : أَسْمَاءٌ يُسَمَّىٰ بِهَا غَيْرُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فَيَكُونُ للهِ مِمَّا يَلِيْقُ بِهِ، وَلِلعَبْدِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَالمُرَادُ بِهِ هُنَا الأَوَّلُ .

قَوْلُهُ : عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ هُوَ هَانِئُ بْنُ زَيْدٍ الكِنْدِيُّ جَاءَ وَافِدًا إِلَىٰ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ قَوْمِهِ .

وَقَوْلُهُ : « يُكْنَىٰ أَبَا الحَكَمِ » أَيْ : يُنَادَىٰ بِهِ .

وَالكُنْيَةُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا صَدَرَتْ بِأَب أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ عَمٍّ أَوْ خَالٍ ، وَتَكُونُ لِلمَدْحِ كَمَا فِي الحَدِيْثِ ، وَتَكُونُ لِلذَّمِّ كَأَبِي جَهْلٍ ، وَقَدْ يَكُونُ لِمُصَاحَبَةِ الشَّيْءِ مِثْلُ : أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَقَدْ تَكُونُ لِمُجَرَّدِ العِلْمِيَّةِ كَأَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَأَبِي العَبَّاسِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ- ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ .

وَقَوْلُهُ : « **إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ** » (**وَهُوَ الحَكَمُ**) أَيْ : المُسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا عَلَىٰ عِبَادِهِ حَاكِمًا بِالفِعْلِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «**وَإِلَيْهِ الحُكْمُ**» .

وَقَوْلُهُ : « إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي » هَذَا بَيَانٌ لِسَبَبِ تَسَمِّيْهِ

بِأَبِي الحَكَمِ »[١].

قَوْلُهُ: « **مَا أَحْسَنَ هَذَا** » الإِشَارَةُ تَعُودُ إِلَىٰ إِصْلَاحِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ (أَيْ مَا أَحْسَنَ هَذَا العَمَلَ الَّذِي هُوَ الإِصْلَاحُ بَيْنَهُمْ وَالتَّوَسُّطُ ؛ لِيَرْضُوا وَتَزُولَ الخُصُومَاتُ ، وَهَذَا شَيْءٌ مَطْلُوبٌ وَخَيْرٌ)[٢].

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- : قَوْلُهُ : « **فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ** » غَيَّرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَمْرَيْنِ :

الأَوَّلُ : أَنَّ الحَكَمَ هُوَ اللهُ ، فَإِذَا قِيْلَ : يَا أَبَا الحَكَمِ ! كَأَنَّهُ قِيْلَ : يَا أَبَا اللهِ!

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا الاسْمَ الَّذِي جُعِلَ كُنْيَةً لِهَذَا الرَّجُلِ لُوحِظَ فِيْهِ مَعْنَىٰ الصِّفَةِ وَهِيَ الحُكْمُ ، فَصَارَ بِذَلِكَ مُطَابِقًا لاسْمِ اللهِ[٣].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٦٢) .
(٢) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣١٠) .
(٣) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٦٣) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ القُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ القُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** » .

وَالمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- : هُوَ بَيَانُ حُكْمِ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ بِاللهِ وَبِالقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَّ حُكْمَهُمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّوْنَ ، إِذَا كَانُوا مُسْلِمِيْنَ ، وَأَنَّ الاسْتِهْزَاءَ رِدَّةٌ وَكُفْرٌ »[1].

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٦٥-٦٦].

وَسَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيْرِهِ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الْمُسْنَدِ مِنْ أَسْبَابِ

---

(١) انْظُرْ : « شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣١٢) .

النُّزُولِ » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وَقَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَ - دَخَلَ حَدِيْثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاَءِ أَرْغَبُ بُطُونًا ، وَلاَ أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلاَ أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ - يَعْنِي رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيُخْبِرَهُ ، فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيْثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيْقَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (أَيْ بِزِمَامِ النَّاقَةِ) وَأَنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ (أَيْ تُلْقِيهِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ) وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التَّوْبَة:٦٥-٦٦] .

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٦/ ١٨٢٩) ، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص١٢٢) .

قَالَ الفَوْزَانُ -رَحِمَهُ اللهُ -: « مَنْ هَزَلَ » الهَزَلُ هُوَ : اللَّعِبُ وَالاسْتِهْزَاءُ، ضِدُّ الجِدِّ .

وَقَوْلُهُ :« بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ القُرْآنِ أَوْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَيْ: مَنْ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ فَمَا حُكْمُهُ ؟،حُكْمُهُ: أَنَّهُ يَرْتَدُّ عَنْ دِيْنِ اللهِ الإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِيْنَ، سَوَاءٌ أَكَانَ جَادًّا أَوْ هَازِلاً أَوْ مَازِحًا، حَيْثُ لَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ إِلَّا الْمُكْرَهَ ، قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النَّحْلُ : ١٠٦-١٠٩] [(١)].

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ - : « مَنْ هَزَلَ بِاللهِ أَوْ بِآيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ أَوْ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ بِرُسُلِهِ ، فَهُوكَافِرٌ ، لِأَنَّ مُنَافَاةَ الاسْتِهْزَاءِ لِلإِيْمَانِ مُنَافَاةٌ عَظِيْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ العُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِيْمَن سَبَّ اللهَ أَوْ رَسُولَهُ أَوْ كِتَابَهُ ؛ هَلْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ ؟! ، عَلَىٰ قَوْلَيْنِ :

(١) انْظُرْ : « إِعَانَةَ الْمُسْتَفِيْدِ» لِلْفَوْزَانِ (٢/ ١٨٧) .

القَوْلُ الأَوَّلُ : أَنَّهَا لاَ تُقْبَلُ وَهُوَ المَشْهُورُ عَنْ الحَنَابِلَةِ ، بَلْ يُقْتَلُ كَافِرًا، وَلاَ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَلاَ يُدْعَىٰ لَهُ بِالرَّحْمَةِ ،ن وَيُدْفَنُ فِي مَحَلٍّ بَعِيْدٍ عَنْ قُبُورِ المُسْلِمِيْنَ ، وَلَوْ قَالَ إِنَّهُ تَابَ أَوْ إِنَّهُ أَخْطَأَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الرِّدَّةَ أَمْرُهَا عَظِيْمٌ وَكَبِيْرٌ لاَ تَنْفَعُ فِيْهَا التَّوْبَةُ .

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ : إِنَّهَا تُقْبَلُ إِذَا عَلِمْنَا صِدْقَ تَوْبَتِهِ إِلَىٰ اللهِ ، وَأَقَرَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالخَطَأِ ، وَوَصَفَ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ صِفَاتِ التَّعْظِيْمِ ، وَذَلِكَ لِعُمُومِ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُبُولِ التَّوْبَةُ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزُّمَرُ :٥٣].

وَمِنَ الكُفَّارِ مَنْ يَسُبُّوْنَ اللهَ وَمَعَ ذَلِكَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ .

وَهَذَا هُوَ الصَّحِيْحُ ؛ إِلَّا أَنَّ سَابَّ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّهَا النَّاسُ- تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَيَجِبُ قَتْلُهُ بِخِلَافِ مَنْ سَبَّ اللهَ ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلاَ يُقْتَلُ، لاَ لِأَنَّ حَقَّ اللهِ دُوْنَ حَقِّ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بَلْ لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَخْبَرَنَا بِعَفْوِهِ عَنْ حَقِّهِ إِذَا تَابَ العَبْدُ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعًا ، أَمَّا سَابُّ الرَّسُولِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِهِ أَمْرَانِ:

الأَوَّلُ : أَمْرٌ شَرْعِيٌّ لِكَوْنِهِ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمِنْ هَذَا

الوَجْهِ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ إِذَا تَابَ .

الثَّانِي : أَمْرٌ شَخْصِيٌّ لِكَوْنِهِ مِنَ المُرْسَلِيْنَ ، وَمِنْ هَذَا الوَجْهِ يَجِبُ قَتْلُهُ لِحَقِّهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُقْتَلُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَإِذَا قُتِلَ ، غَسَّلْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَدَفَنَّاهُ مَعَ المُسْلِمِيْنَ .

قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْ : سَأَلْتَ هَؤُلاَءِ الَّذِيْنَ يَخُضُونَ وَيَلْعَبُونَ بِالاسْتِهْزَاءِ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّحَابَةِ ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أَيْ : مَا لَنَا قَصْدٌ ، وَلَكِنَّنَا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، وَاللَّعْبُ يُقْصَدُ بِهِ الهُزْءُ .

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الاسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ فَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَهْزِئُوا بِهَذِهِ الأُمُورِ العَظِيْمَةِ ، وَيَتَعَجَّبُ كَيْفَ يَكُونُ أَحَقُّ الحَقِّ مَحَلًّا لِلسُّخْرِيَةِ .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ - : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ المُرَادُ بِالنَّهْيِ التَّيْئِيْسُ بِعَدَمِ قُبُولِ اعْتِذَارِهِمْ تَيْئِسًا لَهُم ، وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ - : ﴿ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ أَيْ بِالاسْتِهْزَاءِ وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِيْنَ خَالِصِيْنَ بَلْ مُؤْمِنِيْنَ ، وَلَكِنَّ إِيْمَانَهُمْ ضَعِيْفٌ ، وَلِهَذَا لَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ الاسْتِهْزَاءِ بِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ إِن نَّعْفُ ﴾ ضَمِيْرُ الجَمْعِ لِلتَّعْظِيْمِ ، أَيْ : لِلهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ - : ﴿ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَؤُلَاءِ حَضَرُوا وَصَارَ عِنْدَهُمْ كَرَاهِيَّةٌ لِهَذَا الشَّيْءِ لَكِنَّهُمْ دَاهَنُوا فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ لِجُلُوسِهِمْ إِلَيْهِ لَكِنَّهُمْ أَخَفُّ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الكَرَاهَةِ ، وَلِهَذَا عَفَا اللهُ عَنْهُمْ ، وَهَدَاهُمْ لِلإِيْمَانِ وَتَابُوا .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ -: ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- جَوَابُ الشَّرْطِ، أَيْ : لاَ يُمْكِنُ أَنْ نَعْفُوا عَنْ الجَمِيْعِ ، بَلْ إِنْ عَفَوْنَا عَنْ طَائِفَةٍ ، فَلاَ بُدَّ أَنْ نُعَذِّبَ الآخَرِيْنَ .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ -: ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ أَيْ : بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ مُجْرِمِيْنَ بِالاسْتِهْزَاءِ وَعِنْدَهُمْ جُرْمٌ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَفَّقُوا لِلتَّوْبَةِ حَتَّىٰ يُعْفَىٰ عَنْهُمْ [(١)].

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ بَيَانُ صِفَةِ الاسْتِهْزَاءِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ وَهَذَا شَرْحُهَا وَهُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: « مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبُ بُطُونًا » أَي: أَكْثَرَ أَكْلاً.

وَقَوْلُهُ: « وَلاَ أَكْذَبَ أَلْسُنًا » أَيْ : وَلاَ أَكْذَبَ قَوْلاً .

وَقَوْلُهُ: «وَلاَ أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ » أَيْ : لَيْسُوا بِشُجْعَانٍ .

فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: كَذَبْتَ » هَذَا فِيْهِ إِنْكَارُ المُنْكَرِ مِمَّنْ سَمِعَهُ وَأَنَّ عَلَيْهِ مَنْعُهُ وَلاَ سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذَا المُنْكَرِ العَظِيْمِ الَّذِي فِيْهِ

---

(١) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٢٧٤) .

سَبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَدِيْنِهِ .

فَوَجَدَ القُرْآنَ سَبقَهُ : أَيْ نَزَلَتْ فِيْهِمْ وَهِيَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يُبَيِّنُ أَنَّ المُسْتَهْزِئَ بِالقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ، أَوْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ كَافِرٌ ، وَلَوْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْضِي بِهَا الوَقْتَ ، أَوْ يَتَحَدَّثُ حَدِيْثُ الرَّكْبِ ، وَيَقْطَعُ الطَرِيْقَ ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَعَمِّدٍ لِذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ ؛ لِأَنَّ التَّلاعُبَ بِهَذَا لا يَجُوزُ لاَ فِي الطَّرِيْقِ ، وَلاَ فِي غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ نِفَاقٍ فِي قَلْبِهِ ، وَخُبْثٍ وَحِقْدٍ عَلَىٰ أَهْلِهِ ، والمُسْلِمُ لاَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ الرَّجُلُ وَخَاصَّةً قَوْلُهُ « أَكْذَبَ أَلْسُنًا » فَهَذَا تَكْذِيْبٌ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ ، وَفِيْهِ رَمْيٌ لَهُمْ بِالجُبْنِ وَأَنَّهُمْ حَرِيْصُونَ عَلَىٰ الأَكْلِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الحِرْصِ عَلَىٰ الدُّنْيَا .

فَجَاءَ الرَّجُلُ يَعْتَذِرُ فَلَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُبَالِي بِمَا يَقُولُ، وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ إِلَّا بِقَوْلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٦٦].

أَيْ أَنَّهُ لاَ يَقْبَلُ عُذْرَهُ وَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ كَافِرٌ بِهَذَا العَمَلِ .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يُبَيِّنُ أَنَّ المُسْتَهْزِئَ بِالشَّرْعِ كَافِرٌ بَعْدَ الإِيْمَانِ إِذَا تَنَقَّصَ الرَّسُولَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ قَالَ : إِنَّهُ جَبَانٌ ، أَوْ كَذَّابٌ ، أَوْ لَمْ يُبَلِّغْ الرِّسَالَةَ أَوْ أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّنَقِصِ ، وَهَكَذَا مَنْ قَالَ : إِنَّ القُرْآنَ

مُتَنَاقِضٌ أَوْأَنَّهُ لَمْ يَسْتَوفِ مَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ ، أَوْأَنَّ الشَّرِيْعَةَ لَمْ تَسْتَوفِ مَا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَىٰ سَبِيْلِ الذَّمِّ وَالنَّقْصِ [1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣١٤) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ القُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-** ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾» [فُصِّلَتْ: ٥٠].

وَالآيَاتُ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِتَمَامِهَا: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠].

وَالشَّاهِدُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا

مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ .

قَالَ مُجَاهِدُ فِي تَفْسِيْرِهَا : هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ » [١] .

وَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَيَانُ مَا غَلَبَ عَلَىٰ النُّفُوسِ مِنْ إِنْكَارِ النِّعَمِ وَجَحْدِهَا وَكُفْرَانِهَا، وَعَدَمِ الاعْتِرَافِ بِهَا لِمُعْطِيْهَا-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَيَنْسُبُ النِّعْمَةَ إِلَىٰ نَفْسِهِ ، وَأَنَّهُ جَدِيْرٌ وَحَقِيْقٌ بِهَا ، وَأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - تَفَضَّلَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِهَذَا الإِنْعَامِ وَالمَالِ وَالجَاهِ ، مِمَّا قَدْ يَطْرَأُ عَلَىٰ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الإِيْمَانِ وَالتَّوْحِيْدِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ العَبْدُ أَنَّهُ فَقِيْرٌ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِشَيْءٍ عَلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّبُّ المُسْتَحِقُّ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَشْكُرُهُ ، وَأَنْ يَذْكُرَهُ ، وَأَنْ يَنْسُبَ النِّعَمَ إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ مُسْتَحِقًّا فِي الدُّنْيَا بِحَقٍّ وَاجِبٍ عَلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَلَىٰ نَفْسِهِ [٢] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القَصَصُ: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِهَا : « عَلَىٰ خَيْرٍ عِنْدِي وَعِلْمٍ عِنْدِي» [٣] .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- يَحْصُلُ مِنْ كَثِيْرٍ مِمَّنْ أَغْنَاهُمْ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِهِ (٢١/ ٤٩١) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.
(٢) انْظُرْ : «كِفَايَةَ المُسْتَزِيْدِ بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (٢٧٩) .
(٣) المَرْجِعُ السَّابِقُ (٢٨٠) .

وَأَعْطَاهُمْ أَمْوَالاً كَثِيْرَةً فَتَجِدُ أَحَدَهُمْ يَنْسُبُ الشَّيْءَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَقُولُ:أَنَا خَبِيْرٌ بِإِدَارَةِ الأَمْوَالِ، وَأَنَا أَفْهَمُ فِي التِّجَارَةِ، وَأَنَا عِنْدِي عِلْمٌ بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَيَنْسَىٰ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي وَفَّقَهُ وَهُوَ الَّذِي رَزَقَهُ ، وَهُوَ الَّذِي هَدَاهُ ، وَهُوَ المُنْعِمُ ابْتِدَاءًا، وَهُوَ المُنْعِمُ خِتَامًا ، فَالوَاجِبُ إِسْنَادُ النِّعْمَةِ إِلَىٰ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَسْبَابٌ لَكِنَّ كُلَّهُ بِفَضْلِ اللهِ .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ أَبْرَصٌ ، وَأَقْرَعٌ ، وَأَعْمَىٰ ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ .**

قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبُ عَنْهُ قَذَرُهُ ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا .

قَالَ : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟، قَالَ : الإِبِلُ أَوْ البَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ- ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا .

فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِيَ النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبُ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا. فَقَالَ : أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟، قَالَ : البَقَرُ أَوْ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٦٤) ، ومُسْلِمٌ (٢٩٦٤) .

وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا .

فَأَتَىٰ الأَعمَىٰ فقَالَ :أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأَبْصرَ بِهِ النَّاسَ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبُ عَنْهُ ، فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .

فَقَالَ : أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟، قَالَ : الغَنَمُ ، ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ، فَأُنْتِجَ هَذَانَ وَوَلَّدَ هَذَا .

فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبيْلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِهِ الجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيْرًا أَتبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيْرَةٌ . فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ؛ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ؟، فَقِيْرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- المَالَ ؟، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَىٰ الأَعمَىٰ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبيْلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِهِ الجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي .

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ عَلَيَّ بَصَرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَومَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ . فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ » .

وَالشَّاهِدُ مِنَ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَافَىٰ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ فِي أَبْدَانِهِمْ وَرَزَقَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ نَسَبَ اثْنَانِ مِنْهُمْ النِّعْمَةَ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَثَالِثٌ نَسَبَهَا إِلَىٰ اللهِ ، فَجَزَىٰ اللهُ الأَخِيْرَ خَيْرًا ، وَأَدَامَ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ ، وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَعَاقَبَ الآخَرَيْنِ ، وَسَخِطَ عَلَيْهِمَا ، وَهَذَا فَضْلُ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْعِمُ ثُمَّ يُثَبِّتُ النِّعْمَةَ أَنْ يُعَظِّمَ العَبْدُ رَبَّهُ ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ، وَأَنَّ النِّعْمَةَ هِيَ نِعْمَةُ اللهِ »[1].

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِشُكْرِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا ، وَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ . وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) انْظُرْ : «كِفَايَةَ الْمُسْتَزِيْدِ» (٢٨١) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

وَقَوْلِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : ﴿ **فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠** ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٩٠] .

وَقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٨٠] .

وَالمَقْصُودُ مِنَ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠** ﴾ .

كَمَا يَقُولُ العَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « بَيَانُ تَحْرِيْمِ التَّعَبُّدِ لِغَيْرِ اللهِ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَبْدَ أَحَدٌ لِغَيْرِ اللهِ ، فَلَا يُقَالُ : عَبْدُ النَّبِيِّ ، أَوْ الكَعْبَةِ ، أَوْ عَبْدُ الحُسَيْنِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، بَلْ يَكُونُ التَّعَبُّدُ للهِ وَحْدَهُ ، كَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ اللهِ ، لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ذَمَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠** ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ : «يُنَبِّهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَىٰ- عَلَىٰ أَنَّهُ خَلَقَ جَمِيْعَ النَّاسِ مِنْ آدَمَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- وَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْهُ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ ثُمَّ انْتَشَرَ النَّاسُ مِنْهُمَا ، كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحُجُرَات:١٣] .

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النِّسَاء:١].

وَقَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ :﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٨٩] . أَيْ : لِيَأْلَفَهَا وَيَسْكُنَ بِهَا كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ - : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرُّوْم:٢١] .

فَلاَ أُلْفَةَ بَيْنَ رَوْحَيْنِ أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَلِهَذَا ذَكَرَ - تَعَالَىٰ - أَنَّ السَّاحِرَ رُبَّمَا تَوَصَّلَ بِكَيْدِهِ إِلَىٰ التَّفرقِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ .

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ - : « لَيْسَ المُرَادُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمُ وَحَوَّاءُ ، وَإِنَّمَا المُرَادُ مِنْ ذَلِكَ المُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٩٠] (١).

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ -: فِي قَوْلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -:

---

(١) انْظُرْ : « تَفْسِيْرَ ابْنِ كَثِيْرٍ » (٣/ ٣١٠) .

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بِضَمِيْرِ الجَمْعِ ، وَلَوْ كَانَ آدَمُ وَحَوَّاءُ لَقَالَ : «عَمَّا يُشْرِكَانِ» ، ثُمَّ قَالَ : الأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ الشِّرْكِ مُبَرَّءُونَ مِنْهُ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ العِلْمِ ، وَعَلَىٰ هَذَا فَيَكُونُ تَفْسِيْرُ الآيَةِ كَمَا أَسْلَفْنَا أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَىٰ بَنِي آدَمَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوا شِرْكًا حَقِيْقِيًّا ، فَإِنَّ مِنْهُمْ مُشْرِكًا وَمِنْهُمْ مُوَحِّدًا »[1].

وَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ -: اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيْمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ - ، كَعَبْدِ عُمَرَ ، وَعَبْدِ الكَعْبَةِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَاشَا عَبْدَ المُطَّلِبِ».

أَيْ : أَنَّهُ حَكَىٰ الاتِّفَاقَ عَلَىٰ تَحْرِيْمِ كُلِّ مَا عُبِّدَ لِغَيْرِ اللهِ ؛ لأَنَّهُ شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالإِلَهِيَّةِ ؛ لأَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ مُلْكٌ للهِ ، وَعَبِيْدٌ لَهُ اسْتَعْبَدَهُمْ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ، وَتَوْحِيْدِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَأَحْكَامُهُ القَدَرِيَّةُ جَارِيَةٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ بُدَّ ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ۝٩٣﴾ [مَرْيَمُ : ٩٣]. فَهَذِهِ هِيَ العُبُودِيَّةُ العَامَّةُ .

وَأَمَّا العُبُودِيَّةُ الخَاصَّةُ ؛ فَإِنَّهَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزُّمَرُ : ٣٦].

وَقَوْلُهُ : «حَاشَا عَبْدَ المُطَّلِبِ» .

هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- اسْتِثْنَاءٌ مِنَ العُمُومِ المُسْتَفَادِ مِنْ (كُلِّ) ، وَذَلِكَ أَنَّ

---

(١) انْظُرْ : « القَوْلَ المُفِيْدَ » (٢/ ٣٠٥) .

تَسْمِيَتُهُ بِهَذَا الاسْمِ لاَ مَحْذُورَ فِيْهِ ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الرِّقِّ ، وَذَلِكَ أَنَّ المُطَّلِبَ أَخَا هَاشِمٍ قَدِمَ المَدِيْنَةَ وَكَانَ ابْنُ أَخِيْهِ شَيْبَةُ هَذَا قَدْ نَشَأَ فِي أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَارِ مِنَ الخَزْرَجِ ، لِأَنَّ هَاشِمًا فِيْهِمْ امْرَأَةٌ ، فَجَاءَتْ مِنْهُ بِهَذَا الابْنِ، فَلَمَّا شَبَّ فِي أَخْوَالِهِ وَبَلَغَ سِنَّ التَّمْيِيْزِ سَافَرَ بِهِ عَمُّهُ المُطَّلِبُ إِلَىٰ مَكَّةَ بَلَدِ أَبِيْهِ وَعَشِيْرَتِهِ ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ وَهُوَ رَدِيْفُهُ ، فَرَآهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ بِالسَّفَرِ، فَحَسِبُوهُ عَبْدًا لِلمُطَّلِبِ ، فَقَالُوا : هَذَا عَبْدُ المُطَّلِبِ ، فَعَلِقَ بِهِ هَذَا الاسْمِ وَرَكِبَهُ ، فَصَارَ لاَ يُذْكَرُ وَلاَ يُدْعَىٰ إِلَّا بِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ لِلأَصْلِ مَعْنَىٰ مَقْصُودٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- « **أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ** » ، وَقَدْ صَارَ مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ والعَرَبِ فَهُوَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ ، وَأَشْرَفُهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي حَفَرَ زَمْزَمَ وَصَارَتْ لَهُ السِّقَايَةُ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَبْدُ اللهِ وَالِدُ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحَدُ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وَتُوُفِّيَ فِي حَيَاةِ أَبِيْهِ (٢).

وَمَا تَقَدَّمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأَعْرَافُ : ١٩٠].

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٦٤) ، ومُسْلِمٌ (١٧٧٦) .
(٢) « فَتْحُ المَجِيْدِ » (٧٠٦-٧٠٧) .

أَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- بَابٌ مُسْتَقِلٌ وَيَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيْدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، لِأَنَّ هَذَا الكِتَابَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ التَّوْحِيْدِ الثَّلَاثَةِ: تَوْحِيْدِ العِبَادَةِ، وَتَوْحِيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيْدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَتَوْحِيْدِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِمَا ثَبَتَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ عَلَىٰ وَجْهِ الحَقِيْقَةِ، بِلَا تَمْثِيْلٍ وَلَا تَكْيِيْفٍ وَلَا تَعْطِيْلٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ مُؤَنَّثُ أَحْسَنَ، وَمَعْنَىٰ ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أَيْ: البَالِغَةُ فِي الحُسْنِ أَكْمَلَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ الدُّعَاءُ هُوَ السُّؤَالُ، وَاعْلَمْ أَنَّ دُعَاءَ اللهِ بِأَسْمَائِهِ لَهُ مَعْنَيَانِ:

الأَوَّلُ: دُعَاءُ العِبَادَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمَا تَقْتَضِيْهِ تِلْكَ الأَسْمَاءُ، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ الدُّعَاءِ عِبَادَةٌ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

وَلَمْ يَقُلْ عَنْ دُعَائِي، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، فَمَثَلاً الرَّحِيْمُ يَدُلُّ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ، وَحِيْنَئِذٍ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ وَتَفْعَلُهَا.

وَالغَفُورُ يَدُلُّ عَلَىٰ المَغْفِرَةِ ، وَحِينَئِذٍ تَتَعَرَّضَ إِلَىٰ القُرْبِ مِنْهُ بِالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ، وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ .

وَالسَّمِيْعُ : يَقْتَضِي أَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمُقْتَضَىٰ السَّمِيْعِ ، بِحَيْثُ لاَ تُسْمِعُ اللهَ قَوْلاً يُغْضِبُهُ وَلاَ يَرْضَاهُ مِنْكَ .

وَالبَصِيْرُ : يَقْتَضِي أَنْ تَتَعَبَّدَ للهِ بِمُقْتَضَىٰ ذَلِكَ البَصَرِ بِحَيْثُ لاَ يَرَىٰ مِنْكَ فِعْلاً يَكْرَهُهُ .

وَالثَّانِي -أَيُّهَا النَّاسُ- دُعَاءُ المَسْأَلَةِ:وَهُوَ أَنْ تُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ مُتَوَسِّلاً بِهَا إِلَىٰ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-مَثَلاً: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، اَغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ : « **قُلْ : اللَّهُمْ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيْرًا ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ** » .

فَالثَّنَاءُ عَلَىٰ اللهِ بِأَسْمَائِهِ مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾ أَيْ : اتْرُكُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَلاَ تَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ وَلاَ طَرِيْقَتَهُمْ .

وَالإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْوَاعٌ ، فَمِنْهَا :

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٨) ، ومُسْلِمٌ (٢٧٠٥) .

النَّوْعُ الأَوَّلُ : أَنْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ أَوْ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ أَوْ الأَحْكَام .

وَ النَّوْعُ الثَّانِي : أَنْ يُثْبِتَ لِلهِ اسْمًا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ (١) .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) انْظُرْ : « القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ٣٢٠) بِاخْتِصَارٍ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

لا يُقَالُ السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، وَقَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- «﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾» .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ التَّوْحِيْدَ : « **لا يُقَالُ السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ** » لِأَنَّهُ هُوَ السَّلَامُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا : السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلانٍ وَفُلَانٍ ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لاَ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ** » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٨٣٥) ، ومُسْلِمٌ (٤٠٢) .

فَفِي هَذَا الحَدِيْث -أَيُّهَا النَّاسُ- يُخْبِرُنَا ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ الصَّحَابَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، كَانُوا إِذَا صَلَّوْا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُسَلِّمُونَ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيْرِ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ بَعْضِ الأَشْخَاصِ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ هَذَا القَوْلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّلَامَ دُعَاءٌ لِلمُسْلِمِ عَلَيْهِ بِالسَّلَامَةِ، وَاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ الغَنِيُّ عَنْ خَلْقِهِ بِالذَّاتِ، وَالعِبَادُ فُقَرَاءٌ بِالذَّاتِ، قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فَاطِرُ:١٥].

فَالعَبْدُ هُوَ الَّذِي يُعْطَىٰ السَّلَامَةَ واللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُ وَلِهَذَا كَانَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنَ الآدَابِ الوَاجِبَةِ فِي جَنَابِ الرُّبُوبِيَّةِ وَأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ أَنْ لَا يُقَالَ: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ، بَلْ أَنْ يُقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ، وَالسَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَدْعُو لَهُ بِأَنْ يُبَارِكَ بَاسْمِ اللهِ (السَّلَامُ) أَوْ أَنْ تَحُلَّ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ»[١].

وَالسَّلَامُ -أَيُّهَا النَّاسُ- سُنَّةٌ قَدِيْمَةٌ مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ: ٢٣].

---

(١) انْظُرْ: «التَّمْهِيْدَ لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (٥١١).

وَهِيَ مِنْ سُنَنِ الأَنْبِيَاءِ ، وَطَبْعِ الأَتْقِيَاءِ وَدَيْدَنِ الأَصْفِيَاءِ ، وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ أَصْبَحَ بَعْضُ النَّاسِ فِي وَحْشَةٍ ظَاهِرَةٍ وَفُرْقَةٍ وَاضِحَةٍ ، فَتَرَىٰ أَحَدَهُمْ يَمُرُّ بِجِوَارِ أَخِيْهِ وَلاَ يُلْقَىٰ عَلَيْهِ تَحِيَّةَ الإِسْلَامِ، وَالبَعْضُ يُلْقِي السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ يَعْرِفُ فَقَطْ ، وَآخَرُونَ يَتَعَجَّبُونَ أَنْ يُلْقَىٰ عَلَيْهِمْ السَّلَامَ مِنْ أُنَاسٍ لاَ يَعْرِفُهُمْ .

وَهَذَا كُلُّهُ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ تَبَاعَدَتْ القُلُوبُ وَزَادَتْ ا لفُرْقَةُ .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ** » .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[2] ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : أَيْ الإِسْلَامَ خَيْرٌ؟.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** »[3].

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٤) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٢٣٦) ، ومُسْلِمٌ (٣٩) .
(٣) انْظُرْ : « الشَّرْحَ المُيَسَّرَ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ » (٢٧٣) .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا في الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي قَوْلِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ »

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ** » .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [١] ،مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ المَسْأَلَةَ ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ** » .

وَفِي «رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ » [٢] ، « **وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ** » .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ**» (لاَ) هُنَا نَاهِيَةٌ بِدَلِيلِ جَزْمِ الفِعْلِ بَعْدَهُ وَ (لاَ) النَّاهِيَةُ تَقْتَضِي التَّحْرِيمَ .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي** » .

فَفِي الجُمْلَةِ الأُوْلَىٰ «**اغْفِرْ لِي**» النَّجَاةُ مِنَ المَكْرُوهِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ «**ارْحَمْنِي**» الوُصُولُ إِلَىٰ المَطْلُوبِ ، فَيَكُونُ هَذَا الدُّعَاءُ شَامِلاً لِكُلِّ مَا فِيهِ حُصُولُ المَطْلُوبِ وَزَوَالُ المَكْرُوهِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٣٣٩) ، ومُسْلِمٌ (٢٦٧٩) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٧٩) .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لِيَعْزِمَ المَسْأَلَةَ**» اللَّامُ هُنَا لاَمُ الأَمْرِ ، وَلاَمُ الأَمْرِ يَقْتَضِي الوُجُوبَ وَمَعْنَىٰ عَزْمِ المَسْأَلَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ لاَ يَكُونَ فِي تَرَدُّدٍ ، بَلْ يَعْزِمُ بِدُونِ تَرَدُّدٍ وَلاَ تَعْلِيْقٍ .

وَالمَسْأَلَةُ هِيَ السُّؤَالُ ، أَيْ لِيَعْزِمْ فِي سُؤَالِهِ فَلَا يَكُونُ مُتَرَدِّدًا بِقَوْلِهِ «**إِنْ شِئْتَ**» .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**» تَعْلِيْلٌ لِلنَّهْيِ عَنْ قَوْلِ : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ**» .

أَيْ : لاَ أَحَدَ يُكْرِهُ اللهَ عَلَىٰ مَا يُرِيْدُ فَيَمْنَعُهُ مِنْهُ ، أَوْ مَا لاَ يُرِيْدُ فَيُلْزِمُهُ بِفِعْلِهِ لِأَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ وَحْدَهُ[(١)] .

بِخِلاَفِ العَبْدِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُعْطِي السَّائِلَ مَسْأَلَتَهُ ؛ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، أَوْ لِخَوْفِهِ مِنْهُ ، أَوْ رَجَائِهِ ، فَيُعْطِهِ مَسْأَلَتَهُ وَهُوَ كَارِهٌ ، فَاللَّائِقُ بِالسَّائِلِ لِلمَخْلُوقِ أَنْ يُعَلِّقَ حُصُولَ حَاجَتِهِ عَلَىٰ مَشِيْئَةِ المَسْؤُولِ ، مَخَافَةَ أَنْ يُعْطِيَهُ وَهُوَ كَارِهٌ ، بِخِلاَفِ رَبِّ العَالَمِيْنَ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يَلِيْقُ بِهِ ذَلِكَ ؛ لِكَمَالِ غِنَاهُ عَنْ جَمِيْعِ خَلْقِهِ ، وَكَمَالِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكُلُّهُمْ فَقِيْرٌ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ ، لاَ يَسْتَغْنِي عَنْ رَبِّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَعَطَاؤُهُ كَلاَمٌ .

أَيْ : يَحْصُلُ بِأَمْرِهِ ؛ لِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

(١) انْظُرْ : «القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ٣٣١) .

شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

وَفي «الصَّحِيْحَيْنِ»[1]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**يَمِيْنُ اللهِ مَلْأَىٰ لاَ يَغِيْضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِيْنِهِ، وَفِي يَدِهِ الأُخْرَىٰ القِسْطُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ**».

فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- يُعْطِي لِحِكْمَةٍ وَيَمْنَعُ لِحِكْمَةٍ، وَهُوَ الحَكِيْمُ الخَبِيْرُ، فَاللَّائِقُ بِمَنْ سَأَلَ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يَعْزِمَ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لاَ يُعْطِي عَبْدَهُ شَيْئًا عَنْ كَرَاهَةٍ وَلاَ عَنْ عِظَمِ مَسْأَلَةٍ.

وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُهَا ... وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ[1]

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ مَا فِي نُفُوسِ أَرْبَابِ الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَإِنَّ العَبْدَ يُعْطِي تَارَةً، وَيَمْنَعُ أَكْثَرَ، وَيُعْطِي كَرْهًا، وَالبُخْلُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ حَالِهِ هَذِهِ فَلَيْسَ عَطَاؤُهُ بِعَظِيْمٍ، وَأَمَّا مَا يُعْطِهِ اللهُ عِبَادَهُ فَهُوَ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، يَجُودُ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ، مِنْ حِيْنِ وُضِعَتْ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ، فَنِعَمُهُ -أَيُّهَا

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٤١٩)، ومُسْلِمٌ (٩٩٣).
(٢) «دِيْوَانُ المُتَنَبِّي» (٢/ ٧٨٤) مَعَ شَرْحِ الوَاحِدِيِّ.

النَّاسُ- عَلَىٰ الجَنِيْنِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ دَارَّةٌ يُرَبِّيْهِ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ عَطَّفَ عَلَيْهِ وَالِدَيْهِ ، وَرَبَّهُ يُنَعِّمَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، يَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ اللهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ، فَإِذَا كَانَتْ عَلَىٰ الإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ ازْدَادَتْ نِعَمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- عَلَيْهِ إِذَا تَوَفَّاهُ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لاَ يُقَدِّرُ قَدْرَهَا إِلَّا اللهُ ، مِمَّا أَعَدَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ الْمُتَّقِيْنَ .

وَكُلِّ مَا يَنَالُهُ العَبْدُ مِنَ الدُّنْيَا مِنَ النِّعَمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا عَلَىٰ يَدِ مَخْلُوقٍ ، فَهُوَ بِإِذْنِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَىٰ عَبْدِهِ ، فَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَىٰ النِّعَمِ كُلِّهَا ، فَهُوَ الَّذِي شَاءَهَا وَقَدَّرَهَا ، وَأَجْرَاهَا عَنْ كَرَمِهِ ، وَجُودِهِ ، وَفَضْلِهِ ، فَلَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النَّحل: ٥٣].

وَقَدْ يَمْنَعُ - تَعَالَىٰ - عَبْدَهُ إِذَا سَأَلَهُ لِحِكْمَةٍ بِمَا يُصْلِحُ عَبْدَهُ مِنَ العَطَاءِ وَالْمَنْعِ ، وَقَدْ يُؤَخِّرُ مَا سَأَلَهُ عَبْدُهُ لِوَقْتِهِ الْمُقَدَّرِ ، أَوْ لِيُعْطِيَهُ أَكْثَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ [١].

وَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَرِيْمٌ لاَ يَبْخَلُ، غَنِيٌّ لاَ يَعْدِمُ ، فَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ لِلإِنْسَانِ طَلَبَتُهُ الَّتِي طَلَبَهَا مِنْ رَبِّهِ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِمَانِعٍ مِنَ الْمَوَانِعِ ، وَهُوَ إِمَّا أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ

(١) انْظُرْ: « فَتْحَ المَجِيْدِ» (٤٥٤) .

وَتَعَالَىٰ- لَمْ يُعْطِهِ مَسْأَلَتَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ ذَلِكَ عِنْدَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ، أَوْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يُرِيدُ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ بِقَدْرِ مَسْأَلَتِهِ، أَوْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يُرِيدُ أَنْ يَدَّخِرَ لَهُ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ، وَيَرَىٰ المَصْلَحَةَ فِي عَدَمِ إِجَابَتِهِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ دَعْوَتَهُ كَانَ يَنْقُصُهَا الإِخْلَاصُ وَالإِيمَانُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ المَوَانِعِ [(١)].

أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَالبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ الأَدَبِ المُفْرَدِ» [(٢)]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِإِحْدَىٰ ثَلَاثَةٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»، قَالُوا: إِذَنْ نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**».

بَلْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَغْضَبُ عَلَيْهِ كَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» [(٣)]، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) «الشَّرْحُ المُوجَزُ المُمَهِّدُ لِتَوْحِيدِ الخَالِقِ المُمَجَّدِ» لِلنَّجْمِيِّ (٢٠٦).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ١٨)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» (٧١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٧٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٤٦٧).

(٣) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٧٣)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (٣/ ٣٧٤).

اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ** » .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلْيُعْظِمْ الرَّغْبَةَ** » .

أَيْ : فِي سُؤَالِهِ رَبَّهُ حَاجَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يُعْطِي العَظَائِمَ كَرَمًا، وَجُودًا ، وَإِحْسَانًا .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ** » .

أَيْ : لَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَهُ بِعَظِيْم ، وَإِنْ عَظُمَ فِي نَفْسِ المَخْلُوقِ ؛ لأَنَّ سَائِلَ المَخْلُوقِ لاَ يَسْأَلُ إِلَّا مَا يَهُونُ عَلَيْهِ بَذْلُهُ بِخِلاَفِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فَإِنَّ عَطَاءَهُ كَلاَمٌ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢].

سُبْحَانَ مَنْ لاَ يُقَدِّرُ الخَلْقُ قَدْرَهُ ، لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ[١] .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلْيُعْظِمْ الرَّغْبَةَ** » أَيْ : لِيَسْأَلْ مَا شَاءَ مِنْ قَلِيْلٍ وَكَثِيْرٍ وَلاَ يَقُلْ : هَذَا كَثِيْرٌ لاَ أَسْأَلُ اللهَ إِيَّاهُ ، وَلِهَذَا قَالَ : « **فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ** » أَيْ : لاَ يَكُونُ الشَّيْءُ عَظِيمًا عِنْدَهُ حَتَّىٰ يَمْنَعَهُ وَيَبْخَلَ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كُلُّ شَيْءٍ يُعْطِيْهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَظِيْمًا عِنْدَهُ، فَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَبْعَثُ الخَلْقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَذَا أَمْرٌ عَظِيْمٌ ، لَكِنَّهُ عَلَيْهِ يَسِيْرٌ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التَّغَابُنُ:٧].

---

(١) « فَتْحُ المَجِيْدِ » (٧٢٥) .

وَلَيْسَ بِعَظِيْمٍ ، فَكُلُّ مَا يُعْطِيْهِ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَلَيْسَ بِعَظِيْمٍ يَتَعَاظَمُهُ ، أَيْ : لاَ يَكُونُ الشَّيْءُ عَظِيْمًا عِنْدَهُ حَتَّىٰ لاَ يُعْطِيَهُ ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - هَيِّنٌ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ الطَّالِبُ مُسْتَغْنٍ عَنْ اللهِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنْ شِئْتَ فَافْعَلْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَلاَ تَفْعَلْ فَأَنَا لاَ يُهِمُّنِي ، وَلِهَذَا قَالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلْيُعْظِمْ الرَّغْبَةَ** » أَيْ : لِيَسْأَلْ بِرَغْبَةٍ عَظِيْمَةٍ ، وَالتَّعْلِيْقُ يُنَافِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ المُعَلِّقَ لِلشَّيْءِ المَطْلُوبِ يُشْعِرُ تَعْلِيْقُهُ بِأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ ، وَالإِنْسَانُ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ غَايَةَ الافْتِقَارِ، وَأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا سَأَلَ ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ يَعْظُمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، بَلْ هُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ ، إِذًا مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَلَّا يَدْعُوَ العَبْدُ بِهَذِهِ الصِّيْغَةِ، بَلْ يَجْزِمُ فَيَقُولُ : اللَّهُمْ اغْفِرْ لِي ، اللَّهُمْ ارْحَمْنِي ، اللَّهُمْ وَفِّقْنِي ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ [١].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) انْظُرْ : « القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ٣٣٣) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

لَا يَقُولُ : عَبْدِي وَأَمَتِي

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي قَوْلِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **لَا يَقُولُ : عَبْدِي وَأَمَتِي**» .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [1] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّيءْ رَبَّكَ ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي ، وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ ، وَفَتَاتِي ، وَغُلَامِي** » .

هَذِه الأَلْفَاظِ المَنْهِيِّ عَنْهَا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَإِنْ كَانَتْ تُطْلَقُ لُغَةً ؛ فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَهَىٰ عَنْهَا ؛ تَحْقِيْقًا لِلتَّوْحِيْدِ ، لِمَا فِيْهَا مِنَ التَّشْرِيْكِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ رَبَّ العِبَادِ جَمِيْعِهِمْ ، فَإِذَا أُطْلِقَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٥٥٢) ، ومُسْلِمٌ (٢٢٤٩) .

عَلَىٰ غَيْرِهِ ؛ شَارَكَهُ فِي هَذَا الاسْمِ ، فَيَنْهَىٰ عَنْهُ لِذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدَ بِذَلِكَ التَّشْرِيْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي هِيَ وَصْفُ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَإِنَّمَا المَعْنَىٰ أَنَّ هَذَا مَالِكٌ لَهُ ، فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ هَذَا اللَّفْظُ بِهَذَا الاعْتِبَارِ ، فَالنَّهْيُ عَنْهُ حَسْمًا لِمَادَّةِ التَّشْرِيْكِ بَيْنَ الخَالِقِ وَالمَخْلُوقِ ، وَتَحْقِيْقًا لِلتَّوْحِيْدِ ، وَبُعْدًا عَنِ الشِّرْكِ حَتَّىٰ فِي اللَّفْظِ ، وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ أَحْسَنِ مَقَاصِدِ الشَّرِيْعَةِ ، لِمَا فِيْهِ مِنْ تَعْظِيْمِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَبُعْدِهُ عَنْ مُشَابَهَةِ المَخْلُوقِيْنَ ، فَأَرْشَدَهُمْ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ مَا يَقُومُ مَقَامَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ ، وَهُوَ قَوْلِهِ (سَيِّدِي وَمَوْلَايَ) .

وَكَذَا قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي ، وَأَمَتِي** » لِأَنَّ العَبِيْدَ عَبِيْدُ اللهِ ، وَالإِمَاءُ إِمَاءُ اللهِ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مَرْيَمُ : ٩٣].

فَفِي إِطْلَاقِ هَاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ تَشْرِيْكٌ فِي اللَّفْظِ ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، تَعْظِيْمًا للهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَدَبًا وَبُعْدًا عَنِ الشِّرْكِ ، وَتَحْقِيْقًا لِلتَّوْحِيْدِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَقُولُوا : فَتَايَ ، وَفَتَاتِي ، وَغُلَامِي ، وَهَذَا مِنْ بَابِ حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَنَابَ التَّوْحِيْدِ ، فَقَدْ بَلَّغَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ كُلَّ مَا لَهُمْ فِيْهِ نَفْعٌ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَا فِيْهِ نَقْصٌ فِي الدِّيْنِ، فَلاَ خَيْرَ إِلَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ ، خُصُوصًا فِي التَّوْحِيْدِ ، وَلاَ شَرَّ إِلَّا

حَذَّرَهُمْ عَنْهُ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - خُصُوصًا مَا يُقَرِّبُ مِنَ الشِّرْكِ لَفْظًا وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ.

وَالحُكْمُ فِي ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنْ يُضِيْفَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: عَبْدُ فُلَانٍ أَوْ أَمَةُ فُلَانٍ، فَهَذَا جَائِزٌ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ**﴾ [النُّورُ: ٣٢].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَيْسَ عَلَىٰ المُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلاَ فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**».

الثَّانِي: أَنْ يُضِيْفَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَلَهُ صُورَتَانِ:

الأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ بِصِغْيَةِ الخَبَرِ، مِثْلُ: أَطْعَمْتُ عَبْدِي، كَسَوْتُ عَبْدِي، أَعْتَقْتُ عَبْدِي، فَإِنْ قَالَ هَذَا فِي غَيْبَةِ العَبْدِ أَوْ الأَمَةِ، فَلاَ بَأْسَ بِهِ، وَإِنْ قَالَهُ فِي حَضْرَةِ العَبْدِ أَوْ الأَمَةِ، فَإِنْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مَفْسَدَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالعَبْدِ أَوْ السَّيِّدِ مَنَعَ، وَإِلَّا فَلَا؛ لِأَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ لاَ يَقْصِدُ العُبُودِيَّةَ الَّتِي هِيَ الذُّلُّ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ بِصِيْغَةِ النِّدَاءِ، فَيَقُولُ السَّيِّدُ: يَا عَبْدِي هَاتِ كَذَا،

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٤٦٤)، ومُسْلِمٌ (٩٨٢).

فَهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي النَّهْيِ هَلْ هُوَ لِلكَرَاهَةِ أَوْ التَّحْرِيْمِ، وَالرَّاجِحُ التَّفْصِيْلُ فِي ذَلِكَ ، وَأَقَلُّ أَحْوَالِهِ الكَرَاهَةُ [1] .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

(١) انْظُرْ : « القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ٣٣٩) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ وَلَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ ، وَلا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ** » .

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ» [١] ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيْذُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ ، فَادْعُوا لَهُ ، حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ** » .

فَقَوْلُهُ: «**لاَ يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ**» -أَيُّهَا النَّاسُ- لِأَنَّ مَنْعَ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ أَوْ بِوَجْهِ اللهِ مِنْ عَدَمِ تَعْظِيْمِ اللهِ وَإِجْلَالِهِ ، وَقَدْ جَاءَ الوَعِيْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ [٢] بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ » مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥١٠٩) ، وَصَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ الْمُسْنَدِ» (٧٣٦) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٢١١٢) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ» (٨٥١) .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هَجْرًا** » .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ [1] بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ» مِنْ حَدِيْثِ أَبِي عُبَيْدَةَ مَوْلَىٰ رِفَاعَ بْنِ رَافِعٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَلْعُونٌ مَنْ يَسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ فَمَنَعَ سَائِلَهُ** » .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا فِي الحَدِيْثِ المُتَقَدِّمِ : «**وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيْذُوهُ** » تَعْظِيْمًا للهِ وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، فَإِذَا قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكَ، أَوْ شَرِّ فُلانٍ ، فَامْنَعُوا الشَّرَّ مِنْهُ ، وَكُفُّوا عَنْهُ ؛ لِتَعْظِيْمِ اسْمِ اللهِ ، وَلَمَّا قَالَتْ الجَونِيَّةُ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« **أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ** »،« كَمَا فِي صَحِيْحِ البُخَارِيِّ» [2] ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ** (أَي: بِعَظِيْمٍ) **الحِقِي بِأَهْلِكِ** ».

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ** » أَيْ : إِذَا قَالَ: أَسْأَلُكَ بِاللهِ أَوْ بِوَجْهِ اللهِ ، كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (٢٢/ ٣٧٧) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ» (٨٥٣) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٢٥٤) .

-رَحِمَهُ اللهُ- في « صَحِيْحِ الجَامِعِ » (١)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ** » .

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «الصَّحِيْحَةِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِ النَّاسِ؟! ، رَجُلٌ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ وَلَا يُعْطِي** » .

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوهُ** » أَيْ: مَنْ دَعَاكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ فَأَجِيْبُوهُ، وَالحَدِيْثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَعَمُّ مِنَ الوَلِيْمَةِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ الوُجُوبِ إِلَىٰ وَلِيْمَةِ العُرْسِ وَغَيْرِهَا، وَإِنْ كَانَتْ وَلِيْمَةُ العُرْسِ أَوْكَدَ وَأَوْجَبَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الأُلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ (٣).

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللهُ- : « ظَاهِرُ الحَدِيْثِ وُجُوبُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ إِلَّا دَعْوَةَ العُرْسِ، فَإِنَّهَا وَاجِبَةٌ، لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : كَمَا فِي

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥١٠٨) وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ » (٦٠٢٠).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٦٥٢) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « الصَّحِيْحَةِ » (١٤٨٢).

(٣) « الشَّرْحُ المُيَسَّرُ لِكِتَابِ التَّوْحِيْدِ » (٢٨٥).

«الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : « **شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيْمَةِ ، يُدْعَىٰ إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا وَيُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيْهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ** » .

وَسَوَاءٌ قِيْلَ بِالوُجُوبِ أَوْ الاسْتِحْبَابِ فَإِنَّهُ يُشْتَرَطُ لِذَلِكَ شُرُوطٌ :

الشَّرْطُ الأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي مِمَّنْ لاَ يَجِبُ هَجْرُهُ أَوْ يُسَنُّ .

الشَّرْطُ الثَّانِي : أَلَّا يَكُونَ هُنَاكَ مُنْكَرٌ فِي مَكَانِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُنْكَرٌ ، فَإِنْ أَمْكَنَهُ إِزَالَتُهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الحُضُورُ لِسَبَبَيْنِ :

السَّبَبُ الأَوَّلُ : إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ .

السَّبَبُ الثَّانِي : تَغْيِيْرُ المُنْكَرِ .

وَإِنْ كَانَ لاَ يُمْكِنُهُ إِزَالَةُ المُنْكَرِ حَرُمَ عَلَيْهِ الحُضُورُ ؛ لِأَنَّ حُضُورَهُ يَسْتَلْزِمُ إِثْمَهُ ، وَمَا اسْتَلْزَمَ الإِثْمَ فَهُوَ إِثْمٌ .

السَّبَبُ الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ الدَّاعِيْ مُسْلِمًا وَإِلَّا لَمْ تَجِبْ الإِجَابَةُ ، لِمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِم » (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **حَقُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ سِتٌّ......** » ، وَذَكَرَ مِنْهَا « **إِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ** » . قَالُوا : هَذَا مُقَيِّدٌ لِلعُمُومِ الوَارِدِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥١٧٧) ، ومُسْلِمٌ (١٤٣٢) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٠٤) .

السَّبَبُ الرَّابِعُ: أَنْ لَا يَكُونَ كَسْبُهُ حَرَامًا؛ لِأَنَّ إِجَابَتَهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَأْكُلَ طَعَامًا حَرَامًا.

السَّبَبُ الخَامِسُ: أَنْ لَا تَتَضَمَّنَ الإِجَابَةُ إِسْقَاطَ وَاجِبٍ أَوْ مَا هُوَ أَوْجَبُ مِنْهَا فَإِنْ تَضَمَّنَتْ ذَلِكَ حَرُمَتْ الإِجَابَةُ.

السَّبَبُ السَّادِسُ: أَنْ لَا تَتَضَمَّنَ ضَرَرًا عَلَىٰ المُجِيبِ، مِثْلَ أَنْ تَحْتَاجَ إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ سَفَرٍ أَوْ مُفَارَقَةِ أَهْلِهِ المُحْتَاجِيْنَ إِلَىٰ وُجُودِهِ بَيْنَهُمْ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ** » المَعْرُوفُ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ الإِحْسَانُ؛ فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ بِهَدِيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا؛ فَكَافِئْهُ، فَإِذَا أَحْسَنَ إِلَيْكَ بِإِنْجَازِ مُعَامَلَةٍ وَكَانَ عَمَلُهُ زَائِدًا عَنِ الوَاجِبِ عَلَيْهِ، فَكَافِئْهُ، وَهَكَذَا، لَكِنْ إِذَا كَانَ كَبِيْرَ الشَّأْنِ وَلَمْ تَجْرِ العَادَةُ بِمُكَافَأَتِهِ؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُكَافِئَهُ، كَالمَلِكِ أَوْ الرَّئِيسِ ... مَثَلًا، إِذَا أَعْطَاكَ هَدِيَّةً فَمِثْلُ هَذَا يُدْعَىٰ لَهُ؛ لِأَنَّكَ لَوْ كَافَأْتَهُ لَرَأَىٰ أَنَّ فِي ذَلِكَ غَضًّا مِنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ مُسِيْئًا لَهُ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرَادَ أَنْ تُكَافِئَهُ لِإِحْسَانِهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَىٰ مُكَافَئَةِ صَانِعِ المَعْرُوفِ إِلَيْكَ فَادْعُ لَهُ وَبَالِغْ فِي الدُّعَاءِ لَهُ جَهْدَكَ حَتَّىٰ تَحْصُلَ المُكَافَأَةُ، وَلِهَذَا أَرْشَدَنَا نَبِيُّنَا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَجِدْ المُكَافَأَةُ يَقُومُ مَقَامَ المُكَافَأَةِ، فَيَدْعُو لَهُ عَلَىٰ حَسَبِ مَعْرُوفِهِ، وَوَجْهُ المُبَالَغَةِ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي نَفْسِهِ تَقْصِيْرًا فِي المُجَازَاةِ

لِعَدَمِ القُدْرَةِ عَلَيْهَا فَأَحَالَهَا إِلَىٰ اللهِ ، وَنِعْمَ المُجَازِي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ** » .

وَ لِلمُكَافَأَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَائِدَتَانِ :

الفَائِدَةُ الأُوْلَىٰ : تَشْجِيْعُ ذَوِي المَعْرُوفِ عَلَىٰ فِعْلِ المَعْرُوفِ .

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ : يَكْسِرُ بِهَا الذُّلَّ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِصُنْعِ المَعْرُوفِ إِلَيْهِ ؛ لأَنَّ مَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِكَ رِقَّةٌ لَهُ ، فَإِذَا رَدَدْتَ إِلَيْهِ مَعْرُوفَهُ زَالَ عَنْكَ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢] ،مِنْ حَدِيْثِ حَكِيْمِ بْنِ حِزَامٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ** » ، وَ اليَدُ العُلْيَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هِيَ يَدُ المُعْطِي ، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيْمَةٌ لِمَنْ صُنِعَ لَهُ مَعْرُوفًا ، لِئَلَّا يَرَىٰ لأَحَدٍ عَلَيْهِ مِنَّةً إِلَّا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ كَرِيْمًا جِدًّا ، فَإِذَا كَافَأْتَهُ بَدَلَ هَدِيَّتِهِ أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَهُ ؛ فَهَذَا لا يُرِيْدُ مُكَافَأَةً وَلَكِنْ يُدْعَىٰ لَهُ ، لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ ، فَادْعُوا لَهُ** » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٣٩) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٥) ، ومُسْلِمٌ (٧١٧) .

وَكَذَلِكَ الفَقِيْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِذَا لَمْ يَجِدْ مُكَافَأَةَ الغَنِيِّ ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو لَهُ وَيَكُونُ الدُّعَاءُ بَعْدَ الإِهْدَاءِ مُبَاشَرَةً ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ المُسَارَعَةِ إِلَىٰ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَلِأَنَّ بِهِ سُرُورَ صَانِعِ المَعْرُوفِ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ** » .

(**تَرَوْا**) بِفَتْحِ التَّاءِ بِمَعْنَىٰ تَعْلَمُوا ، وَتَجُوزُ بِضَمِّ التَّاءِ ، بِمَعْنَىٰ تَظُنُّوا أَيْ: حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَوْ يَغْلِبَ عَلَىٰ ظَنِّكُمْ أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَمْسِكُوا [١] .

أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتَقِلُ بِكُمْ إِلَىٰ بَابٍ مُهِمٍّ مِنْ أَبْوَابِ التَّوْحِيْدِ وَهُوَ لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ .

أَيْ لاَ يَجُوزُ ذَلِكَ إِجْلالاً لِلهِ ، وَإِعْظَامًا لَهُ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِهِ العَظِيْمِ مَا هُوَ حَقِيْرٌ لَدَيْهِ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا مَا لَمْ يُرِدْ بِهِ غَايَةَ المَطَالِبِ وَهِيَ الجَنَّةَ أَوْ الإِعَانَةُ عَلَىٰ أَعْمَالِ الآخِرَةِ المُوْصِلَةِ إِلَىٰ الجَنَّةِ .

فَهَذَا المَطْلَبُ الأَسْنَىٰ هُوَ الَّذِي يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ ، وَفِيْهَا النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وَفِيْهَا النَّعِيْمُ المُقِيْمُ ، وَجْهُ اللهِ لَهُ شَرَفُهُ العَظِيْمُ فَلاَ يُسْأَلُ بِهِ إِلَّا الجَنَّةُ .

وَكَذَلِكَ مَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا كَأَنْ يَسْأَلَ الإِخْلَاصَ وَالتَّوْفِيْقَ لِلخَيْرِ وَالاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الطَّاعَةِ ، فَمَا يُقَرِّبُ إِلَىٰ الجَنَّةِ هُوَ مَنْ طَلَبَ الجَنَّةِ .

(١) انْظُرْ : «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (١٧٦) ، وَ« القَوْلَ المُفِيْدَ » (٢/ ٣٥٩) بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ .

وَكَذَلِكَ أُمُورُ الآخِرَةِ تُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ كَقَوْلِكَ : أَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ أَنْ تُنْجِّيَنِي مِنَ النَّارِ ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَعَاذَ بِوَجْهِ اللهِ .

فَفِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ »[1] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قَالَ : « **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** » ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قَالَ: « **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** » ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قَالَ: « **هَذِهِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ** »[2].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٤٦٢٨) .

(٢) انْظُرْ: «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (٧١٨)، وَ«القَوْلَ السَّدِيْدَ» لِلسَّعْدِيِّ (٨٥)، « وَشَرْحَ التَّوْحِيْدِ »لابْنِ بَازٍ (٣٤٢) . وَ« القَوْلَ المُفِيْدَ » لِلعُثَيْمِيْنَ (٢/ ٣٥٩) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَا جَاءَ فِي كَلِمَةِ (لَوْ)

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ، وَلَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي كَلِمَةِ (لَوْ)**». وَبِذَلِكَ يَكْتَمِلُ العِقْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ -تَعَالَىٰ-.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا**﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٥٤].

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيْرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الوَادِعِيُّ فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيْهِ -رَضِيَ

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيْرِهِ (٣/ ٧٩٥)، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ» (٥٩).

اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِيْنَ اشْتَدَّ الخَوْفُ عَلَيْنَا ، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ ، فَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِه، قَالَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلُ مُعْتِبِ بْنِ مَشِيْرٍ مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالحُلُمِ: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ لِقَوْلِ مُعْتِبٍ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾[آلُ عِمْرَانَ : ١٥٤] أَيْ : هَذَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، وَحُكْمٌ حَتْمٌ لاَزِمٌ لاَ مَحِيْدَ عَنْهُ وَلاَ مَنَاصَ مِنْهُ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ : ١٦٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « أَيْ : لَوْ سَمِعُوا مُشَاوَرَتَنَا عَلَيْهِمْ بِالقُعُودِ وَعَدَمِ الخُرُوجِ مَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آلُ عِمْرَانَ : ١٦٨].

أَيْ : إِذَا كَانَ القُعُودُ يَسْلَمُ بِهِ الشَّخْصُ مِنَ القَتْلِ أَوْ المَوْتِ فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ لاَ تَمُوتُوا ، وَالمَوْتُ لاَ بُدَّ آتٍ إِلَيْكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ »(١) .

---

(١) « تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ » (٢/ ١٦٠) .

وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلاَ تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**.

فَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ**» أَيْ فِي إِيْمَانِهِ، وَمَا يَقْتَضِيْهِ إِيْمَانُهُ، فَفِي إِيْمَانِهِ يَعْنِي: مَا يَحُلُّ فِي قَلْبِهِ مِنَ اليَقِيْنِ الصَّادِقِ الَّذِي لاَ يَعْتَرِيْهِ شَكٌّ.

وَلاَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ قُوَّةُ البَدَنِ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي قُوَّةِ بَدَنِهِ مَا يَزِيْدُ إِيْمَانَهُ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ**» أَيْ فِي تَأْثِيْرِهِ وَآثَارِهِ، فَهُوَ يَنْفَعُ وَيُقْتَدَىٰ بِهِ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ بِاعْتِبَارِ الثَّوَابِ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ**» وَذَلِكَ فِي الإِيْمَانِ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**» أَيْ: فِي كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنِ القَوِيِّ وَالمُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ خَيْرٌ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الاحْتِرَاسِ؛ حَتَّىٰ لاَ يُظَنَّ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي الضَّعِيْفِ.

وَقَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ**» الحِرْصُ: بَذْلُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٥٢).

الجَهْدِ لِنَيْلِ مَا يَنْفَعُ مِنْ أَمْرِ الدِّيْنِ أَوْ الدُّنْيَا[١].

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : «لَمَّا كَانَ حِرْصُ الإِنْسَانِ وَفِعْلُهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَعُونَةِ اللهِ وَمَشِيْئَتِهِ وَتَوْفِيْقِهِ ، أَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِهِ ؛ لِيَجْمَعَ لَهُ مَقَامَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَةُ: ٥] ، فَإِنَّ حِرْصَهُ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ عِبَادَةٌ لِلهِ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَعْبُدَهُ وَأَنْ يَسْتَعِيْنَ بِهِ»[٢].

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَلاَ تَعْجَزَنْ**» .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : «العَجْزُ يُنَافِي حِرْصَهُ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ ، وَيُنَافِي اسْتِعَانَتَهُ بِاللهِ ، فَالحَرِيْصُ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ المُسْتَعِيْنُ بِاللهِ ضِدُّ العَاجِزِ»[٣].

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّني فَعَلْتُ كَذَا ، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» أَيْ : أَنَّ العَبْدَ إِذَا فَاتَهُ مَا لَمْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَلَهُ حَالَتَانِ :

الحَالَةُ الأُوْلَىٰ:حَالَةُ عَجْزٍ،وَهِيَ مُفْتَاحُ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَيُلَقِّنُهُ (لَوْ)، وَلاَ فَائِدَةَ فِي (لَوْ) هَهُنَا، بَلْ هِيَ مُفْتَاحُ اللَّوْمِ والجَزَعِ وَالسَّخَطِ وَالحُزْنِ وَالأَسَفِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَنَهَاهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(١) انْظُرْ : «القَوْلَ المُفِيْدَ» (٢/ ٣٦٧) .

(٢) «شِفَاءُ العَلِيْلِ» (١/ ١٩) .

(٣) «المَرْجِعُ السَّابِقُ» (١/ ١٩) .

عَنْ افْتِتَاحِ عَمَلِهِ بِهَذَا الْمِفْتَاحِ، وَأَمَرَهُ بِالحَالَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ القَدَرِ وَمُلاحَظَتُهُ ، وَأَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ لَهُ لَمْ يَفُتْهُ ، وَلَمْ يَغْلِبْهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ هَهُنَا أَنْفَعُ مِنْ شُهُودِ القَدَرِ وَمَشِيْئَةِ الرَّبِّ النَّافِذَةِ الَّتِي تُوْجِبُ وُجُودَ المَقْدُورِ[1].

وَكَلِمَةُ (لَوْ) -أَيُّهَا النَّاسُ- تُسْتَعْمَلُ فِي عِدَّةِ أَوْجُهٍ :

الوَجْهُ الأَوَّلُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ الشَّرْعِ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا** ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٨].

الثَّانِي : أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الاعْتِرَاضِ عَلَىٰ القَدَرِ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا** ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٦] أَيْ : لَوْ أَنَّهُمْ بَقَوْا مَا قُتِلُوا ، فَهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَىٰ قَدَرِ اللهِ .

الثَّالِثُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ لِلنَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ - أَيْضًا - لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَفْتَحُ النَّدَمَ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ؛ لِأَنَّ النَّدَمَ يُكْسِبُ النَّفْسَ حُزْنًا وَانْقِبَاضًا ، وَاللهُ يُرِيْدُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ فِي انْشِرَاحٍ وَانْبِسَاطٍ .

الرَّابِعُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الاحْتِجَاجِ بِالقَدَرِ عَلَىٰ المَعْصِيَةِ كَقَوْلِ الْمُشْرِكِيْنَ ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٤٨] . وَهَذَا بَاطِلٌ .

الخَامِسُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي التَّمَنِّي ، وَحُكْمُهُ حَسَبُ الْمُتَمَنَّىٰ : إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ .

---

(١) « شِفَاءُ العَلِيْلِ » (١/ ١٩) .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي « صَحِيْحِ الجَامِعِ »[(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي قِصَّةِ النَّفَرِ الأَرْبَعَةِ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : « لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ» ، فَهَذَا تَمَنَّىٰ خَيْرًا » . وَقَالَ الثَّانِي : « لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ» ، فَهَذَا تَمَنَّىٰ شَرًّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الأَوَّلِ : « **فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**» ، وَقَالَ فِي الثَّانِي : « **فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ** » .

السَّادِسُ : أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الخَبَرِ المَحْضِ ، وَهَذَا جَائِزٌ : مِثْلُ : لَوْ حَضَرْتُ الدَّرْسَ لاسْتَفَدْتُ » .

وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ وَلَأَحْلَلْتُ مَعَكُمْ** » .

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : أَنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ سَيَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا سَاقَ الهَدْيَ وَلَأَحَلَّ [(٣)].

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ،

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨١٩٤) ،وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٣٠٢٤) .

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٢٢٩) ، ومُسْلِمٌ (١٢١١) .

(٣) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٣٦٣) .

وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيْحِ

وَبَابُ قَوْلِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَـوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **النَّهْي عَنْ سَبِّ الرِّيحِ**» ، ثُمَّ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آلَ عِمْرَان: ١٥٤].

فَأَمَّا سَبُّ الرِّيحِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ»(١)، مِنْ حَدِيْثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **لاَ تَسُبُّوا الرِّيْحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُوْنَهُ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيْهَا ، وَخَيْرِ مَا مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيْهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ** » .

وَلِمَاذَا النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَّا لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَهُبُّ عَلَىٰ إِيْجَادِ اللهِ لَهَا ، وَخَلْقِهِ لَهَا ، وَأَمْرِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهَا فَسَبُّهَا مَسَبَّةٌ لِلفَاعِلِ ، وَهُوَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَاعْتِرَاضٌ عَلَيْهِ ، فَالنَّهْيُ لِلتَّحْرِيمِ ، لِأَنَّ سَبَّهَا

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٢٥٢) ،وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٦) .

سَبٌّ لِمَنْ خَلَقَهَا وَأَرْسَلَهَا وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ سَبِّ الرِّيْحِ وَسَبِّ الدَّهْرِ ، وَسَبُّ الرِّيْحِ قَدْ يَصِلُ إِلَىٰ الكُفْرِ ، وَذَلِكَ إِذَا نُسِبَ الفِعْلُ إِلَىٰ الرِّيْحِ ، أَوْ قُصِدَ بِسَبِّهَا سَبُّ فَاعِلِهَا وَخَالِقِهَا ، وَهُوَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

فَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيْحَ** » .

أَيْ : لاَ تَشْتِمُوهَا وَلاَ تَلْعَنُوهَا لِأَنَّ سَبَّ المَخْلُوقِ سَبٌّ لِخَالِقِهِ ، فَلَوْ وَجَدْتَ قَصْرًا مَبْنِيًّا وَفِيهِ عَيْبٌ ، فَسَبَبْتَهُ ؛ فَهَذَا السَّبُّ يَنْصَبُّ عَلَىٰ مَنْ بَنَاهُ، وَكَذَلِكَ سَبُّ الرِّيْحِ ؛ لِأَنَّهَا مُدَبَّرَةٌ مُسَخَّرَةٌ عَلَىٰ مَا تَقْتَضِيْهِ حِكْمَةُ اللهِ .

فَلاَ يَجُوزُ سَبُّهَا فَيَرْجِعُ السَّبُّ إِلَىٰ مَنْ خَلَقَهَا وَسَخَّرَهَا ، فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ فِي«الصَّحِيحِ المُسْنَدِ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**الرِّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، تَأْتِي بِالنِّعْمَةِ وَبِالعَذَابِ ، فَلاَ تَسُبُّوهَا ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ مِنْ خَيْرِهَا ، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا** » .

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ » [٢]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلاً

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٩٧) ،وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيحِ المُسْنَدِ» (١/ ١٥٤) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٩٠٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي«صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٤١٠٢) .

لَعَنَ الرِّيْحَ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: « **لاَ تَلْعَنُوا الرِّيْحَ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ إِلَيْهِ** » .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُوْنَهُ** » أَيْ : مِنَ الرِّيْحِ إِمَّا شِدَّةَ حَرِّهَا أَوْ بَرْدِهَا أَوْ قُوَّتِهَا ، فَارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِالتَّوْحِيْدِ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيْحِ، وَخَيْرِ مَا فِيْهَا ، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيْحِ، وَشَرِّ مَا فِيْهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ** » .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَيْفَ أَرْشَدَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَىٰ الرُّجُوعِ إِلَىٰ خَالِقِهَا وَآمِرِهَا الَّذِي أَزِمَّةُ الأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِهِ ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ خَيْرَهَا وَخَيْرُ مَا فِيْهَا ، وَالاسْتِعَاذَةَ بِهِ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعْمَةٌ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ ، وَلا اسْتُدْفِعَتْ نِقْمَةٌ بِمِثْلِ الالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالتَّعَوُّذِ بِهِ ، وَالاضْطِرَارِ إِلَيْهِ وَدُعَائِهِ ، وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا عَصَفَتْ الرِّيْحُ قَالَ : « **اللَّهُمْ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيْهَا ، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعَوَّذُ بِكَ شَرِّهَا ، وَشَرِّ مَا فِيْهَا ، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ** » .

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٩٩) .

فَشَرَعَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِعِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَسْتَعِيْذُوهُ مِنْ شَرِّ مَا يَضُرُّهُمْ، فَفِيْهِ عُبُودِيَّةُ اللهِ وَحْدَهُ، وَالطَّاعَةُ لَهُ، وَالإِيْمَانُ بِهِ، وَاسْتِدْفَاعُ الشُّرُورِ بِهِ، وَالتَّعَرُّضُ لِفَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ التَّوْحِيْدِ[1].

ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- خُلَاصَةُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤].

وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ [الفَتْح: ٦]، فَفِي الآيَةُ الأُوْلَىٰ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَنْبِيْهٌ عَلَىٰ وُجُوبِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، لأَنَّهُ مِنْ وَاجِبَاتِ التَّوْحِيْدِ، وَأَوَّلُ الآيَةِ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤].

وَهُمْ أَهْلُ الإِيْمَانِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوَكُّلِ، الجَازِمِيْنَ بِأَنَّ اللهَ يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَيُظْهِرُ دِيْنَهُ عَلَىٰ الدِّيْنِ كُلِّهِ: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤]، لاَ يَغْشَاهُمْ النُّعَاسُ مِنَ القَلَقِ وَالجَزَعِ وَالخَوْفِ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤]، وَهُوَ التَّكْذِيْبُ بِالقَدَرِ وَأَنَّ الأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ تَبَعًا لَهُمْ، يَسْمَعُونَ

---

(١) انْظُرْ: «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (٧٦٨-٧٦٩).

مِنْهُمْ لَمَا أَصَابَهُمْ القَتْلُ ، وَلَكَانَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ لَهُمْ ، فَأَكْذَبَهُمْ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِي هَذَا الظَّنِّ البَاطِلِ الَّذِي هُوَ ظَنُّ الجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ الظَّنُّ المَنْسُوبُ إِلَىٰ أَهْلِ الجَهْلِ ، الَّذِيْنَ يَزْعُمُونَ بَعْدَ نُفُوذِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَادِرِيْنَ عَلَىٰ دَفْعِهِ ، وَأَنَّ الأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَيْهِمْ لَمَا نَفَذَ القَضَاءُ ، وَلَمَّا قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ : قُتِلَ بَنُو الخَزْرَجِ اليَوْمَ ، قَالَ : وَهَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟، أَيْ: لَو كَانَ الأَمْرُ إِلَيْنَا مَا أَصَابَهُمْ القَتْلُ، فَأَكْذَبَهُمْ اللهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ **قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ** ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٤] ، فَلاَ يَكُونُ إِلَّا مَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ، وَجَرَىٰ بِهِ كِتَابُهُ السَّابِقُ ، وَهَذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ** ﴾ [الفَتْحُ:١٢] .

وَقَدْ ظَنَّ هَؤُلَاءِ المُنَافِقُونَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ المُشْرِكِيْنَ لَمَّا ظَهَرُوا تِلْكَ السَّاعَةَ أَنَّهَا الفَيْصَلَةُ ، وَأَنَّ الإِسْلَامَ قَدْ بَادَ وَأَهْلَهُ ، وَهَذَا شَأْنُ أَهْلِ الرَّيْبِ وَالشَّكِّ إِذَا حَصَلَ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ الفَظِيْعَةِ ، تَحْصُلُ لَهُمْ هَذِهِ الأُمُورِ الشَّنِيْعَةُ» [(١)].

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾** ﴾ [الفَتْحُ:٦] .

---

(١) انْظُرْ : «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَـىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (٧٦٩) .

قَالَ ابْنُ جَرِيْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « الظَّانِّيْنَ بِاللهِ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَكَ وَأَهْلَ الإِيْمَانِ بِكَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ ، وَأَنْ يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ فَيَجْعَلَهَا العُلْيَا عَلَىٰ كَلِمَةِ الكَافِرِيْنَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السَّوْءُ مِنْ ظُنُونِهِمْ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ وَ﴿ **عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ** ﴾ يَعْنِي دَائِرَةَ العَذَابِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ بِهِ »(١).

﴿ **وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ يَقُولُ : وَنَالَهُمْ بِغَضَبٍ مِنْهُ ، ﴿ **وَلَعَنَهُمْ** ﴾ يَقُولُ: وَأَبْعَدَهُمْ ، ﴿ **وَلَعَنَهُمْ** ﴾ يَقُولُ: وَأَبْعَدَهُمْ فَأَقْصَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .

﴿ **وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ** ﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ .

﴿ **وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴾ يَقُولُ: وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ مَنْزِلاً يَصِيْرُ إِلَيْهِ هَؤُلاَءِ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ ، وَالمُشْرِكُونَ وَالمُشْرِكَاتُ(٢) .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « فِي الآيَةِ الأُوْلَىٰ : فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لاَ يَلِيْقُ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِأَنَّهُ لاَ يَنْصُرُ رَسُولَهُ ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يُسْلِمُهُ لِلقَتْلِ ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَلاَ حِكْمَةَ لَهُ فِيْهِ ، وَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ القَدَرِ ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّيْنِ كُلِّهِ ، وَهَذَا هُوَ الظَّنُّ السَّوْءُ الَّذِي ظَنَّهُ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ ....

وَإِنَّمَا كَانَ هُوَ ظَنَّ السَّوْءِ وَظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ المَنْسُوبُ إِلَىٰ أَهْلِ الجَهْلِ،

---

(١) «تَفْسِيْرُ الطَّبَرِيِّ» (٢١/ ١٤٨) .

(٢) «تَفْسِيْرُ ابْنِ جَرِيْرٍ» (٢١/ ٢٤٩) .

وَظَنٌّ غَيْرِ الحَقِّ ؛ لأَنَّهُ ظَنٌّ غَيْرُ مَا يَلِيْقُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلَىٰ ، وَذَاتِهِ المُبَرَّأَةَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسَوْءٍ وَخِلاَفُ مَا يَلِيْقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ ، وَتَفَرُّدِهِ بِالإِلَهِيَّةِ ، وَمَا يَلِيْقُ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ الَّذِي لاَ يُخْلِفُهُ ، وَبِكَلِمَتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلاَ يَخْذُلُهُمْ ، وَلِجُنْدِهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ فَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ لاَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ ، وَلاَ يُتِمُّ أَمْرَهُ ، وَلاَ يُؤَيِّدُهُ ، وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ وَيُعْلِيْهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِمْ... فَمَا عَرَفَهُ وَلاَ عَرَفَ رُبُوْبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِحِكْمَةٍ بِالِغَةٍ ، وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَشِيْئَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ حِكْمَةٍ ، وَغَايَةٍ مَطْلُوبَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوَاتِهَا ، وَأَنَّ تِلْكَ الأَسْبَابَ المَكْرُوهَةَ مَكْرُوهَةٌ لَهُ ، فَمَا قَدَّرَهُ سُدًى ، وَلاَ شَاءَهَا عَبَثًا ، وَلاَ خَلَقَهَا بَاطِلاً: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:٢٧].

فَأَكْثَرُ الخَلْقِ، بَلْ كُلُّهُمْ – إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ – يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ، وَظَنَّ السَّوْءِ ؛ فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الحَقِّ نَاقِصُ الحَظِّ ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا شَاءَ اللهُ وَأَعْطَاهُ ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: « ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ » ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ وَلاَ يَتَجَاسَرُ عَلَىٰ التَّصْرِيْحِ بِهِ ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ طَوَايَاهَا رَأَىٰ ذَلِكَ فِيْهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ مَنْ شِئْتَ يُنَبِّئْكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ ، وَلَوْ

فَتَّشْتَ مِنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَىٰ القَدْرِ ، وَمَلامَةً لَهُ ، وَاقْتِرَاحًا لَهُ، خِلَافَ مَا جَرَىٰ ، وَإِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ : هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ ؟ .

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ كُلِّ كُرْبَةٍ   وَإِلَّا فَـإِنِّي لاَ أَخَـالُـكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا المَوْضِعِ ، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ وَيَسْتَغْفِرْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، وَلْيَظُنَّ السَّوْءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَىٰ كُلِّ سَوْءٍ ، وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ المُرَكَّبَةِ عَلَىٰ الجَهْلِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ أَوْلَىٰ بِظَنِّ السَّوْءِ مِنْ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ ، وَأَعْدَلِ العَادِلِيْنَ ، وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِيْنَ ، الغَنِيِّ الحَمِيْدِ الَّذِي لَهُ الغَنَىٰ التَّامُّ ، وَالحَمْدُ التَّامُّ ، والحِكْمَةُ التَّامَّةُ ، المُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَأَسْمَائِهِ ، فَذَاتُهُ لَهَا الكَمَالُ المُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتِهِ كَذَلِكَ ، وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَىٰ .

فَـلاَ تَـظُـنْ بِـرَبِّـكَ ظَـنَّ سَـوْءٍ   فَــإِنَّ اللهَ أَوْلَىٰ بِـالجَـمِـيْـلِ
وَلَا تَظُنْ بِنَفْسِكَ -قَطُّ- خَيْرًا   وَكَـيْـفَ بِـظَـالِمٍ جَـانٍ جَهُولٍ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَـأْوَىٰ كُلِّ سُوْءٍ   أَيُرْجَىٰ الخَيْـرُ مِنْ مَيِّتٍ بَخِيْلٍ
وَظُـنَّ بِنَفْسِكَ السُّوْآَىٰ تَجِدْهَا   كَذَلِكَ وَخَـيْرُهَـا كَالمُسْتَحِيْلِ

وَمَـا بِكَ مِنْ تُقَىً فِيْهَا وَخَـيرٍ فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الـرَّبِّ الجَلِيْلِ
وَلَـيْـسَ بِهَـا وَلاَ مِنْهَا وَلَكِنْ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيْلِ [1]

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(١) انْتَهَىٰ مِنْ « زَادِ المِعَادِ » (٣/ ٢٢٨-٢٣٦) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**النَّهْي عَنْ سَبِّ الرِّيحِ**»، وَبَابُ قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٥٤].

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ**».

فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[(١)]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ**»، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ »[1] ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ : يَا بُنَيِّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ ، حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟** .

قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ » .

يَا بُنَيَّ ! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا ، فَلَيْسَ مِنِّي** » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ -فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَىٰ السُّنَّةِ » [2] ، « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ** » .

وَفِي « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » بِسَنَدٍ حَسَنٍ مَوْقُوفٍ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ وَمَرْفُوعٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -وَحَسَّنَهُ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٠٠) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٢٠١٧) .

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدَ (٢٢٧٥٧) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «تَعْلِيْقِهِ عَلَىٰ السُّنَّةِ» (١٠٢) لابْنِ أَبِي عَاصِمٍ .

شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» (١) ، عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ : أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنِ كَعْبٍ فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : « **لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » ، فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » .

فَفِي تِلْكَ الأَحَادِيْثِ المُتَقَدِّمَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- بَيَانُ أَنَّ الإِيْمَانَ بِالقَدَرِ مِنَ الإِيْمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ ، وَأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ القَدَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ فِي تَوْحِيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فَالإِيْمَانُ بِالقَدَرِ مِنَ الإِيْمَانِ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، فَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالقَدَرِ فَإِنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِأَنَّهُ جَحَدَ قَدَرَهُ وَعِلْمَهُ وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الكَوْنِ بِتَقْدِيْرِ اللهِ وَمَشِيْئَتِهِ ، وَوَصَفَ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِالجَهْلِ ، وَبِالعَجْزِ (٢) .

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ .

---

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٩٩) ، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَحِيْحِ المُسْنَدِ» (٣٥٠) .

(٢) « إِعَانَةُ المُسْتَفِيْدِ » (٢/ ٢٤٨) .

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ يَشْمَلُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : عِلْمُ اللهِ بِالأَشْيَاءِ ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ .

الأَمْرُ الثَّانِي - كِتَابَتُهَا وَأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ كُلَّ شَيْءٍ .

الأَمْرُ الثَّالِثُ - أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُقَدِّرُ كُلِّ شَيْءٍ .

الأَمْرُ الرَّابِعُ - أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

وَمَنْ آمَنَ بِهَذِهِ المَرَاتِبِ -أَيُّهَا النَّاسُ- فَقَدْ آمَنَ بِالقَدَرِ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنَ القَدَرِ .

فَقَوْلُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لابْنِهِ : « **يَا بُنَيِّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ ، حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ** » ، أَيْ : لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ وَرَاحَتَهُ وَذَوْقَهُ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ **أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ ، وَهَذَا هُوَ الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ ، فَإِذَا آمَنَ بِهَذَا** -أَيُّهَا النَّاسُ- انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَعَمِلَ بِمَا شَرَعَ اللهُ لَهُ ، وَيَأْخُذُ بِالأَسْبَابِ وَهُوَ مُطْمَئِنُّ القَلْبِ ، لِأَنَّهُ لَنْ يُصِيْبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ ، وَهَذَا تَفْسِيْرٌ لِلقَدَرِ مِنْ بَابِ تَفْسِيْرِ الشَّيْءِ بِبَعْضِ مَعْنَاهُ .

وَهَكَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- قَالَ الصَّحَابَةُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ التَّابِعِيِّ المَعْرُوفِ لَمَّا سَأَلَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ : إِنَّ اللهَ لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ أَعْمَالَهُ حَابِطَةٌ وَهَذَا يَدُلُّ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنَّهُ يَكْفُرُ؛ لِأَنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَالَ : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأَنْعَامُ : ٨٨].

وَالَّذِي لاَ تُقْبَلُ أَعْمَالُهُ وَنَفَقَاتُهُ هُوَ الكَافِرُ الَّذِي لَمْ يَتَحَقَّقْ فِيْهِ الإِيْمَانُ ، فَمَنْ أَنْكَرَ القَدَرَ فَقَدْ أَخَلَّ بِشَيْءٍ مِنَ الإِيْمَانِ ، وَبِرُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الإِيْمَانِ وَبِذَلِكَ يَحْبطُ عَمَلُهُ .

وَقَدْ أَخْرَجَ «مُسْلِمٌ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْفٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيْرَ الخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ** » .

فَالأَمْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَدْ أُحْكِمَ وَمَضَىٰ بِهِ عِلْمُ اللهِ وَكِتَابَتُهُ ، وَهُوَ الخَلَّاقُ وَمُدَبِّرُ الأُمُورِ عَلَىٰ مَا قَدَّرَهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَهَذَا هُوَ الحَقُّ وَهُوَ مَنْهُج أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ، مَنْ كَانَ عَلَيْهِ كَانَ عَلَىٰ الحَقِّ ، وَمَنْ حَادَ عَنْهُ حَادَ عَنْ الحَقِّ (٢).

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ،

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٥٣) .
(٢) « شَـرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣٦٣) .

وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ
مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ-أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ :« **مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ** » ، مِنَ الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ ، وَالتَّهْدِيْدِ الأَكِيْدِ لِلمُضَاهَاةِ بِخَلْقِ اللهِ،بَلْ هُوَ مَنْشَأُ الوَثَنِيَّةِ، وَمَا دَخَلَ عَلَىٰ القُرُونِ قَبْلَنَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَذَا البَابِ ؛ لِأَنَّ صُورَةَ المَأْلُوفِ تَعظِيْمٌ ، وَإِذَا ارْتَسَمَتْ فِي الحَافِظَةِ وَبَقِيَ ذِكْرُهَا يَمُرُّ عَلَىٰ البَصَرِ النَّاظِرِ إِلَيْهَا مَنْ رَسْمِهَا لاَ بُدَّ أَنْ تَسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ قَلْبِهِ ، وَتَحُلَّ فِيْهِ حُلُولَ التَّعَبُّدِ لَهُ [١].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢] ،مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -** : « **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٣] ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ : « **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ** » .

(١) انْظُرْ : «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (٣٧١) .
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٥٣) ، ومُسْلِمٌ (٢١١١) .
(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٩٥٤) ، ومُسْلِمٌ (٢١٠٧) .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**» أَيْ: لاَ أَظْلَمُ مِنْهُ، فَإِنَّ اللهَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكُهُ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي صَوَّرَ جَمِيْعَ المَخْلُوقَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَجَعَلَ فِيهَا الأَرْوَاحَ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا الحَيَاةُ، كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[السَّجْدَةُ: ٧].

فَالمُصَوِّرُ لَمَّا صَوَّرَ الصُّورَةَ عَلَىٰ شَكْلِ مَا خَلَقَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مِنْ إِنْسَانٍ وَبَهِيْمَةٍ، صَارَ مُضَاهِيًا لِخَلْقِ اللهِ، فَصَارَ لاَ أَظْلَمُ مِنْهُ، وَمَا صَوَّرَهُ يُعَذَّبُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- فِي الحَدِيْثِ القُدُسِيِّ: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**» وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- تَعْجِيْزٌ لَهُمْ؛ أَيْ: فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً وَهِيَ صِغَارُ النَّمْلِ، فِيْهَا رُوْحٌ تَتَصَرَّفُ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٢٥) بِدُونِ لَفْظَةِ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ**»، ومُسْلِمٌ (٢١١٠) وَاللَّفْظُ لَهُ.
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٢٥)، ومُسْلِمٌ (٢١١٠).

بِنَفْسِهَا كَهَذِهِ الذَّرَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَأَنَّىٰ لَهُمْ ذَلِكَ ؟! .

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ- فِي الحَدِيْثِ القُدُسِيِّ : « **أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً** » وَهَذَا أَيْضًا -أَيُّهَا النَّاسُ- تَعْجِيْزٌ لَهُمْ ؛ أَيْ : فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةَ حِنْطَةٍ فِيْهَا طَعْمٌ تُؤْكَلُ وَتُزْرَعُ وَتُنْبِتُ، وَيُوْجَدُ فِيْهَا مَا يُوْجَدُ فِي حَبَّةِ الحِنْطَةِ، وَكَذَا الشَّعِيْرَةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الحَبِّ الَّذِي يَخْلُقُهُ اللهُ،وَأَنَّىٰ لَهُمْ السَّبِيْلُ إِلَىٰ ذَلِكَ.

وَالمُرَادُ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَعْجِيْزُهُمْ تَارَةً ، بِتَكْلِفِهِمْ خَلْقَ صُورَةِ حَيَوَانٍ ، وَهُوَ أَشَدُّ ، وَتَارَةً بِتَكْلِيْفِهِمْ خَلْقَ جَمَادٍ وَهُوَ أَهْوَنُ ، وَمَعَ ذَلِكَ لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- هُوَ المُتَفَرِّدُ بِذَلِكَ لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**» أَيْ : الَّذِيْنَ يُشَابِهُونَ بِمَا يَصْنَعُونَهُ مَا يَصْنَعُهُ اللهُ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ** » أَيْ : تُعَذِّبُهُ نَفْسُ الصُّوْرَةِ بِأَنْ يَجْعَلَ فِيْهَا رَوْحٌ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ** » .

أَيْ : لاَ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ فَيَكُونُ مُعَذَّبًا دَائِمًا .

فَالحَدِيْثُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ طُولِ تَعْذِيْبِهِ ، وَإِظْهَارِ عَجْزِهِ عَمَّا كَانَ

تَعَاطَاهُ، وَمُبَالَغَةٍ فِي تَحْرِيْمِهِ وَبَيَانِ قُبْحِ فِعْلِهِ »[(١)].

وَقَوْلُ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِأَبِي الهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ** ».

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَىٰ قَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا** »، فَفَهِمْنَا أَنَّ الصُّوَرَ تُطْمَسُ فَلَوْ كَانَ المُرَادُ بِذَلِكَ الأَصْنَامَ لَقَالَ: إِلَّا كَسَرْتَهَا فَفَهِمْنَا أَنَّ الصُّوَرَ تُطْمَسُ وَأَنَّ الأَصْنَامَ تُكْسَرُ.

وَفِي الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- التَّصْرِيْحُ بِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعَثَ عَلِيًّا لِذَلِكَ ، أَمَّا الصُّوَرُ لِمُضَاهَاتِهَا لِخَلْقِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ، وَأَمَّا تَسْوِيَةُ القُبُورِ فَلِمَا فِي تَعْلِيَتِهَا مِنَ الفِتْنَةِ بِأَرْبَابِهَا وَتَعْظِيْمِهَا ، وَهُوَ مِنْ ذَرَائِعِ الشِّرْكِ وَوَسَائِلِهِ ، فَصَرْفُ الهِمَمِ إِلَىٰ هَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنْ مَصَالِحِ الدِّيْنِ، وَمَقَاصِدِهِ وَوَاجِبَاتِهِ ، وَلَمَّا وَقَعَ التَّسَاهُلُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ ، وَقَعَ المَحْذُورُ ، وَعَظُمَتْ الفِتْنَةُ بِأَرْبَابِ القُبُورِ ، وَصَارَتْ مَحَطًّا لِرِحَالِ العَابِدِيْنَ المُعَظِّمِيْنَ لَهَا ، وَالذَّبْحُ لَهَا ، وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ مُحَرَّمٍ مَحْظُورٍ[(٢)].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- : « وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَىٰ عَنْهُ ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَبَيْنَ مَا

(١) انْظُرْ: «حَاشِيَةَ ابْنِ قَاسِمٍ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (٣٧٤).
(٢) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٧٦٧-٧٦٨).

عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ اليَوْمَ ؛ رَأَىٰ أَحَدَهُمَا مُضَادًّا لِلآخَرِ ، مُنَاقِضًا لَهُ ، بِحَيْثُ لاَ يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا ، فَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ الصَّلَاةِ إِلَىٰ القُبُورِ ، وَهَؤُلَاءِ يُصَلُّونَ عِنْدَهَا وَإِلَيْهَا ، وَنَهَىٰ عَنْ اتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ ، وَهَؤُلَاءِ يَبْنُونَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَيُسَمُّوْنَهَا مَشَاهِدَ ، مُضَاهَاةً لِبُيُوتِ اللهِ ، وَنَهَىٰ عَنْ إِيْقَادِ القَنَادِيْلِ عَلَيْهَا ، وَنَهَىٰ أَنْ تُتَّخَذَ عِيْدًا ، وَهَؤُلَاءِ يَتَّخِذُوْنَهَا أَعْيَادًا وَمَنَاسِكَ ، وَيَجْتَمِعُونَ لَهَا كَاجْتِمَاعِهِم لِلعِيْدِ أَوْ أَكْثَرَ ، وَأَمَرَ بِتَسْوِيَتِهَا كَمَا رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيْحِهِ » عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ الأَسْدِيِّ ، فَذَكَرَ حَدِيْثَ البَابِ ، وَ حَدِيْثَ ثُمَامَةَ بِنِ شُفَىٰ وَهُو فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [١] ، قَالَ : كُنَّا مَعَ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّوُمِ بِرَدَوْسَ ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا ، فَأَمَرَ فُضَالَةُ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا » .

وَهُؤُلَاءِ يُبَالِغُونَ فِي مُخَالَفَةِ هَذَيْنَ الحَدِيْثَيْنِ ، وَيَرْفَعُونَهَا مِنَ الأَرْضِ كَالبَيْتِ ، وَيَعْقِدُونَ عَلَيْهَا القِبَابَ ، وَنَهَىٰ عَنَ تَجْصِيْصِ القَبْرِ وَالبِنَاءِ عَلَيْهِ، كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » [٢] ، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : « **نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : عَنَ تَجْصِيْصِ**

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٦٨) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٠) .

القَبْرِ ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ » (١) .

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ -رَحِمَهُ اللَّه- عَنْ هَذَا البَابِ : فِيْهِ مَسَائِلُ :

الأُوْلَىٰ : التَّغْلِيْظُ الشَّدِيْدُ فِي الْمُصَوِّرِيْنَ : تُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا**» .

الثَّانِيَةُ : التَّنْبِيْهُ عَلَىٰ العِلَّةِ ، وَهِيَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ ، تُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - : « **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي** » ، فَمَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللهِ ، فَهُوَ مُسِيْءٌ لِلأَدَبِ مَعَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لِمُحَاوَلَتِهِ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ خَلْقِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- كَمَا أَنَّ مَنْ ضَادَّهُ فِي شَرْعِهِ فَقَدْ أَسَاءَ الأَدَبَ مَعَهُ .

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيْهُ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ لِقَوْلِهِ : «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**» ، لِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- خَلَقَ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَهُمْ عَجَزُوا عَنْ خَلْقِ الذَّرَّةِ أَوْ الشَّعِيْرَةِ .

الرَّابِعَةُ : التَّصْرِيْحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا ، لِقَوْلِهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ** » .

الخَامِسَةُ : أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذِّبُ بِهَا الْمُصَوِّرَ فِي جَهَنَّمَ لِقَوْلِهِ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ**

(١) « إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ » (١/ ٣٠٠) بِتَصرُّفٍ .

بِهَا فِي جَهَنَّمَ » .

السَّادِسَةُ: أَنْ يُكَلَّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوحَ لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ** » .

وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّعْذِيْبِ مِنْ أَشَقِّ العُقُوبَاتِ .

السَّابِعَةُ : الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا** » .

وَيُؤْخَذُ مِنْ حَدِيْثِ البَابِ الجَمْعُ بَيْنَ فِتْنَةِ التَّمَاثِيْلِ وَفِتْنَةِ القُبُورِ ، لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**» ، لِأَنَّهُ يُجْعَلُ بِكُلِّ صُورَةٍ صُوَّرَهَا نَفْسٌ فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ وُقُوعُ التَّكْلِيْفِ فِي الآخِرَةِ بِمَا لاَ يُطَاقُ عَلَىٰ وَجْهِ العُقُوبَةِ »[1].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

---

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٤٥٣) .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحِلْفِ

الحَمْدَ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ**».

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ: «**مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحِلْفِ**».

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ** ﴾ [المَائِدَةُ: ٨٩].

فَهَذَا الأَمْرُ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ حِفْظِ الأَيْمَانِ؛ لِأَنَّهُ وَسِيْلَةٌ لِتَحْقِيْقِ تَعْظِيْمِ اللهِ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وَتَحْقِيْقِ كَمَالِ التَّوْحِيْدِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ** ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٢٤].

فَمِنْ كَمَالِ التَّوْحِيْدِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ لاَ يُجْعَلَ اللهُ - جَلَّ وَعَلاَ- عُرْضَةً لِلأَيْمَانِ، فَالَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِالحِلْفِ، وَإِذَا بَاعَ بَاعَ بِالحِلْفِ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ اشْتَرَىٰ بِالحِلْفِ، لَمْ يُعَظِّمْ اللهَ التَّعْظِيْمَ الوَاجِبَ للهِ - جَلَّ وَعَلاَ- [١].

---

(١) «التَّمْهِيْدُ بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدَ» لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (٥٦١).

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] ،مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ :« **الحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ** » .

وَسَبَبُ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّهُ نَوْعُ عُقُوبَةٍ لِأَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ الوَاجِبَ مِنْ تَعْظِيْمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

فَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَمْحَقَةٌ لِلكَسْبِ** »، أَيْ مَتْلَفَةٌ ، وَالإِتْلَافُ يَشْمَلُ الإِتْلَافَ الحِسِّيَّ بِأَنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَىٰ مَالِهِ شَيْئًا يُتْلِفُهُ كَالحَرِيْقِ أَوْ الغَرَقِ أَوْ السَّرِقَةِ أَوْ غَيْرِهَا .

وَالإِتْلَافُ المَعْنَوِيُّ بِأَنْ يَنْزِعَ اللهُ البَرَكَةَ مِنْ مَالِهِ فَلاَ يَنْتَفِعُ بِهِ لاَ دِيْنًا وَلَا دُنْيَا [٢].

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ»[٣] ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ » مِنْ حَدِيْثِ سَلْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**ثَلَاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ : أُشَيْمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ**

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٠٨٧) ، ومُسْلِمٌ (١٦٠٦) .

(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ» .

(٣) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيْرِ» (٦١١١) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ التَّرْغِيْبِ» (٧٨٨) .

جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ لاَ يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِيْنِهِ ، وَلاَ يَبِيْعُ إِلَّا بِيَمِيْنِهِ » .

وَالأُشَيْمِطُ: هُوَ الَّذِي شَمَطَهُ الشَّيْبُ ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ حُبُّ المَعْصِيَةِ وَلَيْسَ غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ .

وَالعَائِل المُسْتَكْبِرُ: هُوَ الفَقِيْرُ ؛ لِأَنَّ الفَقِيْرَ دَاعِي الاسْتِكْبَارِ عِنْدَهُ ضَعِيْفٌ فَيَكُونُ اسْتِكْبَارُهُ دَلِيْلاً عَلَىٰ ضَعْفِ إِيْمَانِهِ .

« **وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ لاَ يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِيْنِهِ، وَلاَ يَبِيْعُ إِلَّا بِيَمِيْنِهِ**» أَيْ جَعَلَ الحَلْفَ بِاللهِ بِضَاعَةً لَهُ ، فَهُوَ يُكْثِرُ الحَلْفَ بِاللهِ تَهَاوُنًا ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ هَذِهِ العُقُوبَاتُ الثَّلَاثُ ، « لاَ يُكَلِّمُهُ اللهُ ، لاَ يُزَكِّيْهِ ، وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيْمٌ » .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [آلُ عِمْرَان: ٧٧].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١] ،مِنْ حَدِيْثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ** » - قَالَ عِمْرَانُ : فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا - « **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يَسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيْهِمْ السِّمَنُ** » .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٥٠) ، ومُسْلِمٌ (٢٥٣٥) .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**يَشْهَدُونَ وَلاَ يَسْتَشْهَدُونَ**» أَيْ: يَشْهَدُونَ بِدُونَ أَنْ تُطْلَبَ مِنْهُمْ الشَّهَادَةُ، وَالشَّهَادَةُ هِيَ الحِلْفُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ اسْتَخْفَافِهِمْ بِهَا وَهَذَا نَقْصٌ فِي التَّوْحِيْدِ.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجْئُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ**».

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- هَوَ قَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**ثُمَّ يَجْئُ**» يَعْنِي: مِنْ بَعْدِ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ «**ثُمَّ يَجْئُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ**» أَيْ: أَنَّهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِالشَّهَادَةِ، وَلاَ يُبَالُونَ بِالأَيْمَانِ، بَلْ يُسَابِقُونَ إِلَيْهَا، وَيُسَارِعُونَ إِلَيْهَا بِدُونِ تَحَفُّظٍ، وَبِدُونِ خَوْفٍ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» [٢]، عَنْ إِبْرَاهِيْمَ النَّخْعِيِّ تِلْمِيْذِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ».

فَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا يَضْرِبُونَ أَوْلاَدَهُمْ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٥٢)، ومُسْلِمٌ (٢٥٣٣).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٦٥١)، وَاللَّفْظُ لَهُ، ومُسْلِمٌ (٢٥٣٣).

عَلَىٰ تَعْظِيْم اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– فَإِنَّ الشَّهَادَةَ وَالعَهْدَ يَقْتَرِنَانِ بِالتَّعْظِيْمِ لِلهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– ، والخَوْفِ مِنْ لِقَائِهِ مِنَ الظُّلْمِ .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ

مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَ ذِمَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَمَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللهِ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ** » .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النَّحل : ٩١].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِم » [(١)] ، مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، ثُمَّ قَالَ : « **اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا ، وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى**

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٣١) .

التَّحَوِّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ المُهَاجِرِيْنَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلمُهَاجِرِيْنَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ المُهَاجِرِيْنَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِيْنَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ المُؤْمِنِيْنَ ، وَلاَ يَكُنْ لَهُمْ فِي الغَنِيْمَةِ والفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِيْنَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الجِزْيَةَ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ؛ أَهْوَنُ مِنَ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيْبُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ » .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ وَجُوبُ حِفْظِ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والوَفَاءِ بِهَا وَهِيَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي العُهُودِ فَإِنَّ عَدَمَ الوَفَاءِ بِهَا مِنْ عَدَمَ تَعْظِيْمِ اللهِ ، بَلْ قَدْحٌ فِي التَّوْحِيْدِ .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النَّحْلُ : ٩١].

فَمَنْ عَاهَدَ بِذِمَّةِ اللهِ أَوْ ذِمَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَلَيْهِ أَنْ

يُوْفِيَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِي العَهْدِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ لَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يُوْفِي بِذَلِكَ ، وَلاَ يَخْفِرَ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النَّحْلُ : ٩١] ، أَيْ : لاَ تَنْقُضُوا العُهُودَ بَعْدَ أَنْ أَكَّدْتُمُوهَا بِالأَيْمَانِ الشَّدِيْدَةِ وَالمُعَاهَدَةِ ، بَلْ أَوْفُوا كَمَا قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ٣٤].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ** » .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- وَعِيْدٌ عَظِيْمٌ يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ الوَفَاءِ بِالعَهْدِ ، وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَدِيْثِ بُرَيْدَةَ : « **ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ** »، أَيْ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ أَوَّلاً قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ** » أَيْ فِي الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمْ الجِزْيَةَ**» أَيْ أَبَوْا الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ والهِجْرَةِ فَسَلْهُمْ الجِزْيَةَ وَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَهَذَا فِي اليَهُودِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣١٨٧) ، ومُسْلِمٌ (١٤٢) .

وَالنَّصَارَىٰ وَالمَجُوسِ .

قَالَ اللهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التَّوْبَةُ : ٢٩].

فَالسُّنَّةُ أَطْلَقَتْ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ الجِزْيَةُ وَالقُرْآنُ قَيَّدَ بِأَهْلِ الكِتَابِ ، وَأَلْحَقَتْ السُّنَّةُ بِأَهْلِ الكِتَابِ : المَجُوسَ فِي أَخْذِ الجِزْيَةِ لاَ فِي حِلِّ الطَّعَامِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ** » فِيْهِ وُجُوبُ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ ، وَأَنَّ المُؤْمِنَ يَسْتَعِيْنُ بِاللهِ فِي قِتَالِ أَعْدَائِهِ وَلاَ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ قُوَّتِهِ فَقَطْ .

وَقَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ ؛ أَهْوَنُ مِنَ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ**» .

وَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ ، فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ أَنْ لاَ يَنْقُضُوا العَهْدَ وَالمِيْثَاقَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ

-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَنَّهُمْ إِنْ وَقَعُوا فِي الإِخْفَارِ الَّذِي هُوَ نَقْضُ العَهْدِ صَارَ أَسْهَلَ فِي حَقِّهِمْ مِنَ الإِخْفَارِ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ أَنَّهُمَا كِلاهُمَا لاَ يَجُوزُ لَكِنَّ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ، وَبَعْضَ الكَبَائِرِ أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ ، وَكَذَلِكَ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ فَإِنَّهُ لاَ يَقْبَلُ بَلْ يَقُولُ : أُنْزِلُكُمْ عَلَىٰ حُكْمِ أَصْحَابِي لِقَوْلِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيْبُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ** » .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- قَوْلُهُ-صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيْبُ فِيْهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لاَ** » لِأَنَّهُمْ إِذَا حَكَمَ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللهِ وَحَصَلَ خَطَأٌ نُسِبَ ذَلِكَ إِلَىٰ الشَّرْعِ، وَيَكُونُ قَدْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ [١].

قَالَ العُلَمَاءُ : ذَلِكَ النَّهْيُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَطْ؛ لِأَنَّهُ العَهْدُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ فِيْهِ الحُكْمُ ، أَمَّا بَعْدَ انْقِطَاعِ الوَحْيِ فَيَنْزِلُونَ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ ، وَاجْتِهَادُنَا فِي إِصَابَةِ حُكْمِ اللهِ يُعْتَبَرُ صَوَابًا إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ خَطَؤُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ لاَ يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » [٢].

(١) « شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣٧٩) .
(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٤٨٩) .

ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ**» .

فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» [(١)] ، مِنْ حَدِيْثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**قَالَ رَجُلٌ : وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ ، فَقَالَ اللهُ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ ؟ ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» [(٢)] ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- : تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

فَقَبْلَ أَنْ أَتَطَرَّقَ لِشَرْحِ الحَدِيْثِ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ بُدَّ مِنْ شَرْحِ حِكْمَةِ «وَمَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ» ، فَالإِقْسَامُ عَلَى اللهِ هُوَ الحَلْفُ عَلَى اللهِ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الحَلْفُ عَلَى اللهِ ، بِأَنَّهُ لاَ يَرْحَمُ عِبَادَهُ وَلاَ يَغْفِرُ لَهُمْ وَلاَ يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ الجَنَّةَ ، فَهَذَا مُحَرَّمٌ وَسُوْءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِأَنَّ مَعْنَاهُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٢١) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٢٩٢) ،وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٠١) ، وَحَسَّنَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٢/ ٣٢٣) وَالأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «صَحِيْحِ أَبِي دَاوُدَ» (٤٩٠١) .

الحَجْرُ عَلَىٰ اللهِ – تَعَالَىٰ – وَلاَ أَحَدَ يَمْنَعُ اللهَ مِنْ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي خَلْقِهِ، وَأَنْ يَرْحَمَ مَنْ شَاءَ وَيُعَذِّبَ مَنْ شَاءَ وَأَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ شَاءَ ، فَالَّذِي يَفْعَلُ هَذَا –أَيُّهَا النَّاسُ– قَدْ أَسَاءَ الأَدَبَ مَعَ اللهِ ، وَتَنَقَّصَ اللهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – فَهَذَا النَّوْعُ يُعْتَبَرُ مُخِلًّا بِالتَّوْحِيْدِ .

وَقَوْلُهُ–صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **رَجُلٌ** » أَيْ : مِمَّنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الأُمَمِ.

وَقَوْلُهُ–صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ أَنَّهُ قَالَ : « **وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ** » هَذَا –أَيُّهَا النَّاسُ– ظَاهِرٌ فِي قَطْعِهِ بِأَنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ، فَكَأَنَّهُ حَكَمَ عَلَىٰ اللهِ وَحَجَرَ عَلَيْهِ لِمَا اعْتَقَدَ لَهُ عِنْدَهُ مِنَ الكَرَامَةِ وَالحَظِّ وَالمَكَانَةِ ، وَهَذَا الجَهْلُ بِإِلَهِيَّةِ الحَقِّ وَرُبُوبِيَّتِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – وَاحْتِقَارُ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ هَذَا القَائِلِ وَإِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ .

وَالقَسَمُ عَلَى اللهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ :

القِسْمُ الأَوَّلُ : أَنْ يُقْسِمَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ وَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَىٰ يَقِيْنِهِ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ رَسُولُهُ –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِثْلَ : وَاللهِ لَيُشَفِّعَنَّ اللهُ نَبِيَّهُ فِي الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمِثْلَ : وَاللهِ، لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِهِ .

القِسْمُ الثَّانِي : أَنْ يُقْسِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ لِقُوَّةِ رَجَائِهِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ ، فَهَذَا جَائِزٌ ، مِثْلَ : أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِعِبَادِهِ ، وَأَنْ يُسْقِيَهُمْ الغَيْثَ ، وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَىٰ

الأَعْدَاءِ ، فَهَذَا لاَ بَأْسَ بِهِ .

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (١) ،مِنْ حَدِيْثِ أَنَس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ** » .

وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا القَسَمِ -أَيْضًا- مَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ » (٢) ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ** » .

وَالقِسْمُ الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ الحَامِلُ عَلَيْهِ هُوَ الإِعْجَابَ بِالنَّفْسِ ، وَتَحَجُّرَ فَضْلِ اللهِ ، وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وَدَلِيْلُ هَذَا القِسْمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- حَدِيْثُ البَابِ وَهُوَ قَوْلُ ذَلِكَ الرَّجُلِ: «**واللهِ لاَ يُغْفَرُ لِفُلاَنٍ**» .

فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : « مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، أَيْ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَحَجَّرُ فَضْلِي وَنِعْمَتِي أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِمَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ ، وَفِيْهِ تَحْرِيْمُ الإِدْلاَلِ عَلَىٰ اللهِ ، وَوُجُوبُ التَّأَدُّبِ مَعَ اللهِ فِي الأَقْوَالِ وَالأَحْوَالِ ، وَأَنَّ حَقَّ العَبْدِ أَنْ يُعَامِلَ نَفْسَهُ بِأَحْكَامِ العُبُودِيَّةِ، وَيُعَامِلَ رَبَّهُ بِأَحْكَامِ الإِلَهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٧٠٣) ، ومُسْلِمٌ (١٦٧٥) .
(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٠٢٤) .

فَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : «**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» .

فَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- كَيْفَ عُومِلَ هَذَا بِنَقِيْضِ قَصْدِهِ وَغَفَرَ لِذَلِكَ المَذْنِبِ بِسَبَبِهِ وَكَيْفَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

لاَ يُسْتَشْفَعُ بِاللّهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَتَقَدَّمَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : «**مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللّهِ وَ ذِمَّةِ نَبِيِّهِ - وَمَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللّهِ** » .

وَالآنَ حَدِيْثِي مَعَكُمْ عَنْ : « **لاَ يُسْتَشْفَعُ بِاللّهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ** » .

وَقَدْ جَاءَ تَحْتَ هَذَا البَابِ حَدِيْثٌ ضَعِيْفٌ لَكِنَّ مَعْنَاهُ صَحِيْحٌ ، سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ ، كَيْفَ يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَهُوَ-سُبْحَانَهُ- أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُتَوَسَّلَ بِهِ إِلَىٰ خَلْقِهِ ؛ لِأَنَّ رُتْبَةَ المُتَوَسِّلِ بِهِ غَالِبًا دُونَ رُتْبَةِ المُتَوَسِّلِ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ مِنْ سُوْءِ الأَدَبِ مَعَ اللهِ ، فَالوَاجِبُ تَرْكُهُ .

فَإِنَّ الشُّفَعَاءَ -أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - إِلَّا بِإِذْنِهِ وَكُلُّهُمْ يَخَافُونَهُ ، فَكَيْفَ يُعْكَسُ الأَمْرُ فَيَجْعَلُهُ - جَلَّ وَعَلاَ - هُوَ الشَّافِعَ ؟!! ، وَهُوَ الكَبِيْرُ العَظِيْمُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَذَلَّتْ لَهُ

الكَائِنَاتُ بِأَسْرِهَا (١).

فَلاَ يَجُوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللهِ الشَّفَاعَةَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَشَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكُهُ ، والخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ ، لاَ مَانِعَ لَمَا أَعْطَىٰ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ،وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَىٰ،قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فَاطِرُ : ٤٤]. وَقَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس : ٨٢].

وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُلْكُهُ لِيَتَصَرَّفُ فِيْهِ كَيْفَ يَشَاءُ (٢).

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ -تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ - فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، فَاللهُ لاَ يَصْلُحُ أَنْ يُجْعَلَ وَسَاطَةً لأَحَدٍ أَوْ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ ، فَهَذَا مُنَافٍ لِكَمَالِ التَّوْحِيْدِ، وَعَمَلٌ وَقَوْلٌ مِنَ الأَقْوَالِ المُنَافِيَةِ لِتَعْظِيْمِ اللهِ - جَلَّ وَعَلاَ- التَّعْظِيْمَ الوَاجِبَ (٣).

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا ما يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

---

(١) « القَوْلُ السَّدِيْدُ» (١٩٣) .

(٢) « القَوْلُ المُفِيْدُ» (٢/ ٥٠٩) .

(٣) «كِفَايَةَ المُسْتَزِيْدِ بِشَـرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لِصَالِحِ آلِ الشَّيْخِ (٤٩٦) .

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ

مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِمَىٰ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ - تَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أَمَّا بُعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَحَدِيْثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ : « **مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَىٰ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِمَىٰ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ** » .

وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزُّمَرُ : ٦٧] .

-أَيُّهَا النَّاسُ- الحِمَايَةُ لِلشَّيْءِ : صَوْنُهُ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهٍ وَأَذًى، وَحِمَايَةُ حِمَىٰ التَّوْحِيْدِ صَوْنُهُ عَمَّا يَشُوبُهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ الَّتِي يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيْدُ .

فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَمَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ ، وَحَمَىٰ حِمَاهُ مِنْ جِهَةِ القَوْلِ وَالعَمَلِ حَتَّىٰ لاَ يَقْرَبُوا مِنَ الشِّرْكِ وَيَقَعُوا فِيْهِ ، وَحَذَّرَ مِنْ وَسَائِلِهِ ، وَذَرَائِعِهِ الْمُوْصِلَةِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ البَلاَغِ [1]

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٦) ، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ» (٥٨٥) .

«الصَّحِيْح المُسْنَد» (١)، مِنْ حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيْر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ - تَبَارَكَ تَعَالَىٰ -**»، قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ صَحَّحَهُ الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْح المُسْنَدِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-**».

فَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَمَىٰ التَّوْحِيْدَ عَمَّا يَشُوبُهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ، فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ» (٢)، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لاَ تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

وَنَهَىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ التَّمَادُحِ وَشَدِّ القَوْلِ فِيْهِ كَقَوْلِهِ لِمَنْ

---

(١) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(٣/ ١٥٣)، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي «الصَّحِيْح المُسْنَد» (١٢١).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٤٤٥)، ومُسْلِمٌ (١٦٩١).

مَدَحَ إِنْسَانًا : « **وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ** » .

وَالحَدِيْثُ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»[١] ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيْهِ .

وَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِم »[٢] ، عَنْ المِقْدَادِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِذَا لَقِيْتُمُ المَدَّاحِيْنَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ** » .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **السَّيِّدُ اللهُ** » هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَاضُعِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنَ الغُلُوِّ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا وَلِئَلَّا يَقَعُوا فِي الغُلُوِّ .

فَهَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- دَلِيْلٌ أَنَّهُ إِذَا قِيْلَ لِلإِنْسَانِ أَنْتَ سَيِّدُنَا ، يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : السَّيِّدُ اللهُ حَتَّىٰ لاَ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ التَّعَاظُمِ .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَلاَ يَسْتَجرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ** » أَيْ : لاَ يَجُرُّنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ مَا لاَ يَنْبَغِي ، أَيْ لاَ يَتَّخِذُكُمْ جَرْيًا ، أَيْ : رُسُلاً إِلَىٰ مَا يَبْعَثُ إِلَىٰ الشِّرْكِ وَالغُلُوِّ وَالْزَمُوا الأَقْوَالَ المُعْتَادَةَ كـ : أَبَا القَاسِمِ ، يَا رَسُولَ اللهِ، يا نَبِيِّ اللهِ ، وَدَعُوا عَنْكُمْ الأَقْوَالَ الَّتِي تُفْضِي إِلَىٰ الغُلُوِّ .

فَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ** » أَيْ : لاَ يُوقِعَنَّكُمْ فِي الضَّلاَلَةِ .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٦٦٢) ، ومُسْلِمٌ (٣٠٠٠) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٠٠٢) .

وَالمَقْصُودُ مِنْ هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- سَدُّ الذَّرَائِعِ الَّتِي قَدْ تُوصِلُ النَّاسُ إِلَىٰ التَّسَاهُلِ فِي الشِّرْكِ فَإِنَّهُمْ إِنْ قَالُوا لَهُ : يَا سَيِّدَنَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا النَّاسُ الآنَ مِنَ الغُلُوِّ قَدْ يَجُرُّهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَيَدْعُوهُ وَيَسْتَغِيْثُوا بِهِ ، وَيَزْعُمُوا أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ فِي قَوْلِهِ سَوَاءً مَعَ الرَّسُولِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ مَعَ غَيْرِهِ ، وَعَلَيْهِ التَّأَدُّبُ بِالآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ مَعَ ا لرُّسُلِ وَالصَّالِحِيْنَ وَالعُلَمَاءِ حَتَّىٰ لاَ يَقَعَ فِي الغُلُوِّ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ، وَأَوْصَلَهُمْ إِلَىٰ أَنْ عَبَدُوا أَوْلِيَاءَهُمْ وَاسْتَغَاثُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ وَصُلَحَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ ، وَوَقَعُوا فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَالذَّنْبِ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ »[1] .

وَإِلَىٰ هُنَا -أَيُّهَا النَّاسُ- نَنْتَهِي مِنْ مَوْضُوعِ حِمَايَةِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِمَىٰ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ ، وَنَبْدَأُ مَعَكُمْ بِمَوْضُوعٍ عَظِيْمِ القَدْرِ ، وَهَذَا المَوْضُوعِ -أَيُّهَا النَّاسُ- هُوَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزُّمَرُ : ٦٧] .

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزُّمَرُ : ٦٧] .

---

(١) « شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ » لابْنِ بَازٍ (٣٩٢) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: « يَقُولُ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ حَقَّ قَدْرِهِ حَتَّىٰ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ العَظِيمُ الَّذِي لاَ أَعْظَمُ مِنْهُ، القَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، المَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلِّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ »[(١)].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» [(٢)]، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرْضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، والشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، والثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ** »، **فَضَحِكَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ « لِمُسْلِمٍ » [(٣)] : « **وَالجِبَالُ والشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ** ».

وَفِي رِوَايَةٍ « لِلبُخَارِيِّ » [(٤)] : « **يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ** ».

---

(١) « تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ » (٧/ ١١٣).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٤١٤)، ومُسْلِمٌ (٢١٤٧) ٢- (٢١٤٧). ٣ (٢٨٥).
(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٤٨).
(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٤١٥).

فَقَوْلُهُ : «**يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ** » .

فَفِي هَذَا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِثْبَاتُ الأَصَابِعِ لِلرَّحْمَنِ - جَلَّ وَعَلاَ- عَلَىٰ مَا يَلِيْقِ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِم » [١] ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَمْرُو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**القَلْبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ** » .

وَقَوْلُهُ : « **إِنَّا نَجِدُ** » أَيْ : فِي التَّوْرَاةِ .

وَقَوْلُهُ : « **أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالأَرْضِيْنَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ** ».

الأَرْضِيْنَ : جَمْع أَرْضٍ .

«**والشَّجرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ**» شَجَرُ الدُّنْيَا ، شَجَرُ البَرِّ وَالبَحْرِ .

«**وَالثرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ**» الثَّرَىٰ أَيْ: التُّرَابُ ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [طه: ٦] أَيْ تَحْتَ التُّرَابِ .

«**وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ**» أَيْ : بَاقِي المَخْلُوقَاتِ .

فَهَذِهِ -أَيُّهَا النَّاسُ- خَمْسَةُ أَصَابِعَ عَلَيْهَا جَمِيْعُ المَخْلُوقَاتِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ كُلُّ إِصْبَع عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فَيَقُولُ: «**أَنَا المَلِكُ**» وَلاَ أَحَدَ يُنَازِعُ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فِي هَذَا ، فَدَلَّ عَلَىٰ انْفِرَادِهِ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٥٣) .

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بِالْمُلْك يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ فَيَقُولُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غَافِرُ:١٦]، وَلاَ أَحَدَ يُنَازِعُ فِي هَذَا فَيَدَّعِي شَيْئًا مِنْ مُلْكِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ لاَ أَحَدَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ إِلَّا اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-».

قَوْلُهُ: «**فَضَحِكَ النَّبِيُّ**» -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْ: لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الحَبْرِ ضَحِكَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُرُورًا بِهَذَا؛ لأَنَّ هَذَا إِقْرَارٌ بِمَا جَاءَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ، وَإِقْرَارٌ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَوْلُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**» النَّوَاجِذُ هِيَ أَوَائِلُ الأَضْرَاسِ، كَانَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا ضَحِكَ يَتَبَسَّمُ فَقَطْ، وَإِذَا بَالَغَ فِي التَّبَسُّمِ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَرُ: ٦٧] [١].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

---

(١) «إِعَانَةُ الْمُسْتَفِيْدِ» (٢/ ٣٢١).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ المُرْسَلِيْنَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمَا زَالَ الحَدِيْثُ مَعَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- عَنْ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٧].

فَمِنْ ذَلِكَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[١]، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟!، ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِيْنَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»**.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِهِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ[٢] إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٨).

(٢) (صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِهِ (١/ ٣٢٤) عِنْدَ تَفْسِيْرِ آيَةِ (٦٧) مِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ.

عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ : « **مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ** » .

وَرَوَىٰ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «التَّوْحِيْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ [١] عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « **بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيْهَا خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ** » .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ -رَحِمَهُ اللهُ- : « هَذِهِ الأَحَادِيْثُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا تَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ ، وَعَظِيْمِ قُدْرَتِهِ ، وَعِظَمِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَقَدْ تَعَرَّفَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - إِلَىٰ عِبَادِهِ بِصِفَاتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ وَكُلُّهَا تُعَرِّفُ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ المَعْبُودُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَتَدُلُّ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ مَا يَلِيْقُ بِجَلاَلِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ إِثْبَاتًا بِلاَ تَمْثِيْلٍ، وَتَنْزِيْهًا بِلاَ تَعْطِيْلٍ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ نُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَعَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَاقْتَفَىٰ آثَارَهُمْ عَلَىٰ الإِسْلاَمِ وَالإِيْمَانِ .

وَتَأَمَّلُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- مَا فِي هَذِهِ الأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ مِنْ تَعْظِيْمِ

---

(١)(صَحِيْحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «التَّوْحِيْدِ» (١٣٩) .

النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَبَّهُ بِذِكْرِ صِفَاتِ كَمَالِهِ عَلَىٰ مَا يَلِيْقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَتَصْدِيْقِهِ اليَهُودَ فِيْمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ - تَعَالَىٰ - مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ ، وَتَأَمَّلُوا مَا فِيْهَا مِنْ إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ أَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ تَشْبِيْهِ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ ، فَلَوْ كَانَ هَذَا حَقًّا بَلَّغَهُ أَمِيْنُهُ أُمَّتَهُ ، فَإِنَّ اللهَ أَكْمَلَ بِهِ الدِّيْنَ ، وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ ، فَبَلَّغَ البَلَاغَ الْمُبِيْنَ ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ [١] .

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ .

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (٨١١) .


فهرس

فهرس